يوحنا الآسيوى

الكتاب الثالث

تاريخ الكنيسة

ترجمة : صلاح عبد العزيز محجوب

تقديم و مراجعة : محمد خليفة حسن



المشروع القومى للترجمة

162

المشروع القومى للترجمة

تاريخ الكنيسة

يوحنا الآسيوى

الكتاب الثالث

(الأجزاء الثالث والخامس والسادس)

ترجمها من السُريانية وعلَّق عليها


صلاح عبد العزيز محجوب إدريس

تقديم ومراجعة

محمد خليفه حسن



٢٠٠٠



IOHNNIS EPHESINI HISTORIAE ECCLESIASTICAE

تقـــديم

تعتبر اللغة السريانية من أهم اللغات الحاملة للثقافة فى التاريخ المسيحى . وهى بحق واحدة من اللغات الدينية المسيحية المهمة ، وهى فى هذا تنافس اليونانية واللاتينية والقبطية . وقد انتشرت السريانية بعد اتخاذ المسيحية لها - كلغة دينية وأدبية - فى بلاد مابين النهرين ثم توسعت فى العالم المسيحى الشرقى ، وأصبحت تنافس اليونانية كلغة للمسيحية الغربية . وزاد من انتشار السريانية اتخاذ الفرس لها كلغة رسمية ، ولغة للسياسة والاقتصاد ، وذلك بسبب سهولتها وانتشارها فى الشرق القديم كما كانت لغة العلم والثقافة فى المدارس السريانية المتشرة فى بلاد فارس .

وكانت الكتابة التاريخية من بين فنون الكتابة التى برز فيها السريان ، وقد خلفوا مجموعة من السجلات التاريخية التى تناولت تاريخ الكنيسة المسيحية فى الشرق كما تناولت العديد من الأحداث السياسية المواكبة لتاريخ الكنيسة . وقد أصبحت الكتابات التاريخية السريانية مصادر أساسية للمؤرخين ينقلون عنها أحداث العصور المسيحية التى يؤرخون لها ويستعينون بها فى تدوين بعض فترات التاريخ القديم والتاريخ المسيحى والإسلامى . فقد بدأ اهتمام المؤرخين السريان بتدوين أحداث التاريخ العام وسير القديسين والشهداء ، وتاريخ الأديرة والكنائس هذا فضلاً عن تاريخ الكتاب المقدس . وكان السريان قد بدأوا منذ القرن السادس الميلادى تقليد اليونان فى إنشاء سجلات تاريخية باللغة السريانية .

ومن أهم السجلات التاريخية باللغة السريانية تاريخ يشوع العمودى وتاريخ يوحنا الآسيوى (المولود فى ٥٠٥م) . ويتميز يوحنا الآسيوى فى أسلوبه الخاص بالكتابة التاريخية بالربط بين كتابة السير وكتابة التاريخ الكنسى فى أسلوب أدبى رفيع .

ويعتبر كتاب تاريخ الكنيسة الذى نقدم ترجمة جزء منه إلى اللغة العربية من أهم أعمال يوحنا الآسيوى وهو فى نفس الوقت أقدم كتاب فى تاريخ الكنيسة من تأليف السريان اليعاقبة ، ويقع هذا الكتاب فى أصله الأول فى ثلاثة كتب يحتوى كل كتاب منها على ستة أجزاء . ويتناول الكتاب الأول عصر ماقبل قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) أى من يوليوس قيصر وحتى مجمع أفزوس الثانى سنة ٤٤٩م . ويتناول الكتاب الثانى التاريخ الواقع بين مجمع أفزوس ونهاية السنة السادسة لحكم يوستينان الثانى سنة

٥٧٢م . أما الكتاب الثالث فيتناول الفترة حتى ٥٨٥م . وهى سنة وفاة المؤلف على أرجح الآراء . أما عن وضع التاريخ الكنسى ليوحنا الآسيوى فقد ضاع الكتاب الأول وبقيت أجزاء من الكتاب الثانى ، وهناك بعض النقص فى الكتاب الثالث . وهذه الأجزاء الباقية محفوظة فى المتحف البريطانى فى شكل مخطوط .

ويسعدنى اليوم أن أقدم للقارئ الكريم أول ترجمة إلى العربية لجزء من هذا التاريخ المهم الذى دونه يوحنا الآسيوى . وهى ترجمة للأجزاء الثالث والخامس والسادس من الكتاب الثالث وهو يغطى الفترة الممتدة من عصر ماقبل قسطنطين وحتى عام ٥٨٥م .

وقد قام بترجمة هذا الكتاب الدكتور صلاح عبد العزيز محجوب إدريس مدرس اللغة السريانية وآدابها بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وقد قام بمجهود علمى طيب فى ترجمة هذا العمل الشاق من السريانية إلى العربية . وقد أثرى هذه الترجمة بالعديد من الحواشى والتعليقات وعمليات التوثيق التى ساعدت على فهم النص التاريخى الدينى ليوحنا الآسيوى . ويسرنى أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور صلاح محجوب الذى جعل هذا النص التاريخى الدينى متاحاً لقراء العربية . وهو عمل مهم سيستفيد منه المتخصصون فى تاريخ الكنيسة ، وكذلك المتخصصون فى الدراسات التاريخية للعصور التى أرَّخ لها الكتاب . كما أن الكتاب له أهمية خاصة عند المتخصصين فى الأدب السريانى وفى الفكر الدينى المسيحى ، وللمهتمين بمقارنة الأديان .

نسأل الله الكريم أن ينفع بهذه الترجمة والشكر للمجلس الأعلى للثقافة على هذا الاهتمام بترجمة أمهات الأعمال الشرقية ، والله ولى التوفيق .

محمد خليفة حسن

أستاذ تاريخ الأديان

كلية الآداب جامعة القاهرة

مقدمة المترجم

بدأ السُّريان التدوين التاريخى منذ القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر الميلادى. وقد برزوا فى هذا المجال بعدما حاكوا اليونان فى إنشاء سجلات تاريخية باللغة السُّريانية حوالى القرن السادس، وتركوا إرثا متنوعا من الكتابات التاريخية شمل القصص التاريخى وسير القديسين والشهداء، والتواريخ المدنية والكنسية، وتأريخ تأسيس المدارس العلمية والدينية والأديرة. ودرج المؤرخون السُّريان على ضم مؤلفات من سبقهم من المؤرخين أقرانهم والبدء من حيث انتهت إليه من أحداث حتى أحداث عصورهم. ويعتبر التاريخ الكنسى الذى ألفه المؤرخ يوحنا الآسيوى فى القرن السادس الميلادى، إحدى تلك المؤلفات التى ضمها المؤرخون السُّريان إلى كتاباتهم.

يشمل التاريخ الكنسى هذا ثلاثة كتب، يحتوى كل كتاب منها على ستة أجزاء تناول المؤرخ فى الكتاب الأول عصر ما قبل قسطنطين الأكبر (٣٠٦-٣٣٧ م) من عصر يوليوس قيصر (ت. ٤٤ ق. م) حتى مجمع أفسس الثانى فى سنة ٤٤٩ م. وتناول فى الكتاب الثانى أحداث الفترة ما بين مجمع أفسس الثانى حتى نهاية العام السادس لعهد الامبراطور جستين الثانى فى سنة ٥٧١ م. واختتم المؤرخ تاريخه فى الكتاب الثالث بالفترة الواقعة بين سنة ٥٧٢ م حتى سنة ٥٨٥ م.

ولهذا المُؤَلَّف التاريخى أهمية كبرى فى الأدب السُّريانى، فكاتبه يأتى فى طليعة كتاب التاريخ من السُّريان أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيين)، كما أن تاريخه يعتبر أقدم تاريخ لكنيسة السُّريان المونوفيزيين، بالإضافة إلى أهميته بالنسبة للكتابات التاريخية فى العصر الوسيط، إذ يعتبر سجلا تاريخيا للتطورات الدينية منذ عصر يوليوس قيصر حتى سنة ٥٨٥ م، فضلا عما يتضمنه من وصف للتاريخ السياسى والحضارى للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى.

ومما يؤسف له أن الكتاب الأول من التاريخ الكنسى مفقود، أما الكتاب الثانى فتوجد منه بعض شذرات محفوظة فى مخطوط بالمتحف البريطانى (المكتبة البريطانية) تحت رقم ١٤٦٥٠، وبقى لنا الكتاب الثالث فى مخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى تحت رقم ، ١٤٦٤٠ وقد حظى الكتاب الثالث باهتمام الباحثين، إذ طبعه المستشرق الإنجليزى وليم كيورتون W. Cureton ونشره فى أكسفورد فى سنة ١٨٥٣، ثم ترجمه روبرت باينى سميث R. P. Smith إلى الإنجليزية ونشره فى أكسفورد سنة ١٨٦٠، ونقله شونفلدر Schonfelder إلى الألمانية ونشر ترجمته فى ميونخ سنة ١٨٦٢، وقام بروكس E. W. Brooks بنشر النص السُّريانى مطابقا لمخطوط المتحف

البريطاني في سلسلة الكتابات المسيحية الشرقية المعروفة باسم CSCO بالمجلد رقم ١٠٥ والنص السُرياني في المجلد رقم ٥٤ بلوفان (بلجيكا) في سنة ١٩٣٥، ثم نقله إلى اللاتينية ونشره في سنة ١٩٣٦ بالمجلد رقم ١٠٦ من نفس السلسلة المذكورة.

وقد اعتمدنا في ترجمتنا على نسخة مصورة من النص السُرياني الذي نشره بروكس. ويركز بحثنا على الكتب الثالث والخامس والسادس من القسم الثالث لتاريخ الكنيسة، وتحتوى تلك الكتب الثلاثة على أحداث عهود الأباطرة جستين الثاني وطيباريوس وموريقيوس بدءا من سنة ٥٧٢م حتى سنة ٥٨٥م سواء ما كان يتعلق بالبلاط البيزنطي من الداخل أو سياسات الأباطرة المالية والعسكرية والحروب التي نشبت بين الروم والفرس وأتباعهم من عرب الغساسنة وعرب المناذرة فوق إقليم ما بين النهرين وسوريا وأرمينية بالإضافة إلى أخطار قبائل السلاف والآفار والجرمان على أقاليم الإمبراطورية البيزنطية، وتمثل الأجزاء الثلاثة السابقة معظم الأحداث المدنية الواردة في القسم الثالث من النص السُرياني، بالمقارنة مع الكم الكبير للأحداث الدينية الكنسية الواردة في الأجزاء الأول والثاني والرابع.

الفصل الأول

أحوال الدولة البيزنطية
فى القرن السادس الميلادى

اعتبر بعض الباحثين الدولة البيزنطية امتدادا طبيعيا للإمبراطورية الرومانية[١]، إلا أن الدولة البيزنطية كان لها ما يميزها عن الإمبراطورية الرومانية "فروما القديمة كانت تقوم وسط العالم اللاتينى بلسانه وفكره وثقافته وديانته. أما القسطنطينية فقد نشأت فى قلب بلاد اليونان بلغتهم الأكثر حيوية من قرينتها، ومدارسهم الفكرية وثقافتهم التى خلا منها الغرب الرومانى أو كاد. ومن ثم أصبحت القسطنطينية بوتقة راح يتفاعل فيها وينصهر هذا التراث الكلاسيكى اليونانى الرومانى مع العقيدة المسيحية الجديدة"[٢]. وقد تغلبت تلك العقيدة الجديدة على تحديات كبيرة تمثلت فى اليهودية والعبادات والفلسفات الوثنية المنتشرة فى العالم اليونانى الرومانى، وصارت المسيحية الديانة الرسمية للدولة البيزنطية مع نهاية القرن الرابع الميلادى[٣].

وبالرغم من ذلك شهدت القرون من الرابع حتى السابع جدالا لاهوتيا بين المسيحيين حول طبيعة المسيح عُرِف بالصراع الكريستولوجي، وقد ساعد على اشتداده ما زخر به الشرق الرومانى من مدارس الفكر والفلسفة اليونانية فى الإسكندرية وأنطاكيا وآسيا الصغرى وإيطاليا وأثينا[٤]، كما سعر نيرانه تنافس كنائس روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا من أجل الزعامة الروحية فى العالم المسيحى.

وبالرغم من السيطرة المطلقة لأباطرة بيزنطة على الشئون السياسية والدينية فقد استمر الصراع اللاهوتى بين المسيحيين وتركز فى القرن السادس بين أتباع مذهب الطبيعة الواحدة؛ أتباع المونوفيزية Monophysite[٥] وبين أتباع مذهب الطبيعتين Dyophysit[٦] وهو ما اصطلح على تسميته بالخلقدونية أو الأرثوذكسية الرسمية.

الإمبراطور أنسطاس الأول (٤٩١-٥١٨ م)

هو أحد كبار موظفى البلاط فى عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١ م)، وقد انتخب إمبراطورا بعد وفاة زينون. وقد اشتهر بكفاءته الإدارية وإصلاحاته[٧]، فقد نهج سياسة مالية متقشفة ورفض دفع الإعانة السنوية لملك فارس قباذ بن قابوس (٤٨٧-٥٣١ م) نظير حمايته حصن باب الأبواب (دربند) الواقع على بحر الخزر، فأدى ذلك إلى قيام قباذ بغزو مدينة آمد ودياربكر فى شمال إقليم ما بين النهرين فى العاشر من يناير فى سنة ٥٠٢ م[٨]، فوجه أنسطاس حملة عسكرية لغزو الأراضى الفارسية لكنها باءت بفشل ذريع. واستطاع أنسطاس استعادة مدينة آمد من الفرس فى سنة ٥٠٤ م[٩]. وقد تهادن الفرس والروم مدة سبع سنوات دفعت بيزنطة بموجب الهدنة ألف ليبرا ذهبا لفارس، كما وافق أنسطاس على دفع مبلغ سنوى لفارس نظير الحفاظ

على الحامية الفارسية فى قلاع القوقاز[١٠]. وقد شيد أنسطاس مدينة دارا على الحدود الشرقية مع فارس فى سنة ٥٠٦م[١١] ، وشيد قلعة رومانية بالقرب منها لتأمين الحدود الشرقية، كما شيد سورا غرب القسطنطينية على مسافة أربعين ميلا منها لحماية الدولة من أخطار البلغار ذوى الأصول التركية، والصقالبة [١٢].

وشهد عهد أنسطاس قيام مملكتين للفرنجة والجرمان [١٣] فى الأراضى التابعة للدولة. إذ تمكن القوط الشرقيون؛ إحدى القبائل الجرمانية البحرية القوية، بقيادة ملكهم ثيودريك (٤٩٣–٥١١ م) من الاستيلاء على إيطاليا. كما أسس الفرنجة بقيادة ملكهم كلوفيس (٤٧١–٥٢٦ م) مملكة لهم فى غالة (فرنسا). وقد اعترف أنسطاس بثيودريك حاكما مساعدا له على إيطاليا، ومنح كلوفيس لقب القنصل فصار نائبا له فى غالة.

ولم تكن الأحوال الدينية فى عهد أنسطاس أفضل من الأحوال السياسية، إذ ميز الإحساس الدينى سكان القسطنطينية، "وكان الشعب البيزنطى بطبيعته يميل إلى الجدل والنقاش"[١٤]. وكانت الطقوس المسيحية هى السمة المشتركة التى تجمع أفراد المجتمع، وكان السيرك والحمامات العامة وملعب العاصمة تمثل متنفسا لسكان العاصمة. وتوزعت الطبقة الصناعية فى المدن البيزنطية إلى فرقتين هما فرقة الحلة الزرقاء وفرقة الحلة الخضراء، وقد لعبتا دورا بارزا فى تنشيط الألعاب الرياضية [١٥]، وتضامن سكان العاصمة مع إحدى الفرقتين فى المجال الرياضى والسياسى والاجتماعى، وكانت فرقة الحلة الزرقاء تؤيد الأرثوذكسية الخلقدونية وتعد رمزا لها، وأيدت فرقة الحلة الخضراء المونوفيزية[١٦]. وكثيرا ما أدت ميول الأباطرة الدينية، التى تخالف آراء إحدى الفرقتين، إلى اندلاع الثورات والفوضى فى العاصمة. وعندما اعتلى أنسطاس العرش أعلن أنه من أنصار الأرثوذكسية، لكنه كان يتوجه بسياسته نحو المونوفيزية[١٧]، وكان فيلوكسينوس المنبجى[١٨]؛ المعروف بالسُريانية باسم أكسنايا (= الغريب)، وسويروس الأنطاكى[١٩] وراء ميل الإمبراطور نحو المونوفيزية. وقد حاول أنسطاس إقناع أسقف القسطنطينية مقدونيوس الثانى (٤٩٦–٥١١ م) بضرورة شجب قرارات مجمع خلقدونية، واستقبل سويروس الأنطاكى فى العاصمة فى سنة ٥٠٨م، وظل ذلك الداعية المونوفيزى ثلاث سنوات يدافع عن مذهبه وبصحبته مئتان من الرهبان، ثم انتخب بطريركا بمساعدة الإمبراطور فى سنة ٥١٢م. وزاد عداء الشعب لأنسطاس، خاصة بعدما طرد الأسقف مقدونيوس من منصبه فى سنة ٥١١م، وكان يحظى باحترام شعب العاصمة. فأدى ذلك إلى اندلاع ثورة عارمة فى سنة ٥١٣م تزعمها القائد فتياليان، قائد إحدى الفرق البلغارية بالجيش والذى تقدم نحو العاصمة مطالبا بإلغاء التسبيح المونوفيزى[٢٠] فى الكنيسة، وإعادة الأساقفة الأرثوذكس المنفيين[٢١].

ويمكن القول أن النجاح الذى حققه أنسطاس فى توطيد دعائم السلام مع مصر والشام بسبب تأييده لمذهب الطبيعة الواحدة، كان على حساب ما ساد فى قلب العاصمة من قلاقل واضطرابات[٢٢]. وقد توفى أنسطاس فى سنة ٥١٨م وخلفه على العرش جستين الأول.

جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م)

كان جستين مزراعا بالقرب من قرية أسكوب الحالية بألبانيا، جاء العاصمة مغامرا يمشى على قدميه من مقدونيا، وتدرج فى سلك الجندية حتى صار قائدا للحرس الإمبراطورى[٢٣] .

وقد كانت سياسته شرقية تماما، فبعدما ارتقى العرش الإمبراطورى أهمل الغرب الرومانى واهتم بإنعاش اقتصاد الدولة فوجه عنايته إلى الطريق التجارى المتجه من القسطنطينية صوب اليمن منتهيا بشواطئ المحيط الهندى[٢٤]، كما دعا كالب ملك الحبشة إلى وقف اعتداءات يهود اليمن على تجار بيزنطة أثناء مرورهم باليمن فى طريقهم إلى الحبشة، فوجد ملك الحبشة الفرصة سانحة لمد سيطرته على اليمن، خاصة بعد مذبحة نصارى نجران التى نفذها ذو نواس ملك اليمن اليهودى فى سنة ٥٢٣م[٢٥]. وبعدما تمت سيطرة الأحباش على اليمن كلف جستين تجار الحبشة بنقل الحرير عبر أراضيهم مباشرة إلى القسطنطينية، لكى يقلص دور الوساطة التجارى الذى يقوم به الفرس فى نقل سلع الصين والهند إلى بيزنطة[٢٦] . كما سعى جستين إلى تقليص سيطرة الفرس على شواطئ البحر الأسود فتحالف مع قبائل الهون ذوى الأصول الآسيوية فى شمال القوقاز ضد فارس، وأدى ذلك إلى توتر العلاقات الفارسية-البيزنطية[٢٧]، إذ قام قباذ بن فيروز بالاستيلاء على لازستان (لاذيقة) الواقعة على البحر الأسود غرب إقليم كرجستان فى سنة ٥٢٦م.

ونهج جستين سياسة دينية مغايرة لسلفه أنسطاس، إذ اتبع نهجا أرثوذكسيا خالصا وأخذ على عاتقه محاربة المذهب المونوفيزى، فطرد الأساقفة المونوفيزيين من مناصبهم وجعل المذهب الخلقدونى مذهبا رسميا للدولة [٢٨]. وقد علق جلانفيل دوانى على ذلك بقوله "إن ارتقاء جستين الأرثوذكسى خلفا لأنسطاس المونوفيزى كان من المحتم أن يؤدى إلى إثارة القلاقل بين عصب رواد السباق، إذ كان من شأنه أن أصبحت آنذاك عصبة اللون الأزرق هى التى تمثل مصالح الحكومة وليست عصبة اللون الأخضر التى كانت من المونوفيزيين"[٢٩] . وقد تبنى جستين ابن أخته جستنيان، لأنه لم ينجب أطفالا، وأنعم عليه برتبة قيصر فى سنة ٥٢٥م، وتوجه شريكا معه على العرش فى ٤ أبريل سنة ٥٢٧م[٣٠] . ثم مرض جستين بعد ذلك وتوفى فى سن السابعة والسبعين.

جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)

كان جستنيان مثل خاله ينتمي إلى أسرة ريفية، "فأبوه فلاح من مقدونيا"[٣١] ، وقد قدم إلى العاصمة بدعوة من خاله الذى اهتم بتعليمه وتثقيفه وتبناه حتى صار سندا له فى الحكم. وكان جستنيان شديد الإعجاب بمواهبه ومؤهلاته لكنه كان يحترم آراء مساعديه وعلى رأسهم زوجته ثيودورا (٥٠٠-٥٤٨م) التى كان والدها مدربا للدببة فى سيرك العاصمة، وكان ينتمى إلى عصبة الخضر، وقد كانت ثيودورا على قدر كبير من الجمال والذكاء، وذكر عنها المؤرخ بروكبيوس (٥٠٠-٥٦٥م) "أنها تلطخت منذ صغرها بفساد المحيط حولها"[٣٢]. وقد مارست ثيودورا نفوذا كبيرا على جستنيان منذ أن تزوجها. وكان القائد نارسيس (٤٧٨-٥٧٣م) من أهم مستشارى جستنيان وكذلك القائد بليزاريوس (٥٠٥-٥٦٢م) الذى عينه جستنيان قائدا للقوات الرومانية فى الشرق فى سنة ٥٢٩م[٣٣] .

وقد اهتم جستنيان، هو الآخر، باقتصاد الدولة وتجارتها وسعى إلى تقليص وساطة فارس فى نقل تجارة الشرق إلى بيزنطة، فوطد دعائم الصداقة مع الأحباش لكى يقوموا بنقل حرير الصين عبر أراضيهم بعيدا عن سيطرة الفرس، لكنهم فشلوا فى ذلك نظرا لما تمتع به الفرس من سمعة طيبة فى موانئ الهند والصين[٣٤] . واهتم جستنيان بتأمين حدوده الشرقية المتاخمة لفارس، واستغل لهذا الغرض عرب الغساسنة. فأنعم على أميرهم الحارث بن جبلة (٥٢٨-٥٦٩م) بلقب فيلارخ (= حاكم أو شيخ قبيلة)[٣٥] وصارت إمارة الغساسنة بمثابة دولة عازلة بين بيزنطة وبين فارس وإمارة اللخميين بالحيرة[٣٦] .

وقد استغل كسرى أنو شروان (٥٣١-٥٧٨م) ملك فارس، انشغال جستنيان بحروبه فى إيطاليا، فحث المنذر بن ماء السماء (٥٠٤-٥٥٤م) على التحرش بالحارث بن جبلة، فادعى المنذر أن منطقة سطراطا[٣٧] (= الطريق) تدخل فى نطاق نفوذه وطالب الحارث بدفع الجزية له. ورفض الحارث الإذعان له لأن الرومان أوكلوه بحماية تلك المنطقة التى تمثل الطريق الحربى الرومانى بجنوب تدمر، وكانت غاية فى الأهمية الاستراتيجية للجيش البيزنطى فى الشرق. واستغل كسرى هذا النزاع فأبطل معاهدة السلام الى أبرمها مع بيزنطة فى سنة ٥٣٢م، وغزا سوريا واستولى على أنطاكيا وأفاميا، ثم توصل كسرى وجستنيان إلى اتفاقية سلام أخرى فى سنة ٥٦٢م مدتها خمسون سنة تدفع بيزنطة بموجبها جزية سنوية لفارس تقدر بثلاثين ألف صلدى (= قطعة ذهبية)[٣٨] .

ووجه جستنيان عدة حملات عسكرية لاستعادة أملاك الدولة فى إيطاليا وشمال أفريقيا وأسبانيا. واستطاع بليزاريوس أن يحرز نصرا كبيرا على الوندال[٣٩] فى

شمال أفريقيا فى سنة ٥٣٣م، واسترجع روما من أيدى القوط الشرقيين فى سنة ٥٣٧م. كما نجحت سياسة جستنيان فى استعادة الجزء الجنوبى الشرقى من أسبانيا علاوة على قرطاجنة وقرطبة من أيدى القوط الغربيين[٤٠] فى سنة ٥٥٠م، وعادت إيطاليا إلى أملاك الدولة بفضل القائد نارسيس فى سنة ٥٥٤م.

وكما حاول جستنيان توحيد أقاليم الدولة فى الشرق والغرب، سعى من أجل فرض مذهب واحد فيها، واهتم بالقضاء على الوثنية والمذاهب المخالفة لمذهب الدولة الرسمى، وأصدر بين عامى ٥٢٧ و٥٢٨م قوانين ضد المخالفين للمذهب الخلقدونى، وأبعدهم عن وظائف الدولة، وحرمهم حقوقهم المدنية، كما أغلق الأكاديمية الوثنية بأثينا فى سنة ٥٢٩م[٤١]. وقد أخمد فى نفس السنة ثورة السامرة فى فلسطين الذين أرادوا الانفصال عن جسم الدولة، لكن ثورتهم وئدت فى مهدها.

وبالرغم من أن جستنيان كان مؤيدا للمذهب الخلقدونى الأرثوذكسى أساسا وجعل اعتناقه شرطا لارتقاء المناصب العليا فى الدولة[٤٢]، إلا أنه سعى جاهدا لمالأة المونوفيزيين بعدما لمس ثقلهم داخل الدولة خاصة وأنهم كانوا غالبية سكان مصر والشام، ويتركزون فى الأقاليم الشرقية المتاخمة لفارس[٤٣] . كما حظى المونوفيزيون بتأييد ثيودورا طوال حياتها لذا زعم السُريان أنها ابنة لقسيس مدينة الرقة[٤٤] . واستهدف جستنيان من احتواء المعارضة المونوفيزية ضمان الهدوء فى المناطق الشرقية المتاخمة للأراضى الفارسية، خاصة فى حالة الحرب[٤٥]، ولتحقيق هذا الهدف سمح جستنيان للرهبان المونوفيزيين المنفيين بالعودة إلى أديارهم وسمح لهم بالوعظ فى العاصمة[٤٦] ، كما حاول التوفيق بينهم وبين أتباع المذهب الرسمى، لكن مساعيه باءت بالفشل خاصة بعدما طرد أنثيموس أسقف القسطنطينية المونوفيزى من منصبه فى سنة ٥٣٦م، علاوة على تمسك المونوفيزيين بشجب قرارات مجمع خلقدونية[٤٧] .

وأحرز المونوفيزيون نجاحا كبيرا بعدما عقد الإمبراطور مجمعا فى العاصمة فى سنة ٥٥٣م انتهى إلى تحريم كتابات ثيودور المصيصى[٤٨] وثيودوريت وإيهيبا الرُهاوى المعروفة باسم "الفصول الثلاثة". وبالرغم من محاولات الإمبراطور جستنيان الدؤوبة للتقرب إلى المونوفيزيين فى الولايات الشرقية محاولا إيجاد كنيسة واحدة داخل الدولة، إلا أن جهوده كان مآلها الفشل. فمن ناحية لم تحظ بتأييد المونوفيزيين، ومن ناحية أخرى ظلت معظم النحل التى حاربتها الدولة كالمانوية[٤٩] والنسطورية والآريوسية[٥٠] علاوة على الوثنية، قائمة بين شعوب الدولة، وبذلك خسر جستنيان الشرق والغرب .

جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م)

توفى الإمبراطور جستنيان فى ١٤ نوفمبر سنة ٥٦٥م، وبدأ عصر جديد اعتبره المؤرخون من أسوأ فترات التاريخ البيزنطى[٥١] . فقد ترك جستنيان لخلفائه امبراطورية مترامية الأطراف منهكة القوى، ومحطمة اقتصاديا ومهددة بالأخطار، وكان الحفاظ عليها يمثل عبئا اقتصاديا إضافيا على الموارد المنهكة للقسم الشرقى من الإمبراطورية .

وقد حاول جستين الثاني؛ ابن أخت جستنيان، تدعيم اقتصاد الدولة فاستقبل فى سنة ٥٦٨م وفدا من قبل خاقان الترك استامى (٥٦٢-٥٧٦م) الذى عرض عليه حلفا تركيا-بيزنطيا ضد فارس، وعرض عليه نقل حرير الصين عبر البحر الأسود بعيدا عن سيطرة الفرس. ونجح الترك فى القيام بدور الوساطة التجارية بين موانئ الشرق الأقصى وبيزنطة حتى سنة ٥٧٩م[٥٢] . إلا أن جهود جستين لم تؤت ثمارها إذ تلاحقت عليه الأزمات فى بداية عهده، فقد اخترق اللومبارد حوض الدانوب الأوسط واستولوا على شمال إيطاليا فصار يعرف باسم لومبارديا منذ سنة ٥٦٨م[٥٣] . كما رفض جستين الوفاء بالجزية السنوية لفارس بموجب اتفاقية السلام لسنة ٥٦٢م، واعتبر كسرى أنو شروان ذلك خرقا للسلام. فغزا الشام واستولى على أفاميا ودارا، فلم يتحمل جستين الصدمة وأصيب بلوثة عقلية فى سنة ٥٧٣م[٥٤] . وعين مجلس الشيوخ طيباريوس؛ كونت الحرس الإمبراطورى، قيصرا فى ٧ يناير سنة ٥٧٤م، فاستطاع الحصول على هدنة لمدة عام مع فارس مقابل ٤٥ ألف صلدى. كما اضطر إلى دفع جزية سنوية للآفار[٥٥] بعدما أدرك أن خطرهم يفوق إمكانيات الإمبراطورية فى التخلص منهم[٥٦] ، لاسيما وأنهم تسيدوا أوربا الوسطى واستمروا فى تهديد حدود الإمبراطورية الشرقية. وحوالى سنة ٥٧٥م قام كسرى أنو شروان بغزو أرمينية وحاصر مدينة ثيودسيوبوليس (أرضروم)، واخترق قبادوقيا، وأضرم النيران فى مدينة سبسطية[٥٧] . ونجح طيباريوس في التوصل إلى هدنة مؤقتة مع الفرس لمدة ثلاث سنوات تقتصر على إقليم الجزيرة (ما بين النهرين) فى مقابل التزام بيزنطة بدفع مبلغ ٣٠ ألف صلدى إلى فارس كجزية سنوية[٥٨] .

طيباريوس (٥٨٧ - ٥٨٢م)

وقد توفى جستين الثانى فى سنة ٥٧٨م، وانفرد طيباريوس بإدارة شئون الدولة، وقد هادن الآفار ووافق على دفع مبلغ ٨٠ ألف صلدى كجزية سنوية لهم[٥٩] . ووجه طيباريوس عنايته بالجبهة الشرقية مع فارس، فعين القائد موريقيوس القبادوقى (٥٣٩-٦٠٢م) قائدا للجيش البيزنطى فى الشرق فى سنة ٥٧٨م، واستطاع هذا القائد

أن يحرز بعض الانتصارات على الفرس في أرزون[٦٠]، فأفاد ذلك طيباريوس فى مفاوضات السلام مع كسرى، إلا أن المفاوضات توقفت بوفاة كسرى فى سنة ٥٧٩م قبل أن يوقع على اتفاق الطرفين على رد أرمينية للفرس فى مقابل عودة دارا لبيزنطة[٦١] .

وولى العرش الساسانى هرمزد الرابع بن كسرى (٥٧٩-٥٩٠م)، الذى فضل استعمال الشدة مع بيزنطة. فتوقفت مفاوضات السلام وعادت الحرب بينهما من جديد. وقد خطط موريقيوس لغزو عاصمة فارس المدائن (طيسفون) بمعاونة الأمير المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨٢م) فى سنة ٥٨٠م [٦٢]، لكن خطتهما فشلت. وبوفاة طيباريوس فى سنة ٥٨١م انتقل العرش إلى موريقيوس زوج ابنته قسطنطينة.

موريقيوس (٥٨٢-٦٠٢م)

اشتهر موريقيوس بالكفاءة العسكرية واعتبره المؤرخون اشهر خلفاء جستنيان[٦٣] . فقد حارب التبذير المالى بعد العجز الذى سببته سياسة طيباريوس المالية، وركز كل جهوده لتحقيق النجاح فى العمليات العسكرية ضد فارس، وحقق انتصارا عسكريا على الفرس فى مدينة تلا فى سنة ٥٨٢م[٦٤] ، لكن هجوم الآفار والسلاف على البلقان عكر صفو انتصاره. فأدى ذلك إلى قيام عدة ممالك صقلبية سلافية فى الأراضى التابعة لبيزنطة[٦٥]، كما استولى الآفار على قلعة سنجدوثوم فى سنة ٥٨٣م، واستقر هؤلاء الغزاة فى الأراضى البيزنطية[٦٦] . فاضطر موريقيوس إلى دفع إعانة مالية لهم لكي يظلوا هادئين لمدة عامين، لكنهم اجتاحوا تراقيا فى سنة ٥٨٥م على أثر هجوم قبائل التتار عليهم[٦٧] .

وانتهى عهد موريقيوس بثورة خلعته عن العرش وخلفه فوقاس (٦٠٢-٦٢٠م). أما بالنسبة لسياسات خلفاء جستنيان الدينية فلم تكن موفقة. إذ اهتم جستين الثانى بتوحيد صفوف أتباع المذهب المونوفيزى خاصة بعد انشقاق مجموعة منهم عرفت بالمثلثين، زعموا أن للمسيح ثلاثة أقانيم منفصلة، وبالتالى فأقانيم الألوهية[٦٨] . ثلاثة وليست واحدة وفقا للمعيار المونوفيزى، وادعى فريق آخر منهم بأن للأقانيم الثلاثة وجودا رابعا، ولذا عرفوا بالرباعيين أو مربعى اللاهوت[٦٩] . وقد انعقد مؤتمر فى القسطنطينية لتقريب وجهات نظر المونوفيزيين والمثلثين فى سنة ٥٦٦م[٧٠]، وأصدر الإمبراطور مرسوما نبذ فيه الفصول الثلاثة وقبل إعادة اسم سويروس الأنطاكى إلى لائحة أسماء آباء الكنيسة، وتجاهل ذكر المجمع الخلقدونى فرفض أتباع المذهب المونوفيزى المرسوم الإمبراطورى لأنه لم يعترف بالطبيعة الواحدة جهرا. وفى سنة ٥٦٨م اجتمع القائد يوحنا بالمونوفيزيين فى مدينة الرقة، وكان يعقوب البرذعى (أى

يعقوب مرتدى الثياب الرثة، توفى فى سنة ٥٧٨م) بين المجتمعين، لكن التسوية فشلت فكرر جستين المحاولة ثانية فى سنة ٥٧١م[٧١] وأصدر مرسوما ثانيا اعترف فيه بوجود طبيعة واحدة للمسيح، وأقر بوجود فرق بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية مع اعترافه بصحة مجمع خلقدونية. لكن المونوفيزيين رفضوا المرسوم، فأبدل جستين سياسة الاضطهاد بسياسة التقارب وسجن قادة المونوفيزيين فى العاصمة واستولى على كنائسهم. وعندما صار طيباريوس إمبراطورا أوقف سياسة الاضطهاد لانشغاله بأحداث الجبهة الشرقية مع الفرس، وسعى للتوفيق بين المونوفيزيين وبين الكنيسة الكاثوليكية. وسار موريقيوس على نفس سياسة طيباريوس من الاعتراف بالأرثوذكسية الخلقدونية كمذهب رسمى للدولة مع عدم التضييق على المونوفيزيين[٧٢].

وقد ذكر إدوارد جيبون عن خلفاء جستنيان "أن عهود خلفاء جستنيان الأربعة جستين الثانى وطيباريوس وموريقيوس وفوقاس تميزت بأن تاريخ الشرق الدينى قد خلا من ذكرهم، وكان ذلك شيئا نادر الحدوث وإن كان من حسن حظهم"[٧٣] .

الفصل الثانى

يوحنا الآسيوى سيرته ومؤلفاته

أولا: السيرة الذاتية ليوحنا الآسيوى

تباينت آراء الباحثين حول سنة ميلاد يوحنا، فقد ذكر ج. لاند أن ميلاده كان فى سنة ٥٠٥م[١] ، فى حين جعل أفرام برصوم، وألبير أبونا، وإسحق ساكا، وآرنست هونجمان، وج. ب. مور، ودى أوربينا، وبروكس ميلاده فى سنة ٥٠٧م[٢] . وذكر يوسف السمعانى أن ميلاده كان فى سنة ٥١٦م[٣] . واكتفى أنطون بومشتارك، وج. مارجليوث، وب. تسيرانت بالإشارة إلى أن ميلاده كان فى مطلع القرن السادس الميلادى[٤] . والراجح أن ميلاده كان فى سنة ٥٠٥م فى بلدة آجل فى شمال مدينة آمد[٥] ،ومن هنا عُرف أيضا بيوحنا الآمدى. فقد ذكر يوحنا نفسه أن أفريم بطريرك أنطاكية[٦] اضطهد رهبان آمد القائلين بمذهب الطبيعة الواحدة فى سنة ٥٢٠م، لذا فر يوحنا من هذا الاضطهاد وأقام فى دير مار (= السيد) يوحنا الأورطى[٧] ،وكان قد بلغ سنهُ خمسة عشر عاما آنذاك[٨] .

وعندما بلغ يوحنا سن الثانية أصيب بمرض عضال كاد أن يهلكه مثلما أهلك إخوته من قبل[٩] ، فحمله والداه إلى دير "الأرض الكبيرة" (بالسُريانية دير آرعا ربتا) حيث كان يقيم راهب عمودى يدعى مار مارون[١٠]، وطلبا منه أن يضرع بصلاته إلى الله لكى ينقذ طفلهما. أما الراهب مارون فقد أمر أحد الرهبان باحضار قليل من العدس، ثم مر به الراهب ثلاث مرات على فم يوحنا ففتح عينيه فى المرة الثالثة، وأكل من العدس وشفى من مرضه[١١] . وبعد ما برأ يوحنا من علته، قامت والدته برعايته حولين آخرين ثم أعادته إلى الراهب مارون لكى يرعاه بنفسه فى دير "الأرض الكبيرة" كما طلب منها من قبل[١٢] .

وقد قضى يوحنا طفولته وسط جو الأديرة، وشب على حياة التقشف والزهد والصرامة. وعندما بلغ سن الخامسة عشرة بدأت المتاعب تعترض حياته. فعندما عارض رهبان آمد من المونوفيزيين مجمع خلقدونية، اضطهدهم أفريم الأنطاكى وتعرضوا للطرد من أديارهم فى سنة ٥٢٠م، فاضطر يوحنا إلى الهرب إلى شمال آمد محتميا بدير يوحنا الأورطى. ودامت إقامته هناك خمس سنوات[١٣] درس إبانها الكتاب المقدس وأتقن اللغتين السُريانية واليونانية، وارتبط بصداقة مع أحد الرهبان السُريان وكان يدعى مار قشيش (أى السيد القس أو الشيخ المُسنْ)[١٤] . وذكر يوحنا عن إقامته فى ذلك الدير، أنه كان يخرج ليلا ليراقب الرهبان الآمديين فى دير مار ماما[١٥] ، وكم تعجب لأنهم لا ينقطعون عن الصلاة والبكاء طوال الليل والنهار[١٦]. وما

أن انتهت السنوات الخمس حتى ارتحل الرهبان الآمديون من دير مار ماما إلى دير حورانيتا[١٧] ، ورافقهم يوحنا في رحلتهم صوب شرق آمد[١٨] . ولما وجد الرهبان أن الدير صغير جدا ويضيق بإقامتهم، اضطروا أن يقيموا طوال الصيف على الجبال وتحت الأشجار المحيطة بالدير. واضطروا أثناء الشتاء أن يبنوا لهم بيوتا، وقد دامت إقامة الرهبان هناك لمدة سنتين ونصف[١٩] . ومما لاشك فيه أن احتكاك يوحنا المباشر برهبان آمد المونوفيزيين بالإضافة إلى اشتراكه معهم فى معاناتهم، جعله يعتنق مذهبهم ويتحمس له. وكان المونوفيزيون يجاهدون آنئذ لتنظيم صفوفهم والإكثار من أعداد قادتهم الروحيين، لذا قام الأسقف يوحنا التلى[٢٠] برسامة (= تعيين) أعداد كبيرة منهم فى درجة شماس وكان منهم يوحنا الآسيوى الآمدى فى سنة ٥٢٩م[٢١] .

وبعدما اعتاد يوحنا حياة الترحال للتعرف على طرائق الحياة الرهبانية، تلك التى أفادته كثيرا فى كتابة تاريخ النساك الشرقيين، قام وصديقه الشماس اصطفان الآمدى[٢٢] بزيارة أنطاكية فى سنة ٥٣٢م [٢٣] . وقضى يوحنا عامين انتقل خلالها بين الأديرة المختلفة، وقد أفادته هذه الرحلة كثيرا فى الاطلاع على المزيد من عادات الرهبان. ثم زار يوحنا الإسكندرية فى سنة ٥٣٤م حيث قضى ثلاثة شهور بين رهبانها المصريين[٢٤] ، كما التقى بمار توما الآمدى الذى اشتهر بنسكه وتقشفه الشديد بعد حياة اللهو والترف التى عاشها وألمح إليها يوحنا فى تاريخ النساك الشرقيين. وكانت الرحلة التالية للمؤرخ إلى القسطنطينية، فقد دعى الإمبراطور جستنيان البطريركَ سويروس الأنطاكى إلى العاصمة فى سنة ٥٣٤م أو ٥٣٥م [٢٥] من أجل التوفيق بين أتباع المذهب المونوفيزى وبين أتباع المذهب الخلقدونى. فتوجه يوحنا إلى العاصمة للدفاع عن أتباع مذهبه[٢٦] ، وتعرف يوحنا فى العاصمة على الراهب العمودى مار زعورا (أى الصغير بالسُريانية)، وكان من أقوى دعاة المذهب المونوفيزى فى العاصمة وأكثرهم إثارة للشغب فيها. وقد أعجب يوحنا بحماسته ودون سيرته فى تاريخ النساك الشرقيين. وقد ذكر المؤرخ ابن العبرى (١٢٢٦-١٢٨٦م) عن يوحنا الآسيوى أنه صار أسقفا للأرثوذكس (المونوفيزيين) فى العاصمة فى سنة ٥٣٦م بقوله: "ويوحنا الآمدى الآسيوى هو الذى صار أسقفا للأرثوذكس فى القسطنطينية بعد القديس أنثيموس"[٢٧]، لكن رأى ابن العبرى خطأ لأن الذى أعقب أنثيموس فى رئاسة كنيسة القسطنطينية هو الأسقف ميناس السكندرى (ت. ٥٥٢م) فى سنة ٥٣٦م [٢٨] . وقد ذكر يوحنا ذلك فى تاريخه أيضا[٢٩]. والراجح أن يوحنا عاد ثانية إلى آمد لأنه انضم إلى رهبان آمد وارتحل معهم إلى كلوديا[٣٠] المواجهة لملطية على نهر الفرات، وأقاموا فى دير قورحا على أثر اضطهاد أفريم الأنطاكى لهم فى شتاء سنة ٥٣٦م أو ٥٣٧م[٣١] .ثم ارتحل يوحنا ثانية إلى القسطنطينية فى سنة ٥٤٠م. وفى العام التالى قام برحلة سريعة إلى مصر وفلسطين وما بين النهرين وسوريا ثم عاد إلى القسطنطينية[٣٢] وزار يوحنا قصر هورميزداس فى القسطنطينية[٣٣] ، وسجل ما

شاهده من كثرة الرهبان المونوفيزيين المقيمين فيه تحت رعاية الإمبراطورة ثيودورا[٣٤] . وقد ارتحل يوحنا بعد ذلك إلى كلوديا ونقل رفات مار آبا[٣٥] من دير قوورحا ودفنها فى العاصمة.

وعندما أراد الإمبراطور جستنيان القضاء على عبادة الأصنام فى آسيا الصغرى، أوفد إليها بعثة تبشيرية برئاسة يوحنا الآمدى فى سنة ٥٤٢م [٣٦]. وقد بدأ يوحنا جهوده فى مدينة تراليس الجبلية[٣٧] . ، حيث شيد بها ديرا أسماه داريرا وجعله مقرا لعمله التبشيرى فى آسيا الصغرى. وذكر يوحنا أنه أدخل آلافا كثيرة من سكان تراليس فى المسيحية، كما شيد أربعة وعشرين كنيسة وثلاثة أديار، غير مقر عمله هناك. ونجح فى تنصير ثمانين ألفا من وثنيى آسيا وقاريا وفريجية وليديا، وشيد بها ثمانية وتسعين كنيسة وأثنى عشر ديرا، وحول سبعة معابد يهودية[٣٨] . إلى كنائس، إلا أن تلك الأعداد يشوبها مبالغة من يوحنا بلا شك، خاصة وأنه لم يذكر شيئا عنها بالتفصيل فيما عدا دير داريرا.

وقد ذاعت شهرة يوحنا نتيجة لجهوداته فى تنصير وثنى آسيا الصغرى وصار يعرف بيوحنا الآسيوى[٣٩] ، ويوحنا مراقب الوثنيين ومحطم الأصنام كما كان يلذ له، وعرف أيضا بيوحنا معلم الوثنيين[٤٠] . ومن الغريب أن يوحنا لم ينشر مذهبه المونوفيزى بين مسيحى آسيا الصغرى الجدد، وربما كان سبب ذلك أن بعثته كانت بأوامر من الإمبراطور جستنيان الذى سعى لإيجاد كنيسة واحدة داخل الدولة، والذى لم يكن ليسمح بنشر المذهب الذى يتعارض مع كنيسة القسطنطينية وروما، وربما كان صعبا بالنسبة لمسيحى آسيا الحديثى العهد بالمسيحية أن يتفهموا الفروق الجوهرية بين المذاهب المسيحية لكى يقتنعوا بأحدها، ويفسر ذلك كله صداقة يوحنا الآسيوى بالإمبراطور جستنيان. ونظرا لجهود يوحنا فى آسيا الصغرى استدعاه الامرباطور جستنيان إلى العاصمة للقضاء على الوثنية فيها فى سنة ٥٤٦م [٤١]. وقد ذكر المؤرخ ميخائيل السُريانى (١١٢٦-١١٩٩م) أن يوحنا الآسيوى توجه إلى قرية ببوزا بفريجية[٤٢] وكان سكانها من أتباع مونتانوس[٤٣] ، فحرق معبدا لهم كما أنه عثر هناك على قبر مونتانوس ومساعدتيه مكسميلا وبريسكيلا فحرق عظامهم أيضا فى سنة ٥٥٠م[٤٤]. وقد ذاعت شهرة يوحنا كمناهض للوثنيين فى أوساط المونوفيزيين فرسمه البطريرك يعقوب البرذعى [٤٥] أسقفا على القائلين بالطبيعة الواحدة فى مدينة أفسس فى سنة ٥٥٨م [٤٦] . ومن ثم صارت ليوحنا مطرانية آسيا الصغرى (أى رئاسة أساقفة آسيا الصغرى) وعرف منذ ذلك بيوحنا الأفسسى. ونظرا لمعرفة يوحنا الوثيقة بأحوال المونوفيزيين فى مدينة القسطنطينية فقد صار الرئيس الأعلى للقائلين بالطبيعة الواحدة والمتصرف فى شئونهم وممتلكاتهم فى القسطنطينية بعد وفاة مار ثيودوسيوس بطريرك الإسكندرية المونوفيزى فى سنة ٥٦٦م[٤٧]

وعادت المتاعب تعرف طريقها إلي يوحنا، فأثناء إقامته فى العاصمة تعرض لضغوط كثيرة من كونون أسقف طرسوس وأوجين أسقف سلوقية لكي يشترك معهما فى رسامة الأساقفة، لكنه عارضهم بشدة لأنهما انشقا عن المونوفيزية وحاولا نشر مذهب المثلثين الذى أسسه يوحنا فيليبونوس [٤٨] . (٤٩٠-٥٦٥/٥٧٥م) بكتاباته، وسعيا من أجل الإكثار من الأساقفة التابعين لهذا المذهب. وتبدل حظ يوحنا بوفاة الإمبراطور جستنيان، فقد أمعن الإمبراطور جستين الثاني فى التنكيل بأتباع المذهب المونوفيزى، بعد فشله فى تقريب وجهات النظر الدينية بين أتباع المذهب الرسمى وبين أتباع المذهب المونوفيزى، كما تعرض يوحنا للسجن فى العاصمة بعدما رفض هو والمونوفيزيون المنشور الثانى للامبراطور فى سنة ٥٧١م، وأصيب يوحنا بمرض النقرس فى السجن مما أعجزه عن الحركة. ومن ثم نقله يوحنا السرمى [٤٩] . (٥٦٤-٥٧٧م) بطريرك القسطنطينية إلى دار للعجائز يسمى أبوللو، فظل حبيسا به مدة سنة وتسعة أيام، ثم نفاه البطريرك يوحنا من العاصمة إلى إحدى جزر البحر؛ التى لم يذكر يوحنا شيئا عنها، فمكث هناك ثمانية وعشرين شهرا وأعيد بعد ذلك إلى العاصمة بأمر من القيصر طيباريوس وخضع للرقابة طوال سنوات ثلاث. وتعرض يوحنا للسجن مرة أخرى، فقد سجنه البطريرك القسطنطينى الجديد أوطيخا (٥٧٨-٥٨٢م) فى حبس الكنيسة "قنقلا" ثم نفاه خارج العاصمة فى سنة ٥٧٨م. أما السنوات التالية فلا تتوفر لدينا معلومات عنها سوى أن يوحنا كان موجودا فى العاصمة فى سنة ٥٨١م عندما أرسل رؤساء أديار الشرق من أجل اختيار بطريرك لأنطاكيا، وقضى يوحنا عامه الأخير مسجونا فى خلقدونية وتوفى عن سن يناهز الثمانين فى سنة ٥٨٥/٥٨٦م .

ثانيا: آثاره العلمية [٥٠]

كتب يوحنا أول أعماله باسم «تاريخ الاضطهاد» ، ويتناول اضطهاد أتباع المذهب المونوفيزى، وقد ألف هذا الكتاب حوالى سنة ٥٣٧م ، وذكره فى تاريخ النساك الشرقيين. كتب يوحنا كتابا عن الطاعون الذى اجتاح الإمبراطورية البيزنطية فى سنة ٥٤١-٥٤٢م، وانتهى من تأليفه فى سنة ٥٤٤م، لكنه لم يظهر مستقلا فقد ضمه يوحنا إلى القسم الأول من تاريخ الكنيسة وهو مفقود. كما كتب ما بين سنة ٥٦٦-٥٦٨م "تاريخ النساك الشرقيين"، وهو عبارة عن جزئين مجموعهما ٦١٩ صفحة تقريبا، ويشتمل على ثمان وخمسين سيرة ذاتية عن النساك والرهبان والأساقفة المعاصرين له، وهو مؤلف مهم لأنه مصدر تاريخى معاصر عن الأحوال الدينية للقرن السادس الميلادى ويحتوى على معلومات غزيرة عن رؤساء الكنيسة المونوفيزية آنذاك، كما أنه مصدر مهم عن طرائق الحياة الرهبانية فى إقليم ما بين النهرين وسوريا. وقدحظى تاريخ النساك باهتمام الباحثين فأضاف ج. لاند ثلاث سير أخرى إليه ونشره فى كتابه "الحكايات أو النوادر السريانية"[٥١] . كما نشر يعقوب أوجين منا بعضا منه فى كتابه

"المروج النزهية في آداب اللغة الآرامية"، الموصل ١٩٠١، ونقل بروكس النص السُرياني إلى الإنجليزية وعلق عليه ونشر الأصل والترجمة في سلسلة "الآباء الشرقيون"[٥٢] .
وقد كتب يوحنا احتجاجا على موضوع اتحاد الكنائس في سنة ٥٧١م، وانتهى من تأليفه قبل سنة ٥٧٥م وهو مفقود.

وألف يوحنا أيضا قصة عن نائمي أفسس السبعة (أهل الكهف)، وتعد أحد المصادر الأصلية عن أهل الكهف في الأدب السُرياني، وقد نقلها ديونسيوس التلمحري في التاريخ المنسوب إليه. وعرف يوحنا تأليف الرسائل فقد كتب عشر رسائل إلى البطريرك يعقوب البرذعي، لكنها مفقودة ولاشك أن مضمونها يتناول مسائل العقيدة. وإلى جانب المؤلفات السابقة لم تصلنا أية مؤلفات عن الفترة التي عمل فيها يوحنا في تنصير وثنيي آسيا الصغرى، وذكر تسيرانت "أن يوحنا ربما وعظ باليونانية في العاصمة وفي آسيا الصغرى"، وهو رأي راجح خاصة وأن اللغة اليونانية كانت شائعة في العصر البيزنطي وكان يوحنا يعرفها[٥٣] .

ومن أشهر أعمال يوحنا الأفسسي الباقية "تاريخ الكنيسة"[٥٤] الذي شرع في كتابته في سنة ٥٧٥م، وهو أقدم تاريخ عن الكنيسة السُريانية المونوفيزية. وقد قسمه يوحنا إلى ثلاثة أقسام، يحتوي كل قسم منها على ستة كتب. تناول في القسم الأول الفترة الممتدة من عصر يوليوس قيصر (قُتل سنة ٤٤ ق. م) حتى مجمع أفسس الثاني في سنة ٤٤٩م، وهذا القسم مفقود. ويبدأ القسم الثاني بالأحداث المدنية والدينية من سنة ٤٤٩م حتى السنة السادسة من عهد جستين الثاني في سنة ٥٧١م. وقد بقيت بعض أجزاء من هذا القسم محفوظة في مخطوط بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٥٠ نُسخت ما بين سنة ٨٧٤ و٨٧٥م . أما القسم الثالث فيشتمل على أحداث الفترة الممتدة من سنة ٥٧١م حتى سنة ٥٨٥م ، وهذا القسم محفوظ في المتحف البريطاني في مخطوط رقم ١٤٦٤٠، ويرجع تاريخه إلى القرن السابع الميلادي. وقد نُقل هذه المخطوط من دير مار ديبارا بصحراء الأسقيط (وادي النطرون) بمصر. وحظي القسم الثالث باهتمام أكبر عدد من المستشرقين، فقد نشره وليام كيورتون لأول مرة تحت عنوان 'التاريخ الكنسي ليوحنا أسقف أفسس، أكسفورد ١٨٥٣[٥٥] ، ثم ترجمه روبرت ب. سميث إلى الإنجليزية ونشره في أكسفورد بعنوان "الترجمة الإنجليزية الأولى للتاريخ الكنيسي ليوحنا أسقف أفسس، أكسفورد ١٨٦٠"[٥٦] ، ثم نقله شونفلدر إلى الألمانية ونشر ترجمته بعنوان "تاريخ الكنيسة ليوحنا أسقف الأفسسي، ميونخ ١٨٦٢" [٥٧] ، ثم نشر بروكس النص السُرياني وترجمه إلى اللاتينية ونشره ضمن سلسلة سلسلة كتابات الآباء الشرقيين المسيحية، المجلدات السُريانية عدد ٥٤-٥٥، بعنوان "يوحنا الأفسسي، تاريخ الكنيسة، القسم الثالث،، لوفان ١٩٣٥-١٩٣٦" [٥٨] . وقد ذكر الأب جان شابو عنه " أن الأقسام المحفوظة من تاريخه

الكنسى تتضمن إيضاحات مفيدة لم يوردها غيره عن أحداث هذا العصر السياسية والدينية"[٥٩] . و ترجع أهمية التاريخ الكنسى أساسا إلى أنه مصدر مهم عن التطورات الدينية والسياسية للإمبراطورية الرومانية والبيزنطية من القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادى[٦٠] .

وقد درج المؤرخون السُريان على نقل مؤلفات أسلافهم التأريخية عندما كانوا يؤرخون لفترات سابقة عليهم، ولما كان تاريخ الكنيسة للمؤرخ يوحنا الآسيوى مصدرا أصليا عن القرن السادس الميلادى فقد اعتمد عليه المؤرخون السُريان المتأخرون، وكان منهم يعقوب الرُهاوى (٦٣٣-٧٠٨م) الذى اعتمد على تاريخ الكنيسة ليوحنا الآسيوى فى كتابه تاريخه الزمنى[٦١] . كما عول ديونسيوس التلمحرى، مؤرخ القرن التاسع، على تاريخ الكنيسة ليوحنا، إذ اعتمد على القسم الثانى منه فى كتابة القسم الثالث من تاريخه المسمى "كتاب الأزمنة"، وقد ذكر ذلك بقوله "اقتبست مادة هذا الكتاب ابتداء من عصر ثيودوسيوس الصغير (٤٠٨-٤٥٠م) حتى عصر جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) من القديس يوحنا أسقف أسيا"[٦٢] . كما اعتمد إيليا برشينايا (٩٧٥-١٠٤٩م) على تاريخ الكنيسة كمصدر هام عن الفترة السابقة للإسلام[٦٣] . ونقل ميخائيل السُريانى أحداث عصر جستين الثانى حتى موريقيوس من تاريخ الكنيسة ليوحنا، وذكر ذلك فى تاريخه[٦٤] . وكذلك نقل ابن العبرى معظم أحداث القرن السادس عن تاريخ الكنيسة ليوحنا الآسيوى[٦٥] .

الفصل الثالث

الترجمة العربية للكتاب الثالث من تاريخ الكنيسة

(الأجزاء الثالث والخامس والسادس)

مقدمة الترجمة

يحتفظ المتحف البريطانى بالمخطوط الوحيد للكتاب الثالث[١] من تاريخ الكنيسة، تحت رقم ١٤٦٤٠، والمخطوط مكتوب بالخط الاسطرانجيلى (الخط السريانى القديم أو خط الإنجيل)، وهو مؤرخ بالقرن السابع الميلادى وعنوانه "تاريخ الكنيسة للسيد (سيدى) القديس يوحنا أسقف مدينة أفسس". والمخطوط عبارة عن مجلد طوله ١١ سم وعرضه ٧ سم، ويتكون من عشرين رزمة عددها ١٥٩ ورقة، إلا أن بعض الأوراق بها آثار للحبر خاصة الأوراق ١، و٣، و٢٣، و٨٣، و١٠٩، وتنقسم الورقة إلى عامودين يتراوح طول الأسطر ما بين ٣٠ و٣٨ سطرا، ويتكون المخطوط من ستة كتب، يبدأ كل كتاب بفهرس للموضوعات.

يتكون الكتاب الأول من ٤٢ فصلا، والفصلان الأول والثانى مفقودان، وهناك نقص كبير فى نهاية الفصل الرابع والفصول السادس حتى الثامن وكذلك بداية الفصل التاسع، ويتكون الكتاب الثانى من ٥٢ فصلا. أما الكتاب الثالث فيتكون من ٥٦ فصلا إلا أن الفصل ٤٣ ناقص من نهايته، أما الفصول ٤٤ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥٣ و٥٥ فهى مفقودة، ويتكون الكتاب الرابع من ٦١ فصلا، الفصول ١-٤ مفقودة، وكذا أغلب الفصل الخامس ونهاية الفصل ٢٢ والفصول ٢٣-٢٩ ومعظم الفصل الثلاثين، أما الكتاب الخامس فيتكون من ٢٣ فصلا، ويتكون الكتاب السادس من ٤٩ فصلا، ومعظم الفصول ٣٨-٤٩ مفقود، ولم يبق من الفصل ٣٧ سوى جزء صغير.

وقد اعتمدنا فى ترجمتنا على نص تاريخ الكنيسة الذى نشره إدوارد بروكس فى لوفان فى سنة ١٩٥٢ ضمن سلسلة CSCO مجلد ١٠٥ وهو النص السريانى الوحيد المنشور عن مخطوط المتحف البريطانى رقم ١٤٦٤٠ حسب علمنا حتى الآن. وقد علق الناشر الإنجليزى على ألفاظ النص بالتصويب، وقد اختلفنا معه أحيانا وذكرنا ذلك فى حواشى ترجمتنا العربية، وقد أشرنا إلى اختلافات الترجمة الإنجليزية عن ترجمتنا العربية. ويبدأ القسم المترجم من الكتاب الثالث من الصفحة ١١٨ حتى الصفحة ١٨٢، ثم الكتابين الخامس والسادس من الصفحة ٢٥١ حتى الصفحة ٣٤٤، وقد حرصنا فى ترجمتنا على نقل النص إلى لغة عربية سهلة وواضحة كما وضعنا بين الأقواس بعض الألفاظ للتوضيح أحيانا .

تاريخ الكنيسة

يوحنا الآسيوى

ترجمة الجزء الثالث
من الكتاب الثالث

الفصل الأول

عن بداية الكتاب

دونا فى الكتابين السابقين باختصار قليلا مما حدث فى بداية زمن مُلْك الظافر جستين الأخير (الثانى) فى موضوع الاضطهاد الذى تحملناه كثيرا فى الماضى، وكيف أظهر منذ البداية اهتمامه لتحقيق الاتحاد[٢] بين الكنائس وكيف ظل مهادنا ومسالما تجاه فريق المؤمنين (أتباع الطبيعة الواحدة أو المونوفيزيين) كافة حتى السنة السادسة من ملكه. وكيف تحول بعد ذلك أيضا إلى الاضطهاد القاسى بدون حد أو قيد. وكتبنا مذكرات قصيرة سرية عن العقوبة التى أدركته من السماء لمساعدته وإيقاف اندفاعه الجارف نحو الشرور، لكننا توقفنا آنذاك عن الكتابة من أجل الدقة، ولئلا يظن بنا أننا أردنا تدوين هذه الأحداث علانية من أجل التشفى أو الاستهزاء من نظام المُلْك السامى أو التفكير فى عقاب الله الرحيم الذى جزى به جستين عدلا. لذا توقفنا عن الكتابة، لكن تراءى لنا الآن أن نذكرها باختصار تخوفا على أولئك الذين سيحيطون أنفسهم بسلطات الرئاسة العظيمة، لكى يتذكروا عقاب الله المروع الذى لحق بالملك جستين، ولكى تظل تلك الرهبة فى قلوب الناس أجمعين.

الفصل الثانى

عن آثام الملك وعقابه السماوى

إن الله رحيم، فهو لا يريد الهلاك لخلقه أو إفساد حياة الناس. فعندما رأى الله الملكَ جستين يستغل سلطانه الملكى ويجنح نحو أمور بعيدة عن مخافة الله. حيث تمادى فى سفك دماء الناس الطاهرة، ومال إلى نهب وسلب الأموال بلا حساب أو ارتداع لمخافة الله، فجمع وكدس غنيمة الإثم متفوقا على كثيرين ممن سبقوه. وبالرغم من كل الآثام التى اقترفها ظلما فأغضب الله بسببها، عاد ثانية إلى اضطهاد المسيحيين بقسوة وعنف لا تعرفهما طبيعة البشر، إذ هدم مذابح الأرثوذكس بقسوة بواسطة الأسقف يوحنا، ودكّ كنائس المؤمنين فى كل مكان، وقبض على الكهنة ورؤساء الكهنة وعذبهم، ثم أودعهم السجون والمحاكم والأديرة وبيوت الغرباء (ملاجئ العجائز) المتعددة القاسية. ولم ينج العجائز والضعفاء من اضطهاده، إذ قاسوا العذاب والتنكيل والأسر والسجن المرير فماتوا. ولم نرغب فى ذكر أمور كثيرة وآثام اقترفها جستين ظلما ولم نستشهد بها أيضا، إذ أن عدالة الله لا تغفل تلك الأمور وما شابهها. وقد

ترفقت به العدالة الإلهية أيضا لئلا يمتلئ كيل آثامه فيغرقه ويهلكه تماما، ولعرقلة وإيقاف اندفاعه نحو الآثام. عندئذ أرسل الله عليه كما كُتِبَ سخطا وغضبا وعذابا بواسطة ملاك شرير، تسلل إلى أعماق نفسه وتسلط عليه بقوة ورهبة فأخبره بآثامه السابقة، ففقد جستين عقلة فجأة، واضطربت نفسه وأظلمت، وخضع جسده للعذاب الخفى والظاهر وللآلام المبرحة، حتى صار يقلد أصوات الحيوانات. فكان ينبح كالكلب ويثغو كالماعز ويموء كالقط، وأحيانا كان يصيح كالديك. وأتى بتصرفات كثيرة لا يتصورها ذهن البشر، بسبب أمير الظلام الذى أظلم عقله ودفعه إلى ما كان لصدر منه، إذ كان يتعجله باضطراب وعجلة، فكان يهرب من مكان لآخر بسرعة حتى يتمكن من الدخول تحت سريره، فيتشبث بجوانبه، وأحيانا كان يغيب عن وعيه ويندفع صوب النوافذ بسرعة بوهيمية لكى يلقى بنفسه منها إلى أسفل، فلما خاف حجابه عليه كملك، أسرعوا وأمسكوه لئلا يلقى بنفسه فيموت. واضطرت الملكة صوفيا أن تأمر النجارين بالصعود إلى جناح الملك وغلق نوافذه كلها بقضبان حديدية. واختارت خدما لحجرة نومه من الشباب الأقوياء لحراسته. فكانوا يضطرون إلى الإسراع والإمساك به، لأنه كما قيل كان رجلا قويا، فكان يستدير ويمسك بعضهم ويعضهم بأسنانه ويمزقهم، حتى أنه عض أثنين منهم من رقبتيهما فآلمهما بشدة وانتشر فى المدينة (القسطنطينية) أن الملك أكل أثنين من خدمه. فاضطروا فى نهاية المطاف كما قيل إلى أن يربطوه بالحبال. وعندما كان يصيح ويتلفظ بكلام معتوه، كانوا يصيحون فيه قائلين "اهدأ، ها هو الحارث بن جبلة قادم إليك". فكان يلوذ بالفرار فى الحال ويدخل تحت سريره ويتشبث بجوانبه. أما هم فكانوا يقولون له ذلك ليخيفونه، فكان يهرب ويختبئ تحت سريره. وكان الناس فى المدينة كلهم يتحدثون بلا خوف عن أمور كثيرة أكثر غرابة من تلك التي رويناها، وقد دونّا كثيرا منها بعدما سمعناها من كثيرين. وظلت تلك الأقاويل متواترة على الألسن لا لأيام، بل لمدة خمس سنوات كانت صحة جستين خلالها آخذة في التدهور. وقد ذكرنا قليلا مما تناقلته الألسن، لأننا لم نكن قريبين منها ولم نعايشها بأنفسنا، أما عن صدقها فيشهد مجلس الشيوخ وأهل المدينة والغرباء عنها بأنها كانت أمورا حقيقية، بالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة لم نهتم بروايتها.

الفصل الثالث

عمن أرادوا تسلية الملك وأحداث أخرى

عندما أراد رجال البلاط تسلية الملك وإعادته إلى الاتزان، صنعوا له فى النهاية عربة صغيرة يعلوها كرسى ليجلس عليه. وكان الخدم يجلسونه عليها ويقتادونه بسرعة إلى هنا وهناك لوقت طويل. فكان يتعجب من فرط السرعة ويصمت عن هذيانه المتواصل.

وكانوا يذهلونه أيضا بصوت الأرغن، إذ كانت أنغامه تتواصل بالقرب من جناحه ليلا أو نهارا. وأحيانا عندما كان يرهف السمع لصوت الأرغن وأنغامه، كان يهدأ ثم يفقد رشده فجأة فيصرخ ويأتي بأمور غريبة. وكان البطريرك يوحنا السرمي قد صعد لزيارته ذات مرة، فما أن دنا منه وسجد له ورآه مضطربا فباركه، أما هو فرفع يده وضربه على قفاه فسقط على مسافة بعيدة منه. وقال له البطريرك "ستسوء عاقبتك إن لم تذهب وتبارك نفسك لكى تبتعد عنك الأرواح الشريرة". ثم تمالك البطريرك قواه وساعده آخرون فوقف، وظل مدة طويلة يتألم من قفاه الذى ضربه عليه. وبعد ذلك لم يستطع البطريرك الامتناع عن دخول البلاط، فذهب إليه وهو حذر من الملك ويخشى على نفسه، فلما رآه الملك أخذ يضحك أمامه ثم دنا منه، ومد يديه فأخذ منديله من فوق كتفه، وكان هذا منديل أسقفيته[٣] . ثم بسطه ووضعه على رأسه وكأنه منديل نسائى وقال له "لكم يكون جميلا عليك الآن سيدى البطريرك لو جملته بأهداب كالخيوط المزركشة التي تضعها النسوة على رؤوسهن". وكان يشخص ببصره نحو البحر كذلك، ويصيح كباعة الجرار الجوالين. وكان يصيح قائلا "من يشترى الجرار" مثلهم. علاوة على أشياء أخرى كثيرة لم تحك ولم تتواتر، كانت تصدر من الملك بتأثير الشيطان الذى تسلط عليه. وتناقل الناس تلك الأقاويل بدهشة كبيرة وتعجب فى كل المدن والقرى والبيوت والأسواق والحوانيت فى داخل المدينة وخارجها، وفى الطرقات أيضا.

الفصل الرابع

عما قيل عن محنة الملك جستين

عندما كان الملك يتعذب من هذا الشقاء والتجربة القاسية، فإن كثيرين ذهبت بهم الظنون وتحدثوا عنه. وكانت زوجته الملكة صوفيا[٤] فى مقدمتهم وهى التى لم تعتبر لسقوطه ولم تخش مرضه ومعاناته، بل ازدادت تبجحا وقالت "إن المُلكَ كان من حقى وقد عاد إلى، لذا تأدب وسقط فى هذه التجربة لأنه كان يحتقرنى ويعذبنى". ولم يكن ظن الناس كلهم هكذا، بل كان أسوأ من ذلك. إذ ظن الناس وهو صحيح فى الحقيقة أن الله لم يرسل عليه غضبا من السماء إلا لهذه الأسباب الثلاثة أولا من أجل الدم الطاهر الذى سفكه، وثانيا من أجل اضطهاد المسيحيين والتعذيب والقهر والأسر والحبس القاسى والنفى الذى أذاقه للكهنة والأساقفة وبقية الشعب المؤمن رجالا ونساءا، وثالثا من أجل سلب ونهب أملاك الناس، إذ لم يترك اليتامى يرثون آباءهم، فصعدت صرخات اليتامى والأرامل أمام الله مع الأمور الأخرى، فغضب الله عليه وأسلم ملكه إلى آخر بينما هو حى وعيناه ترى ذلك.

الفصل الخامس

عن محب الله طيباريوس الذى صار قيصرا وأحداث أخرى

لما ظل الملك جستين فى هذه التجربة وغيرها من الأمراض والتجارب الأخرى لمدة خمس سنوات، وبدأ فى عامه السادس وهو فى تدهور ويُجَرَّبُ من العمل الشيطانى، وكانت أعمال الدولة ومصالحها متعطلة كلها، وتزايدت هجمات البرابرة على الدولة من كل حدب وصوب. عندئذ تشاور مجلس الشيوخ مع الملكة صوفيا لكى ينصحون الملك بأن يقيم قيصرا خلفا له، من أجل مصالح الدولة فوافق على مطلبهم. إذ كان يفعل الصواب أحيانا فيتحدث باتزان. وبعدما اتفقوا معه على كل شئ، اختاروا طيباريوس ونادوا به قيصرا، ذلك الذى كان حرسا لجستين منذ فترة، وقبل أن يصبح ملكا. وعندما دعاه جستين ليلبسه الحُلة الملكية، وكما اعترف بأن ملاكا تراءى له وهمس فى أذنه بما يقوله للقيصر طيباريوس، بدأ الملك يتحدث بكلام عجيب وكأن عقله لم يمسسه سوء قط. فقال وهو يبكى بدموع حارة "أى بنى طيباريوس! أقدم إلى وتسلم مُلكَ جستين الشقى الذى أغضب الله فطرده الله وأسقطه من ملكه وهو حى، أقدم يا بنى وأدخل البلاط الملكى وأطرد من جحد خالقه الذى وهبه المُلكَ، وعيناه ترى طرده وسقوطه من ملكه". وقد صاح جستين بهذا الكلام أمام جمع غفير حتى تفجرت الدموع من عيون السامعين وتملكهم الألم الشديد، خاصة عندما عاد جستين إلى الوراء وأشار بيديه إلى الجنود الموجودين كلهم، وقال لهم بصوت عال "تعالوا افتحوا يا أبنائى كل أبواب البلاط واتركوا الناس يدخلون كلهم لرؤية جستين التعس وهو يسقط من ملكه لأنه أغضب وخالف الملك الحقيقى (الله) من لا يزول ملكه والذى أوصله للعرش وهو لا يستحقه"، ثم قال لطيباريوس "فاتخذنى من الآن يا طيباريوس مخافة لك فاخش وارهب الله الملك الأبدى واحترس منه فلا تغضبه بأعمال شريرة مثلما أغضبته بأعمالى وسلوكياتى كلها، فجزيت بهذه العقوبة القاسية والمروعة، وها أنا أُطْرد وأُخْلع من المملكة وأنا حى لأننى حكمتها بالظلم، فاحذر لئلا يُضلك رداء الملك هذا مثلما أضلنى فيملؤك ضلالا وغرورا، ويحيق بك غضب من السماء مثلما حاق بى، فتُطْرد أنت أيضا وتسقط من ملكك مثلما أسقط منه اليوم. وتنبه يا بنى إلى هذا القائم لدى ويهمس فى أذنى ويعلمنى هذا الكلام الذى أقوله لك وأعلمك وآمرك به وأنصحك، ولتعلم وتدرك أن تلك الكلمات التى أحدثك بها الآن ليست من لدنى لكنها من ملاك الله هذه، وإن كنت لا تراه أنت وغيرك فها هو ذا قائم لدى ويلقننى ما أقوله لك لتخشى قصاص العدالة المروع الذى حاق بى، كما ترى أنت والناس كلهم، لأننى لم أحفظ وصايا الله فها هو يسقطنى من الملك ويسلمه لك الآن. فتدبر أمرك يا بنى واتخذنى مثالا لخشية قلبك وخوفه من هذا القصاص الذى جُزيت به فلا تجنح نحو الأعمال الشريرة مثلما فعلت،

فترسل السماء غضبا عليك مثلى، وتسقط من ملكك، وإذا فاحذر ولا تتبع الأشرار الذين يدفعونك للشرور فيضلونك كما اضلّونى فأغضبت الله بكل أعمالى". أما الكلام الذى قاله جستين بحزن وبكاء بصوت عال أمام كل الناس فقد ذكرنا منه مختصرا لكثرته، أما المجيد طيباريوس فبدون مقدمات ارتمى على وجهه على الأرض بين قدمى الملك وصرخ كالثور ويكى بألم ومرارة، هو ومجلس الشيوخ وبقية الجمهور ممن تجمعوا وصرخوا بحزن شديد وهو يسمعون كلامه ويرونه وهو يسلم ملكه لهذا الذى دُعىَ لاستلامه، وطغى عليهم البكاء بمرارة. وعندما أنهضوا طيباريوس سقط من جديد على وجهه وهو يصرخ، عندئذ صاح الحشد فى صوت واحد بصيحة جبارة ولم يستطع أحد منهم أن يحبس دموعه نظرا لما يسمعه من الملك وهو يبكى ذلّه، فأمر الملك رجال البلاط فأوقفوه فى النهاية، وتحدث معه ببكاء شديد ثانية بالرغم مما سبق. وبعد ذلك ألبسه الحلة الملكية قائلا "ستلقب من الآن بقسطنطين، كأن مُلْكْ قسطنطين العظيم (٥) . تجدد بك"، وعندئذ صار طيباريوس قيصرا فى صباح يوم الجمعة السابع من شهر كانون الأول (يناير) فى سنة ثمانمائة وثمانية وست (يونانية= ٥٧٤م) وعلم الناس كلهم أن هذا الكلام كله كان حقيقة من ملاك الله الذى تحدث به مع جستين، وأقيمت تماثيل لكليهما والملاك يتوسطهما وفمه على أذن الملك جستين وهكذا آمن الناس بذلك. ودوّن كثيرون تلك الأخبار على الفور علاوة على كلام جستين الحزين الموجع الذى قيل هناك، ونظرا لكثرة الكتبة فقد تمهلنا وأهملنا الاسهاب فى شرح هذا الموضوع.

الفصل السادس

عن نهاية مُلْك جستين ومُلك الرحيم طيباريوس

عاش الملك جستين أربع سنوات مع طيباريوس بعد أن أعلنه قيصرا. وقد أمل طيباريوس والناس كلهم فى شفاء جستين، خاصة وأن أهل المدينة كانوا يرونه أحيانًا وهو ذاهب إلى مضمار سباق الخيل بمفرده فى الصباح، وأحيانا أخرى كان يجلس فى مجلس الشيوخ ويتقبل التحية، وأحيانا كان يوزع الهبة الامبراطورية، إذ كان الحجاب يضعون فى يده الذهب ثم يلقيه هو فى أيدى السائلين. وكانت المحنة تعاوده أحيانا، بعدما ازدادت عليه آلام ومحن أخرى علاوة على الألم الشديد الذى كان يعذبه ويلازمه دائما. وكان القيصر محب الله طيباريوس يتصرف فى شئون الدولة كلها، خاصة هجمات البرابرة والفرس على حدود الدولة، والتى كان يستشير الامبراطور بشأنها، فقد كان جستين يتمالك قواه العقلية أحيانا ويفعل ما يعن له. وبعد أن مرت

السنوات الخمس التى ذكرناها آنفا ولم يتحقق ما أمل فيه طيباريوس وكثيرون غيره، بل ازدادت عليه الآلام والأوجاع القاسية. فكثيرا ما كان يصرخ فى خدامه ويرجوهم قائلا أأتوا بالسيف واقتلونني به، فالموت أفضل لى كثيرا من حياة العذاب والشقاء هذه"، وأحيانا كان يصرخ فيهم لكى يفتحوا أبواب البلاط الملكى كلها ليصعد الناس لرؤية الملك الذى يرغب الموت ويشتهيه أكثر من الحياة ولا يناله. وبعد ذلك كان يتعذب من الألم الشديد ومن الحصوات التى تسبب له ألما شديدا فى أمعائه. وبينما كان على هذه الحال من العذاب، جاءه الأطباء ليختتنونه وهم خائفين كعادة الأطباء، فطلبوا منه أن يعطيهم السكين، أما هو فقد استحلفهم ألا تأخذهم به شفقة لكى يموت، قائلا لهم "لا تخشوا شيئا فليس عليكم مسئولية إن متُّ"، وبعد ذلك ختنوا خصيتيه حتى تعفنت أعضاؤه السرية، وقيل أن جسده تعفن وتشقق، وقال بصوت عال وهو يتألم "عادلة هى أحكامك يا الله، فقد جُزيت الآن بالغضب فى هذه الأعضاء التى مارست بها الخطيئة، وعن السيئات التى اقترفتها بجسدى". ولما أدرك أنها نهايته دعى القيصر ووعظه كثيرا وحذره قائلا " يابنى ها أنا أموت فاقترب منى وتقبل تاج المملكة، واحذر ولا تقترف السيئات فتغضب الله، واحرص على مملكة الرومان". وهكذا تسلم طيباريوس التاج فى يوم الأثنين السادس والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) فى سنة ثمانمائة وتسعين (يونانية= ٥٧٨م). وعاش جستين معه أياما بعدما توّجه إمبراطورا ومات فى اليوم الرابع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) من نفس العام.

الفصل السابع

عن الملكة صوفيا وأحداث أخرى

بعد وفاة الملك جستين، ظلت الملكة صوفيا مع الملك طيباريوس فى البلاط الملكى، وكان طيباريوس يعاملها باحترام كبير، لكنها لم تأبه باحترامه كما قيل. إذ طالبه مجلس الشيوخ قبل أن يعلنوه قيصرا بإقرار وتعهدات كثيرة بأنه إذا مات الملك يعامل صوفيا باحترام ولا يسئ إليها. وقد التزم بذلك كما سيتضح. فبعد موت الملك جستين أبقاها فى البلاط الملكى باحترام، وقال لها "أنت أمى فاستريحى هنا، وأطلبى ما شئت"، ثم شرع يستعطفها لكى تأتى زوجته وتحيا معه بعدما صار ملكا. أما صوفيا فلم يطب لها ذلك ولم تكن مرتاحة، وعندما كان جستين على قيد الحياة قال لها أيضا "أتركى زوجة القيصر تعيش معه، فهو شاب قوى وجسده لا يحتمل حياة العزوبية"،

فانقلبت عليه ووبخته بقولها "يا أحمق! أتريدني أن أصبح مثلك حمقاء، يا من ألبست عبدك رداء ملكك"، ثم أقسمت بعدئذ بقولها "لن أعطى ملكى وردائى لامرأة أخرى فى حياتى، ولن تأت هنا امرأة أخرى فى حياتى". وهكذا ظلت زوجة القيصر طيباريوس على هذا الحال لمدة أربع سنوات قبل وفاة جستين، وظلت صوفيا ترفض أن تصعد زوجة طيباريوس إلى البلاط الملكى، حتى اضطر القيصر أن يأتى بزوجته وابنتيها ويجلسهن فى قصر هورمذداس(٦) . التابع للبلاط الملكى، وكان يبيت معهن ليلا ثم يعود إلى البلاط الملكى فى الصباح. وقد قيل على لسان آخر وبواسطة البطريرك أنه قال له أن يترك زوجته ويتزوج إما من صوفيا أو ابنتها التى كانت هى الأخرى أرملة. فلما سمع طيباريوس هذا الكلام تضايق جدا، ورد على هذا الكلام باستياء شديد قائلا "أيحسن أمام الله وفى نظركم أن أترك المرأة التى رزقت منها بثلاثة أبناء، والتى تزوجتنى ولم أك أملك شيئا، والآن أتركها بعدما عظم الله قدرى وأتخذ غيرها زوجة لى". وهكذا لم يرض طيباريوس أن يقترف هذا الأثم.

الفصل الثامن

قصة إينو امرأة القيصر من البداية وأحداث أخرى

أما إينو زوجة القيصر فقد كان لها زوج فى البداية يدعى يوحنا، وكان مستشارا رومانيا. وكانت هى من قلعة دفنه(٧) ، وكانت لهما ابنة خطبها طيباريوس لما كان مواطنا رومانيا فقط. وحدث أن مات والد الفتاة، وماتت الفتاة قبل أن يتزوجها طيباريوس وأصبحت أمها أرملة، ولم يعد لها من راع سوى الله. فتزوجها طيباريوس ورزق منها بثلاثة أبناء، وبعدما أرسل وأتى بها إلى قصر هورمذداس، كانت تقيم هناك وهى غير مطمئنة وتخشى على حياتها. إذ لم يكن يجرؤ أحد على الذهاب لرؤيتها حيث تقيم. وكانت زوجات أعضاء مجلس الشيوخ قد اجتمعن، وكن خائفات أن تغضب الملكة صوفيا منهن إذا توجهن لتحيتها، فتوجهن إلى البلاط الملكى للتشاور مع الملكة فى ذلك، حتى إذا أمرتهن بالذهاب لتحية زوجة القيصر فلا يُلمْن بعد ذلك. فلما سمعت صوفيا كلامهن رمقتهن بغضب وأجابتهن بغلظة قائلة "اذهب فاهدئن، فليس هذا من شأنكن". وهكذا لم يجرؤ أحد على الذهاب لزيارة زوجة القيصر، حتى تمكنت من ترك المدينة وهربت عائدة إلى دفنه، وهناك مرضت أيضا فاضطر القيصر أن يذهب للاطمئنان عليها ثم عاد ثانية إلى القسطنطينية.

الفصل التاسع

خبر وصول زوجة القيصر للبلاط الملكى

ولما مات جستين بعد أن تسلم طيباريوس تاج المملكة، كما أوضحنا آنفا. توسل طيباريوس للملكة صوفيا أن يرسل ويأتي بزوجته إلى البلاط الملكي وتُصبح ملكة هى أيضا. وعندما سمعت صوفيا ذلك لم تستحسنه ولم ترضه، ولم تستطع أن تمنعه أيضا. وقد أرسل طيباريوس فى أثر زوجته الحاكم الإمبراطورى مع غيره من أعضاء مجلس الشيوخ فى موكب عظيم يتألف من قوارب كثيرة. فلما خرجوا لكى يأتوا بزوجة الملك لكى تتوج هى أيضا، وبلغوا دفنه وعلمت زوجة الملك بوصولهم أرسلت لهم قولها" لتأتوا فى الصباح ونتوجه سويا إلى العاصمة"، وبعدما جاءهم ذلك الرد. أُعد لهم مكان للمبيت وباتوا فيه حتى الصباح. أما هى فأرسلت من فورها إلى أحد خدامها الأمناء قولها" اذهب وجهز لنا قاربا، فإننى أبغى القدوم ليلا إليك وأرسل بواسطتك إلى رسل الملك دون أن يعلم أحد بذلك". وتم إعداد القارب فى منتصف الليل واصطحبت معها ابنتيها وخادما أمينا فى القارب، وتركت خدامها الآخرين ليخبروا الحاكم ومن معه بألا يتأخروا هنالك، فالتى يبغونها قد وصلت إلى العاصمة قبل شروق الشمس. فلما علم الحاكم ومن معه بذلك تضايقوا جدا، وعادوا إلى المدينة خائفين لأنهم رجعوا بدونها. أما هى فدخلت البلاط الملكى فور وصولها، وصعد إليها البطريرك أوطيخا (٥٧٧-٥٨١م) وأعضاء مجلس الشيوخ والملك وألبسوها الملابس الملكية، ثم ركبت الهودج الملكى لكى تصل إلى الكنيسة (كنيسة آجيا صوفيا) وقد اصطحبها أعضاء مجلس الشيوخ والحجاب وقد اصطفوا صفين على الجانبين ولما شرعوا يهتفون لها، دعاها فريق الحلة الزرقاء أنسطاسيا، ودعاها فريق الحلة الخضراء [٨] . هيلانة، فبينما كان هؤلاء يهتفون لأنسطاسيا، كان أؤلئك يهتفون لهيلانة، وحدثت جلبة شديدة أفزعت كل من كان هناك. أما هى فدخلت الكنيسة وقدستها ثم عادت إلى البلاط الملكى. أما ما حدث بينهما (إينو وصوفيا) فلم يكن من حقنا أن نرويه، وما رويناه أيضا ما كان لنا الاهتمام به لولا أن أحداث المملكة ترتبط بأحداث الكنيسة، ولأن تلك الأحداث كانت تمثل تغييرا فى المملكة ليعرفها الناس أجمعين والمجد لله.

الفصل العاشر

عن الملكة صوفيا وما حدث لها فى النهاية

أما الملكة صوفيا، فبعد وفاة الملك جستين أضمرت المكائد بمرارة وعقد الشر للملك طيباريوس الملقب بقسطنطين. إذ تكدرت عندما وجدته وزوجته قد سيطرا على المملكة، فى حين أنها فقدت ملكها وهى حية. لأنها ساسته بلا عدل ولم تشعر بخوف من الله، وكأنها لم تدرك أنه وجب عليها أن تخشى الله فتسلك طريق القديسين. لكن حق عليها القول كما يقول الإنجيل عن مثل هؤلاء "أنه من أجل قساوة قلبك غير التائب تدخر لنفسك كنز غضب ليوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة، الذى سيجازى كل إنسان حسب أعماله"(٩) . وكذلك حقت عليها القول فمن أجل قساوة قلبها وفكرها المتكبر لم تتب ولم تخش الله، فسقطت هى أيضا من ملكها؛ الذى أقسمت ألا تتنازل عنه لأخرى فى حياتها، وبدون رضاها خلعت من ملكها ووهب لأخرى عندما سقطت هى. وقيل أنه عندما توفى زوجها أخرجت صوفيا قناطير كثيرة من الذهب من البلاط الملكى ونقلتها إلى بيتها(١٠) . ولأننا لم نتأكد من الحقيقة لم نرغب فى الكتابة عنها. لأنه قيل أنها كانت قناطير كثيرة علاوة على مقتنيات ملكية أخرى. وعندما علم الملك طيباريوس لم يتركها تنتقل من البلاط الملكى، حيث قال لها" اجلسى واستريحى كأم لنا، وكل ما أمرت به نحن له فاعلون". وهكذا ظلت صوفيا فى البلاط الملكى حزينة ومنكسرة ومتكدرة تندب حياتها لأنها أُهينت واحتقرت وانفض الناس كلهم من حولها وغدت كالميت الحى، وكأنها غير موجودة وهى حية.

الفصل الحادى عشر

عن بداية عهد الملك طيباريوس

ومنذ أن صار طيباريوس قيصرا شرع يغدق عطاياه السخية على الناس كلهم، فأينما كان يخرج من البلاط للصلاة أو لأى مكان كان يوزع هباته(١١) . على الناس وعندما كان يستقل قاربا فى البحر كانت القوارب تسرع نحوه مقتربة وتلتف حوله فكان يلقى عليهم هباته. حتى لامه جستين وصوفيا، ووبخاه لأنه يبذر المال، ونزعا منه مفاتيح الخزانة، وتركوا مقدارا من الذهب تحت تصرفه. وهكذا حداً من عطاياه السخية. وبعد أن صار ملكا وصارت له السيطرة الكاملة، قيل أنه ما أن رأى خزائن البلاط الملكى متكدسة بالمال حتى شرع ثانية فى الأخذ منها والإنفاق ببذخ شديد، إذ

بدأ يمنح الأجوسطيقا[١٢] . التى تسمى الدوناطيفا، والتى لا تزيد عن تسع دريكونات[١٣] ؛ تلك التى يمنحها الملك الجديد للجنود كلهم، لهؤلاء الموجودين فى الشرق فى مواجهة الفرس. وأرسل لهم ثمانية قناطير (٨٠٠ ألف رطل) من الدوناطيفا، بل زاد على ذلك وأراد أن يوزع العطايا بصورة لم يسبقه إليها ملك رومانى آخر. إذ أمر بمثول جماعة المحامين أمامه فى البلاط، وكانت أعدادهم كبيرة جدا، فوهب كل واحد منهم ما بين الخمسة عشر والعشرين دوناطيفا، كما حظى الأطباء بعطاياه السخية، فقد منح الواحد منهم ما بين العشرة والأثنتى عشرة دوناطيفا، وإذا كان منشرح الصدر أعطى صانعى الفضة والصيارفة رطلا من الذهب أو ما بين خمسين أو ستين دريكونات. كما أغدق عطاياه على ضباط الجيش والرسل وأرباب الحرف الأخرى، وقال"لماذا يتكدس الذهب ها هنا والشعب يخنقه الجوع". وهكذا كان يبذر الأموال بلا حدود، لكنه أمسك يده بعدما صار ملكا، إذ لم يسمح لأحد بالاقتراب منه لهذا الغرض.

الفصل الثانى عشر

عن القيصر عندما كان يتضايق من البطريرك يوحنا السرمى

عندما كان البطريرك يوحنا يضايق القيصر طيباريوس محب الله فى كل يوم، من أجل القائلين بالطبيعة الواحدة الذين هم الأرثوذكس، فإن القيصر استحلف البطريرك يوما بالله لكى يصدقه القول إن كانوا هراطقة (كفار) أم لا؟ وبالرغم من أن البطريرك كان مخادعا، إلا أنه عندما استحلفه لم يستطع الكذب بل أجابه قائلا"إنهم ليسوا هراطقة فى الحقيقة، ويؤمنون إيمانا صحيحا، لكنهم يبتعدون عنا وعن الكنيسة الرسمية، ولا يريدون الاشتراك معنا فى الطقوس". وعندئذ رد عليه القيصر بقوله" مادمت قد شهدت بأنهم مؤمنين حقا ومسيحيين، فلماذا إذا تحرضنى لكى أكون مضطهدا للمسيحيين كدوقلديانوس[١٤] ، اذهب واهدأ كفانا حروبنا مع البرابرة، لا تورطنا فى حروب مع أتباعنا أيضا.

الفصل الثالث عشر

عن اضطهاد الهراطقة الذى أمر به طيباريوس

بعدما تقلد طيباريوس الملقب بقسطنطين تاج الملكة، أمر بالخروج للصلاة فى كنسية آجيا صوفيا[١٥] لما كان جستين لا يزال على قيد الحياة. وعندما دخل الكنيسة واجتمع أهل المدينة كلهم لرؤيته، علاوة على الشعوب الأجنبية الغفيرة التى زخرت بهم القسطنطينية. وبعدما مجدوه كعادة الملوك عادوا يهتفون "لتنبش عظام الآريوسيين، لتنبش عظام الهراطقة والوثنيين كذلك، وليتعاظم إيمان المسيحيين". فلما سمع طيباريوس تلك الهتافات والكلام السابق ضد الآريوسيين استاء جدا، ولم يبح بذلك لأحد فى الكنيسة، لكنه صلى ووضع التقدمة (القربان) كعادة الملوك الجدد ثم عاد إلى البلاط. فأمر على الفور بملاحقة من هتفوا أمامه فى الكنيسة ضد الآريوسيين والقبض عليهم لأنه اعتقد أنهم هتفوا ضده لأنهم ظنوه آريوسى ويخفى ذلك. والحقيقة أن هذا الاعتقاد لم يكن ببعيد عن أذهان الكثيرين، فمنذ فترة وجيزة اجتمع جمهور كبير من القوط ونسائهم بالمدينة أؤلئك الذين قدموا لقتال الفرس، وكانوا جميعا من أتباع آريوس. وقد طلبوا من طيباريوس كنيسة يتعبدون فيها. أما هو فلم يرغب أن يضايقهم لكى يبذلوا جهدهم فى القتال ضد الفرس. وأرسل لهم قائلا "سنناقش هذا الأمر مع البطريرك يوحنا السرمى". ومن ثم انتشرت بالمدينة كلها إشاعة أن القيصر آريوسى قبل أن يتويج طيباريوس إمبراطورا. لهذا اجتمع رجال الكنائس وهتفوا تلك الهتافات فى وجهه. وبعدما أمر بالقبض عليهم وجئ بهم أمامه قابلهم بغضب شديد وقال لهم "ماذا وجدتم فىّ من الآريوسية لكى تسبوننى وتهتفون فى وجهى ضد الآريوسيين". ولما اعتذروا له بشدة أطلق سراحهم، وأمر بكتابة مرسوم علق بالمدينة يقضى بالقبض على الآريوسيين والمونتانيين والسمبطيين[١٦] . وقد تم القبض على كثير منهم وانتهز المضطهدون هذه الفرصة لنهب الناس بالخداع وبدون خوف. ومن ثم دفع السجناء أموالا طائلة للحصول على حريتهم، وتعرض الأرثوذكس للاعتقال وقاسوا العذاب أياما طوالا. وطُلِب منهم أن يدفعوا المال وعندئذ يتحررون جميعا.

الفصل الرابع عشر

عن هبات الإمبراطور طيباريوس

انفق طيباريوس هبة كبيرة فى السنة التى انفرد فيها بالحكم. فقد انفق وفقا لما قاله هو والناس أجمعون سبعة آلاف ومائتين كيلو ذهبا، هذا بخلاف الفضة والملابس الحريرية وأشياء غيرها. فزاد الأغنياء وأهل اليسار[١٧] ثراءا، أما المساكين فلم ينفعهم بشئ. وعندئذ غضبت عليه صوفيا ولامته بقولها "أنت تبعثر ما جمعناه باجتهاد وكد كالمذراة تذر المال أدراج الرياح". أما هو فأجابها بقوله "إننى متعجل ألا أبقى شيئا مما جمعتموه بالظلم والنهب والخطف فى بلاطى". وقد أمر طيباريوس قبل ذلك باعفاء كل إقليم من ربع الضريبة[١٨] . المقررة عليه. وبعدما صار إمبراطورا ألغى ضريبة الدرخمات الأربع[١٩] . التى فرضها الملك جستين الثانى على الخبز، وقد شرعها قسطنطين العظيم (٣٠٦-٣٣٧م). فقد طالبه الشعب برد قيمة هذه الضريبة، فرد لهم حقوقهم. وعندما كان طيباريوس قيصرا قام بعمل آخر من أعمال البر، إذ كان مفروضا على السفن والخمور أن يدفعوا قسطا واحدا عن كل جرة خمر يحملونها[٢٠]، وقد بلغت قيمة هذه الضريبة قناطير كثيرة، وتكبد التجار عناءا وخسراناً كبيرا فى كل مكان. ولما رفعوا إليه شكواهم أمر طيباريوس بإلغاء هذه الضريبة أيضا. وهذا ما قام به فى بداية عهده، أما ما انتهى إليه فهو معروف. وقد أظهر طيباريوس دليل إيمانه إذ كان جستين قد طبع على عملته[٢١] . صورة لصنم ما تقليدا لكثيرين من الملوك السابقين، أما هو فقد أمر بطبع علامة الصليب على عملته. وقد ذكر طيباريوس أن هذا الأمر جاءه فى الحلم[٢٢] .

الفصل الخامس عشر

اضطهاد الهراطقة والأرثوذكس

عندما أثير تيار الاضطهاد على الهراطقة، انجرفت فيه جماعات الأرثوذكس أيضا بسرعة كبيرة. إذ انقض المضطهدون فى بادئ الأمر على يوحنا الملقب بمراقب الوثنيين والذى كان أسقفا على مدينة أفسس، الذى كان يقيم فى القسطنطينية لسنوات طويلة[٢٣] . فاعتقلوه وأتباعه كلهم وسجنوهم فى سجن يسمى قنقلا. وقد قاسوا من قبل الحبس والتشريد. وقد قضوا أعياد الميلاد فى السجن، وكان السجن عبارة عن بيت تنبع المياه من جوانبه الأربعة، فكان وكأنه جزيرة فى وسط البحر. وكانت المياه

تتساقط أيضا من سقفه بعد توقف الأمطار لمدة يومين لأن السقف كان مشقوقا. وهكذا كانوا وكأنهم وسط بحيرة، وكان لزاما عليهم القيام بتفريغ المياه على الدوام، وكانوا ينامون على الأسرة التى يدفن فيها الموتى، لأنهم لم يجدوا مكانا سواه يريحون عليه رؤوسهم. وأثناء هذا الكرب العظيم كان المضطهدون يرسلون إليهم الأساقفة والمطارنة وغيرهم من رجال الكنيسة لكى يجادلونهم صباحا ومساءا، فكانوا يدافعون عن الإيمان القويم علانية دون خوف لأن النعمة الإلهية التى كانت ترافقهم لم تتخل عنهم أبدا. ولما كان المضطهدون من أتباع الطبيعتين ينهزمون كانوا يوجهون إليهم الشتائم والإهانات. وقد قضى يوحنا فى السجن حوالى ثمانية عشر يوما. وعندما كان الملك يوزع الهبة، كان المضطهدون يؤلبون عليهم أعضاء مجلس الشيوخ وإدارى الكنيسة ورجالها(٢٤) . وغيرهم من المدنيين. وعندما رفض يوحنا أن يرضخ لإرادتهم حكموا عليه بالنفى من المدينة، وأطلقوا سراحهم من السجن. وهكذا تحرروا من السجن، وهم فرحين ويشكرون الله لأنهم استحقوا أن يتألموا أيضا من أجل اسمه. وقد أرسل البطريرك أوطيخا (٥٧٧-٥٨١م) وخطف كرسيا كان يوحنا يجلس عليه لأن رجليه كانتا تؤلمانه، حيث أصيب بمرض النقرس. وقد حدثت أمورا كثيرة ذكرنا القليل منها.

الفصل السادس عشر

عن اعتقال المجتمعين فى كنيسة مريانوس (٢٥)

وفى اليوم التالى بعدما تحرر الأسقف يوحنا الآسيوى وأتباعه من السجن، اجتمعت فرقة المضطهدين، التى ليس بغريب أن تُدعى جماعة اللصوص. وتوجهت إلى كنيسة الأرثوذكس التى اجتمعت فى بيت المملكة العظيم مريانوس فى يوم الأحد. وبينما كانت الكنيسة كلها مجتمعة دخلها المضطهدون وانقضوا على المجتمعين وقبضوا على أكثرهم. وكانوا كالوثنيين إذ قلبوا المذبح وهدموه وألقوا ما عليه من خمر مقدس كما بعثروا الخبز المقدس(٢٦) . وبعدما هدموا الكنيسة كلها وخربوها جروا رجال الدين وموظفى الكنيسة على الأرض ثم أنزلوا أيقونات(٢٧) . الطوباويين سويروس الأنطاكى وثيودوسيوس السكندرى وحملوها خلف رؤوسهم للسخرية، وساروا بها علانية هكذا، ثم حبسوا من كانوا بالكنيسة فى السجن حيث كان يوحنا وأتباعه من قبل. وقد سلب المضطهدون غالبية من قبضوا عليهم وأذلوهم وخطفوا وسرقوا منهم كل ما وقعت عليه أيديهم. وبعد أيام أرسل إليهم أوطيخا وأتى بهم إلى مقر الأسقفية ثم جادلهم فى أمور كثيرة، وعندما جن الليل عليهم أطلق سراحهم. فلما علم الملك بذلك زجره فتوقف أوطيخا عن ذلك فى الحال.

الفصل السابع عشر

عن البطريرك أوطيخا (٥٧٧-٥٨١م)

أما عن البطريرك أوطيخا، فقد دُعي لرئاسة الكنيسة وأشيع عنه أنه قديس يأتي بمعجزات ويرى رؤى. وهذا ما كان يهذى به ويعتقده في نفسه. فلما دخل الكنيسة، التي صدر حرمانه منها على يد البطريرك يوحنا السرمي، وصعد واعتلى عرش الكنيسة وكان حرمانه مازال قائما ولم يبطل، لذلك انشق عنه كثيرون وابتعدوا عن الاشتراك مع رجل محروم (مطرود) من الكنيسة بواسطة البطريرك السابق عليه. وهذا ما كان من أمره في البداية، ثم دخل الكنيسة وقبل رسامة الأساقفة دون تمحيص أو دقة، شأن كل أموره من أجل الاستيلاء على الكرسي البطريركي فقط. أما العثرة الثانية التي كانت منه في الكنيسة أنه ارتد عن الإيمان القويم، فبعد عدة أيام سمع عن أناس قد اعتُقلوا بتهمة اتباع تعاليم يوحنا النحوي السكندري المنحرفة؛ وقد تحدثنا عن هذا الموضوعِ في الكتاب السابق[٢٨] ، الذي اجتهد فقال "أن أجساد البشر هذه لن تبعث يوم القيامة بل غيرها". وتشبه أوطيخا بأولئك الذين ينكرون القيامة فشرع يجادل ويؤكد أن هذه هي الحقيقة، فهذه الأجساد لن تبعث بل غيرها ستقوم بدلا منها. وعندما جادله بعض أساقفته وغيرهم من رجال الكنيسة في رأيه هذا ازداد تشبثا برأيه وقد أصر عليه، حتى أنه كتب مقالا عن هذا الاعتقاد ووزعه ضمن منشور على نساء عظيمات لكي تقرأنه ويتتلمذن عليه. وقد ذكر أشياء أخرى شبيهة بما سبق تحدث بها وفعلها كرجل أحمق، ومن ثم اعتبره كثيرون رجلا أحمق فقد عقله. وقد اتضح بعد ذلك أن الشيطان جاءه وصرعه واعترض طريقه. ويذكر أن الشيطان صرعه مرتين، حدثت المرة الأولى أمام الكنيسة كلها إذ عندما كان أمام المذبح في الكنيسة الكبيرة آجيا صوفيا هزه الشيطان بعنف، فأخرجوه محمولا على الأيدي بسرعة. أما المرة الثانية فحدثت في كنيسة والده الإله (المقصود هنا السيدة مريم في المسيحية وفقا لمذهب أتباع الطبيعة الواحدة) الطوباوية بخلقفرطيون[٢٩] . وقيل أن الشيطان كثيرا ما كان يصرعه في مقر أسقفيته حتى أن الذين أرادوا كتمان أمره قالوا "أن مزاجه متقلب بسبب الصوم والسهر الطويلين، وهذا ما يؤثر على عقله ويعذبه ويصرعه وليس به مس شيطاني". وكثيرون غيرهم تساءلوا قائلين "وهل المزاج هو الذي يطرحه أرضا ويعترض طريقه، فيزبد فمه ويتدحرج على الأرض". ومن ثم اتضح للناس أجمعين أن ما يفعله من أثر الروح الشريرة التي شتّتت عقله وأظلمته، لأنه كان يتمتم بكلام مبهم ويأتي بضحكات لا تتناسب مع مركزه الديني. وفعل اشياء أخرى شبيهة بذلك. وقد ألف كتابا

خصصه من أوله لآخره للدفاع عن الإيمان بالطبيعتين بعد الاتحاد[٣٠] . ولام الآباء الأبرار الذين يؤمنون بالثالوث المقدس وينكرون الرباعية. وقد أرسل كتابه إلى بيوت علية القوم لكى يقتدون به، فكان كل من يقرأه يضحك مما فيه ويسخر من كاتبه الذى فقد عقله. وشاع فى القسطنطينية كلها "أن هذا الذى قيل عنه أنه يأتى بآيات ومعجزات قد فقد عقله".

الفصل الثامن عشر

عن البطريرك أوطيخا وتكبره

تكبر أوطيخا على هذا النحو وأخذته العزة بالأثم عندما استولى على كرسى كنيسة العاصمة، وقد تحدثنا عن ذلك فى الموضوعات السابقة. ولما كان الملك طيباريوس يعامله باحترام كبير، فمن ثم سيطر عليه الكبرياء والكبر والزهو لدرجة أنه تعدى حدوده وتفوه بكلام كثير وتافه. ومن هنا بدأ الناس أجمعون فى الحديث عنه وسخروا منه كرجل مجنون. وقد ألف كتابا كبيرا دفاعا عن الطبيعتين؛ كما أوضحنا آنفا. وأرسله إلى بيوت العظماء وحث أعضاء مجلس الشيوخ وزوجاتهم؛ ولاسيما من يعارضون القول بالطبيعتين، على قراءته والامتثال لما فيه والإقرار بكل الطمأنينة بالطبيعتين بعد الاتحاد، لأن من لا يعترف بذلك فهو هرطوقى أوطاخى[٣١] . وقد أدرك الناس ما به من تفاهة وهكذا كان الجميع حتى أتباعه يسخرون منه ويعيدون إليه كتابه.

الفصل التاسع عشر

عن معارضة البطريرك أوطيخا للقول "يا من صلب من أجلنا" [٣٢]

وعندما تشدد أوطيخا وتعجرف أيضا وأظهر غيرته ضد القول "يا من صلب من أجلنا"، فهدد وتوعد كل من يتجاسر على ترديد هذا القول. ولأنه كانت بالعاصمة جماعات الراهبات الشهيرات اللائى انتقلن إليها من أنطاكيا فى بداية زمن الاضطهاد، وأقمن بأماكن متفرقة من العاصمة. وكن يرددن عبارة "يا من صلب من أجلنا أرحمنا"، وفقا للتقليد الشرقى. فقد توجه أوطيخا إليهن بصحبة مساعديه وشرع يضغط عليهن

وعلمهن ما يدعو إليه. كما توعدهن أيضا بالعذاب إذا لم يرجعن عن القول السابق. ونظرا لأن المنتصر جستين قد صب عليهن جام اضطهاده فى أيامه، فمنهن من خضعت ومنهن من لم تخضع، ولذا اجتمعن سويا وقد امتلأن شجاعة فعارضن أوطيخا بقولهن "كفانا أنكم أجبرتمونا على تبديل إيماننا وإفساده، أما أن نكفر بالرب (المسيح) الذى صلب وتألم ومات من أجلنا، فهذا ما لا نقبله وإن قتلتمونا وصلبتمونا أو حرقتمونا". وعندما عارضنه بشدة وواجهنه بحماسة وقوة، قال له مساعدوه لما رأوا ما كان منهن، "هلم يا سيدنا ولترجع إلى الكنيسة، فقد حان وقت الصلاة"[٣٣] . وهكذا خرج من هناك دون أن يلحق بهن شيئا مما خطط إليه. ثم كتب بعد ذلك منشورا طويلا وأرسله إليهن وهو يشتمل على تعليمه ومعارضته ووعيده لهن. لكنهن لم يقبلنه وقلن "إنما نحن نسوة ولا طاقة لنا بالجدال، نحن لن ننفصل عن تقليد الآباء الشرقيين (الأساقفة ورجال الكنيسة الأول) حتى الموت". فلما شاع هذا الخبر فى أرجاء المدينة وبلغ البلاط الملكي والملك، لاموه وكف البطريرك أوطيخا قليلا عن جداله هذا وهدأ.

الفصل العشرون

عن بغض أوطيخا الشديد للأرثوذكس كافة

عامل البطريرك أوطيخا الارثوذكس ببغض شديد فى السنة الرابعة لتوليه الكرسى البطريركي مثلما كان منذ البداية. إذ أرسل مندوبيه فأمسك الكهنة الأرثوذكس، وخطف الأموال وسجن المؤمنين، وهدم المذابح فى كل مكان ونزع ما بها من أيقونات، وخطف وسرق كل ما وجده بها من أدوات الخدمة الدينية والملابس والسجاجيد والكتب والأرصدة والأوانى. وخلاصة القول أنه وأتباعه سرقوا علانية كل ما وجدوه أينما ذهبوا. كذلك اختطفوا الكهنة والأساقفة وقتما شاؤوا فحبسوهم فى السجن بضيق شديد. وهناك كان السجناء فريسة للنهب من جديد، فمن لم يك يملك منهم شيئا كان يستدين ويعطيهم إياه، وهكذا فقط كانوا يتخلصون من السجن، دون أن يستردوا شيئا مما سلبه منهم ناهبوهم. أما المعدمون منهم فكان مصيرهم النفى والسجن فى الأديرة من جديد. أما أوطيخا فقد توجه إلى الملك الرحيم طيباريوس واشتكى المؤمنين كلهم ظلما وبدون خوف من الله، وبينما كان الهراطقة الآريوسيون والمقدونيون[٣٤] والسمبطيون والمانويون والمرقيونيون[٣٥] والمونتانيون آمنين كلهم، كان المؤمنون الحقيقيون وحدهم يلاحقون وينهبون، ويزج بهم إلى المنافى المختلفة فى المدن البعيدة والجزر المتفرقة فى البحر، حيث خضعوا لكل عذابات الأسر القاسية والسجن والكئيب، وذاقوا الجوع والعطش وتعرضوا لشتى المحن. ولولا رعاية العناية الإلهية ومؤازرتها لهم لما بقى منهم أحد على قيد الحياة، كما كتب عن الضيق الذى سيحدث فى نهاية العالم[٣٦] .

الفصل الحادى والعشرون

عن الملك طيباريوس وطبعه النبيل المتواضع وأحداث أخرى

لما كان الملك الظافر طيباريوس غارقا فى خضم الحروب التى ضيقت عليه الخناق من كل جانب، وكان الأسقف أوطيخا يدخل إليه فى البلاط يوميا ويحرضه ضد القائلين بالطبيعة الواحدة(٣٧) ، قال له الملك" كفانى الحروب التى تورطت فيها، اذهب ودبر سلطانك وشئون الكنيسة كيفما شئت، ولتعلم أننى برئ من هذا الذنب". لذلك وسع أوطيخا نطاق الاضطهاد بلا خوف من الله أو الملك، من أجل النهب وليس بدافع الإيمان. ومن ثم لم يتوان أن يرسل لكل البلاد والمدن العظيمة لكى يجعل فيها مضطهدين على شاكلته يصبون آتون الاضطهاد الجائر فوق رؤوس القائلين بالطبيعة الواحدة فى كل مكان. ولذا تحمس أولئك المضطهدون وأتباعهم من أجل الخطف ونهب الأموال والسرقة العلنية، فأثاروا اضطهادا فى كل البلدان بحجة الدفاع عن الإيمان. وقد أهمل الملك هذا الموضوع، ولم يفسح مجالا للتقاضى أمامه بسبب الحروب التى حاصرته من كل جانب.

الفصل الثانى والعشرون

عن وداعة الملك طيباريوس

ليكن معلوما لكل من سيقرأ هذه الفصول التاريخية فيما بعد، أننا قد توخينا الدقة فى الوصول إلى الحقيقة. وهكذا كتبنا ما سبق من أحداث، ليس لأننا نعارض البطريرك أوطيخا. فإذا كنا قد انحرفنا عن الحقيقة قيد أنملة، فليس لأننا متحمسون لكى نتفوق عليه أو نسخر منه. وما كتبناه أيضا عن الملك الوديع لم يكن تملقا، ولكن لأننا قد حرصنا على الدفاع عن الحقيقة. ولأننا واظبنا أنا وآخرون معنا والملك طيباريوس؛ عندما كان شابا ولم ينبت شعر لحيته بعد، على الوقوف أمام الملك جستين الثانى. ومنذ ذلك الحين سبرت غور هذا الرجل وعرفت عاداته، ومن ثم استحق أن يعتلى عرش المملكة. أما عاداته فمعروفة الآن لكل الناس بلا عناء. وقد ظل على هذا الحال من النبل والتواضع بدون تغيير. ولم يعرف الزهو بالنفس وهو الفتى الذى يقبض بين يديه على سلطان المُلك. وقد أمر بألا يقتل أحد أو ينتهب مثلما فعل من سبقه فلطخ نفسه ويديه بالدم الطاهر. لكنه تصرف منذ البداية بتواضع وظل هكذا حتى السنة

الثالثة من عهده الملكى (سنة ٥٨٠م) عدا السنوات الأربع حيث كان قيصرا، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن ما يزال على هذا المنوال. حتى لامه كثيرون لأنه هادئ ومتواضع ولا يهابه الناس، ومنذئذ وهو يسوس شئون البلاد بوداعة.

الفصل الثالث والعشرون

عن البناء الذى شيده طيباريوس فى البلاط الملكى

كان الملك جستين وزوجته يقيمان فى البلاط الكبير أوثنطقون [٣٨] ، أما الملك طيباريوس الملقب بقسطنطين فقد اضطر أن يقيم فى أحد ملاحق البلاط السابق، عندما كان قيصرا. فلما مات جستين ظلت زوجته صوفيا فى البلاط الملكى، ولم يستطع طيباريوس أن يخرجها منه، كما أنها لم تدعه يقيم فيه. ولأنه اضطر لذلك بعدما أصبح إمبراطورا، ولاسيما بعدما جاءته زوجته وابنتاها، لكن نظرا لأنه لم يرغب أن يضغط على الملكة صوفيا أو يجبرها على إقامته في دار المملكة العظيم، فقد اضطر أن يهدم الناحية الشمالية من البلاط ويقيم مكانه بلاطا له. كما هدم كثيرا من المبانى العظيمة وشيدها من جديد فى عظمة. وأفسد الحديقة الغناء المخصصة لنزهة الملوك فى وسط البلاط الملكى. وأسس مكانها مبان ضخمة، وهكذا هدم كل مكان وتوسع فى بنائه من جديد. كما شيد حماما كبيرا وجديدا وبنى اسطبلا للخيول داخل البلاط، علاوة على غير ذلك من المبانى التى شيدها.

الفصل الرابع والعشرون

عن نصب جستين الذى هدمه طيباريوس

عندما انهمك الملك جستين فى اضطهاد الكنيسة وزعزعة استقرارها، علاوة على خطف ونهب الأموال، وعوقب بتلك العقوبة المروعة ظهرت عليه علامات الغضب السماوى الأخرى. حينذاك كان منزله القديم[٣٩] . يقع بالضاحية الشمالية الغربية من المدينة. فأراد أن يجعله قصرا، فهدم بيوتا كثيرة وشيده مكانها، كما بنى ملعبا، وغرس بساتين متنوعة تضم كافة أنواع الزروع. وبعد ذلك أصدر أوامره ببناء تماثيل له ولزوجته، وكانت تماثيل نحاسية ضخمة[٤٠] . وبعد مرور وقت قصير على بنائها هبت

ريح عاتية وهدمتها، وشوهدت رؤوسها بعد ذلك قابعة على الأرض، فاعتبرها كثيرون علامات على غضب السماء عليه، ونذيرا بسقوط عرش جستين. وقد أمر جستين ثانية وبدأ يقيم لنفسه نصبا، وهو عبارة عن عامود ضخم فى ضاحية زوقسفوس [٤١] . الواقعة على شاطئ البحر الشرقى للمدينة. وأقام البناؤن؛ بناء على أوامره، مدرجات جوفاء لكى يصعدوا عليها إلى العامود فى جماعات، وهو يحملون الكتل الحجرية ليضعونها على قضبان حديدية ويثبتونها بالرصاص. وبعدما شرعوا فى تشييد النصب وبلغ علوا شاهقا وأوشك على الانتهاء. كتب أناسٌ من أهل المدينة ورقة يقولون له فيها "ابن عمودك وارفعه قدرما تستطيع وقف أعلاه فانظر وتأمل الشرق والغرب والشمال والجنوب، وقد خربت وهلكت فى أيامك". وقد وضعوا الورقة على لوح وثبتوه على العامود. ومات جستين بعد ذلك دون أن يكمل نصبه، وقيل حينذاك أن نزاعا قد احتدم بين طيباريوس وصوفيا عندما أشارت عليه صوفيا لكى يكمل العامود، أما هو فأجابها قائلا "إننى لن أكمله، إنه خاص بكِ وحرى بك أن تكمليه". وعندئذ تيقنت صوفيا أنه يبغى أن يشيده لنفسه ليقف عليه وَحده. فقالَت له "إن لم تكن بك رغبة فى إكماله لمن بناه، فلتكمله لأجلك أنت". فاغتاظ طيباريوس وأقسم بقوله "إننى لن أقف لا عليه ولا على غيره". وعندما وجد أن الكتل الحجرية المخصصة لبناء العامود تصلح للبناء الذى أضافه إلى البلاط، أمر بهدم العامود عن بكرة أبيه، ونقل كل أحجاره إلى البلاط وكنيسة الشهداء الأربعين[٤٢] ،التى بناها أيضا. وقد ترددت أقاويل أن طيباريوس أنفق قناطير كثيرة من الذهب على بناء بلاطه.

الفصل الخامس والعشرون

عن حروب الإمبراطور طيباريوس

منذ أن صار الرحيم طيباريوس قيصرا، إبان حياة الملك جستين، عندما كان فريسة لأمراض مختلفة. فقد استعد القيصر للحرب على كل الجبهات، ودخل فى البداية فى صراع على كل الجبهات مع الفرس والشعوب البربرية الأخرى التى ثارت على المملكة الرومانية القوية. وبعد موت جستين تجرأ عليه كثيرون وخصوصا شعوب السلاف الملعونة[٤٣] ؛ الذين عُرفوا باسم الشعوب الأسكولانية، والشعوب ذوو الشعر الطويل الذين دعوا أفاريس (الآفار)[٤٤] لاسيما بعدما أصبح طيباريوس إمبراطورا. وقد توالت عليه أنباء الحروب ومجرياتها على كل الجبهات. ولم تتركه يرتاح قليلا من الوقت. حتى أن كثيرين من النبلاء والعامة قد ضايقوه بقولهم "لقد أدركت المملكة تجارب قاسية وأيام صعبة فى عهدك". وكان طيباريوس مشغولا طيلة النهار والليل بجمع القوات من كل مكان ثم إرسالهم إلى حروب عديدة على كل الجبهات.

الفصل السادس والعشرون

عن الرومان والقوط الآريوسيين

عندما اضطر الملك طيباريوس أن يجمع الشعوب البربرية من الغرب، من أولئك التابعين لتعليم آريوس الآثم، لكى يرسلهم لمواجهة الفرس. فإن زوجاتهم وأبناءهم ظلوا فى العاصمة، ثم طلبوا من الملك طيباريوس أن يخصص لهم كنيسة بالعاصمة لكى يتعبدوا فيها والباقون منهم فى القسطنطينية. فلما أراد الملك أن يطمئنهم ليدافعوا عن دولة الرومان بكل ما لديهم من قوة، قال لهم "سنناقش هذا الموضوع مع البطريرك أوطيخا". وبسبب هذا الوعد وإجابة طيباريوس السريعة التى أجابهم بها، تلك التى لم يؤكدها لهم، ظن الناس كلهم وأشاعوا أن الملك آريوسى تابع لبدعة من طالبوه ببناء كنيسة لهم، وأنه يخفى اعتقاده. ولذلك هتف كثيرون عندما توجه إلى الكنيسة كالعادة وقالوا "لتنبش عظام الآريوسيين". فلما سمع طيباريوس تلك الهتافات وأدرك أنهم يهتفون ضده فاستاء جدا. وبعدما عاد إلى القصر الملكى أرسل الحراس فقبضوا على كثيرين ممن هتفوا فى الكنيسة. وقال لهم "ماذا رايتم فىّ من الآريوسية حتى تهتفوا فىّ وتسبّوننى بالكنيسة". ولما خاف أولئك سوء العاقبة اعتذروا له، أما هو فأراد أن يبرئ ساحته من هذا الظن فأمر بمطاردة الآريوسيين. واتخذ لصوص الكنيسة هذا الأمر ذريعة وانقضوا كالذئاب ليس على الآريوسيين فقط بل على غيرهم من المونتانيين والمقذونيين والسمبطيين وانجرف الأرثوذكس أتباع الطبيعة الواحدة أيضا فى تيار الاضطهاد، إذ انقض اللصوص عليهم جميعا ونهبوهم علانية حتى بلغت تلك الأخبار مسامع الملك فعاقب المضطهدين بقسوة.

الفصل السابع والعشرون

عن الوثنيين داخل الإمبراطورية البيزنطية

فى السنة الثانية للملك طيباريوس (سنة ٥٧٩م) ، وبعدما أصبح إمبراطورا. كان وثنيو بعلبك التى هى مدينة إيليبوليس (هليوبوليس)[٤٥] منذ البداية أعوانا للشيطان علانية. أما عن المسيحيين فكانوا قلة من الفقراء، وكان الوثنيون يرفلون فى الغنى والثراء ويتمتعون بالمنعة الكبيرة. وكانوا يتحينون الفرصة لإبادة المسيحيين ومحو أثرهم من بينهم. وقد تجرأوا وهزأوا بالمسيح وبالمؤمنين به، كما أقدموا على إيذاء المسيحيين بشرور أخرى. فلما علم الملك طيباريوس بذلك أرسل إليهم عامله بالشرق؛

وكان يدعى ثيوفيلوس ذلك الذى أرسله الملك جستنيان قبل ذلك إلى فلسطين عندما تمرد السامرة (٤٦) ،فأخمد ثورتهم وقتل البعض منهم وصلب البعض الآخر، ودمر ممتلكاتهم، وأخضعهم لسلطانه بقسوة. ولما أمره الملك طيباريوس بالانتقال إلى بعلبك لردع الوثنيين، قبض ثيوفيلوس على كثيرين منهم وعاقبهم على ما فعلوه بجرأة، فمنهم من عذبه، ومنهم من صلبه، ومنهم من قتله، وأثناء تعذيبهم أجبرهم على الاعتراف عن بقية أتباعهم الوثنيين. فاعترفوا له عن كثير منهم وأعطوه أسماءهم فى كل مدينة، وكان أكثرهم من مدائن الشرق ولاسيما مدينة أنطاكيا العظمى ومدن أخرى سواها. وكاتب ثيوفيلوس ولاة المدن للقبض على أوّلئك الأشخاص حسب أسمائهم ثم يرسلونهم إليه. وكان من بين الوثنيين روفينوس رئيس الأحبار بأنطاكيا. فأرسل ثيوفيلوس رجلا من قبله للقبض عليه، وعلم رسول روفينوس من والى المدينة أنه ليس فى أنطاكيا، لكنه توجه إلى الرُها عند أنطاليوس. وزوده الوالى برجال من عنده وبعض مساعدى روفينوس وتوجهوا إلى الرُها للقبض عليه إذا وجده.

الفصل الثامن والعشرون

عن الوثنيين فى مدينة الرُها

ولما وصل هؤلاء الرسل إلى الرُها وعلموا أن روفينوس موجود فيها. فتوجهوا ليلا وأحاطوا بمنزله لكى يقبضوا عليه، وتصادف أن كان للوثنيين فى هذا اليوم عيدا (إحتفالا) لزيوس (٤٧) ، فاجتمعوا عند روفينوس لتقديم الذبائح، فما أن شعروا أن البيت محاصر بغية القبض عليهم، اضطربوا وهربوا جميعا. أما روفينوس فعندما أدرك أنه لا مفر له استل خنجرا وأغمده فى قلبه فشق بطنه وسقط صريعا. وعندما دخل رسول ثيوفيلوس ومن معه المنزل وجدوا عجوزا مصابا بالنقرس وامرأة عجوزا لم يستطيعا الفرار وروفينوس مطعونا بخنجر وممدد على الأرض وقد فارق الحياة. كما وجدوا كل الذبائح وما يتعلق بها، فقبضوا على الرجل والمرأة اللذين كانا بالمنزل، وهددوهما بالقتل إن لم يعترفا بالحقيقة عمن كانوا مجتمعين فى المنزل، فإن أقرا بالحقيقة لن يقتلوهما. أما الرجل والمرأة فمن خوفهما اعترفا بالحقيقة على جميع من كانوا بالمنزل، وأقروا بأن أنطاليوس الوالى ونائب الحاكم كان أيضا معهم. ولما علم أنطاليوس بما حدث فكر أن يحتال بوسائل قد تجديه، إذ تخفى بعباءة وكأنه قادم لتوه من خارج المدينة وارتدى سروالا من الجلد وانتعل حذاء الطريق، وتوجه إلى أسقف المدينة. فلما علم الأسقف بقدومه قال فى نفسه "ماذا جاء بالوالى الآن على غير عادته".

ولما دخل عليه الوالي قال له أنطاليوس "إنني قادم من الطريق، وكنت بالأمس في القرية الفلانية، وقد ثار جدال بيننا حول تفسير الفقرة الفلانية من الكتاب المقدس، ولذا جئتك لتفسرها لي قبل أن أعود إلى قصري" (٤٨) . وهذا ما كان من أمر احتياله، لكي يشهد له الأسقف أنه قدم الآن من الطريق، لئلا يقال عنه أنه كان مع الذين جهزوا الذبائح ليلا، وقد عالج أنطاليوس هذا الأمر على هذا النحو. لكن كما كتب "إن الله عالم ولا تصعب الحيل أمامه"(٤٩) . وهكذا لم تنفعه هذه الحيلة، فلما ترك الأسقف قابله رسول ثيوفيلوس ومن معه في الطريق، فقبضوا عليه وقالوا له "تعالى معنا بهدوء يا مولانا الوالي، لقد افتقدنا عظمتك كثيرا، فعين وكلاء على الأموال، فلسوف تمضي عشرة أيام في أنطاكيا". أما هو فأخذ يوضح لهم بقوله "لقد وصلت لتوي من الطريق، وها هو الأسقف يشهد لي"، فقالوا له" لماذا تخادع يا مولانا الوالي، لقد قدمت مع روفينوس وآخرون ذبائحا لزيوس ليلة أمس، وها هم الشهود". فاحتد الوالي وقال كمن له سلطان" إذا أنتم تبطلون أعمال الولاية". فقالوا له" لاتحتد يا مولانا الوالي، فبحياة عظمتك ستخرج من هنا، وتقيم وكلاء مكانك". فلما أيقن أنه لا مناص من الإقرار بالحقيقة، اعترف بما اقترفه وأناب عنه وكلاء، وتوجه مع رسل ثيوفيلوس إلى أنطاكيا على الفور.

الفصل التاسع والعشرون

عن أحداث الشغب في أنطاكيا

ولما وصل ثيوفيلوس وبصحبته الرجل العجوز والمرأة وأنطاليوس إلى أنطاكية، وشاعت الاعترافات التي أدلى بها المقبوض عليهم في الرُها. استُدعي أنطاليوس وسكرتيره وبدأوا في محاكمتهما إذ سألوهما عن سبب تواجدهما في بيت روفينوس، فتعلل الأثنان بأكاذيب. وبعد أن نال سكرتيره ضربا مبرحا، أدلى بشهادته وكشف الحقيقة. وكما قيل أنه شهد بأن جريجور بطريرك أنطاكية[٥٠] (٥٧٠-٥٩٣م) وأولوجيوس؛ الذي صار أسقفا على الإسكندرية (٥٨١-٦٠٨م) [٥١] كانا معهم بالليل وذبحوا طفلا في دفنة. فلما ذبحوه وشاع الخبر في المدينة عمها الشغب وتفجرت بها صيحات الاحتجاج، وأغلقت الكنيسة أبوابها، ولم يجرؤ جريجور على النزول من مقر أسقفيته. ولم يسمح بالصلاة أو تقديس الميرون[٥٢] . كالعادة في يوم خميس الأسرار. فهتف شعب المدينة بصيحات مختلفة، تلك التي سنحاسب على تدوينها والاستشهاد بها. وقيل أن اعترافات الوثنيين علمها الملك طيباريوس، وأنها كانت منتشرة في كل مكان، واعتقد الناس في النهاية أن الحديث عنها قد انقطع لئلا يضار جلال المسيحية، ولئلا يضر ذلك بالكهنوت. أما أنطاليوس فكان بمنزله أيقونة لسيدنا المسيح، وأراد أن يثبت لمن قبضوا عليه دليل إيمانه. فاصطحب معه كثيرين وتوجه إلى منزله لرؤية تلك الأيقونة. وعندما أشار لهم عليها انقلبت الأيقونة وصار ظهرها في المواجهة ووجهها قبالة الحائط. فسيطر الخوف على الجميع، ولما رآها أنطاليوس أعادها لوضعها الأول فانقلبت ثانية، وهكذا تكرر ذلك ثلاث مرات. ولما دقق الحاضرون بنظرهم فيها، واكتشفوا صورة للصنم ابوللو[٥٣] في خلفيتها. وكانت صورة متقنة الصنع، ولم تكن معروفة أو ظاهرة لأحد من قبل. فطرحه جنود الوالي أرضا وركلوه بأرجلهم وسحبوه من شعره إلى المحكمة، بعد أن أوسعوه ضربا. واعترفوا هناك بكل ما رأوا في منزله. وقيل أن أنطاليوس اعترف بكل ما فعله، أما ثيودور سكرتيره فبعد أن اعترف على الأساقفة المذنبين مات في السجن، فاعتقد كثيرون أنه قتل عمدا لكي تبطل شهادته. ونحن لا نؤيد ذلك، وقد حدثت أمور أخرى كثيرة يفوق ذكرها حدود كتابنا.

الفصل الثلاثون

عن أحداث الشغب في القسطنطينية

عندما شاع في القسطنطينية ما حدث في أنطاكيا من شغب واضطرابات، علاوة على اعترافات الوثنيين، اضطربت القسطنطينية وتأثر الملك وأعضاء مجلس الشيوخ وتكدروا جدا. وشاعت هذا الأخبار في كل أرجاء المدينة. وبعد ذلك أُرسل المقبوض عليهم إلى القسطنطينية، وأمر الملك الحكام والمحامين أن يحاكمونهم دون هوى أو نفاق. وجلس القضاة أياما كثيرة في بيت المملكة العظيم فلقديس لتقصى حقيقة الموضوع. وكانت كل إجراءاتهم تتم في سرية تامة، ولم يتسرب منها شيئا إلى الخارج، إذ كانوا حريصين ألا يعرف الناس عنها شيئا إلا في حينها. فظن الناس أن الرشوة عرفت طريقها إلى بيت القضاء فأخفت الحقيقة. لأن أكثر السجناء أدينوا بتهمة الوثنية، فاعتقد أهل المدينة أن القضاة حرروا من أرادوا ممن دفعوا لهم ذهبا. وأدانوا آخرين بالباطل، وتوقفت محاكمة الوثنيين خاصة وأن الملك أهمل هذا الموضوع، وتوجه خارج المدينة. فلم تتضح حقيقة الأمر للناس أجمعين.

الفصل الحادى والثلاثون

عن اضطرابات المسيحيين في القسطنطينية

بعد أن حدث تذمر شديد في القسطنطينية، إذ ظن أهلها أن محاكمة الوثنيين توقفت بسبب الذهب الذي حصل عليه القضاة رشوةً. وها قد توقفت المحاكمة، وتحرر الوثنيون بعد ذلك وبدون أية مقدمات. فهرول بعض السكان وتجمهروا بوسط العاصمة، وبدأوا يهتفون قائلين" لتنبش عظام القضاة، لتنبش عظام الوثنيين لكي يتعاظم إيمان المسيحيين". والمقصود القضاة الذين حاكموا الوثنيين. إذ اعتقد الناس أنهم حصلوا على رشوة فتجاهلوا الموضوع. وبينما كان المتذمرون يهتفون بتلك العبارات الغاضبة وهم يهرولون بوسط العاصمة، انضم إليهم كثيرون من شتى أنحاء المدينة، وصاروا حشدا يربو على المائة ألف متظاهر، وقد اشتعلت حماستهم من أجل المسيحية، واضطربت المدينة وأُغلقت أبواب الحوانيت وحوانيت الصاغة خاصة. وتجمع اليهود والسامرة وبقية الهراطقة واندسوا بين المتظاهرين المتذمرين. وقد أراد المندسون أن يحرقوا المدينة وينهبون ممتلكات غيرهم. أما المسيحيون فقد ركضوا نحو الكنيسة

قاصدين الأسقف أوطيخا، وانهالوا عليه بالسباب والشتائم البذيئة التى لا ينبغى ذكرها. إذ اعتقدوا أنه يميل إلى الوثنية، وبسبب ما شاع عن أسقفى أنطاكية والإسكندرية جريجور وأولوجيوس من تورطهما فى الوثنية بصورة مخجلة، علاوة على أن أوطيخا استحلف الملك أن يتجاهل الموضوع. لذا أراد المتظاهرون الغاضبون موته. وعندما حوصر مقر أسقفيته من كل ناحية استعد المتذمرون لإحراقه ولولا قدسية الكنيسة ما توقفوا عما أرادوه. إذ خطط اليهود والهراطقة لإحراق الكنيسة وفقا لما أقروا به أمام الحاكم بعد ذلك. وعندما خرج أحد رجال الدين المتذمرين أنزلوه بينهم وأوسعوه ضربا. ثم توجه المتذمرون إلى بلاط فلقديس حيث تتم محاكمة الوثنيين، وكانوا يسبون القضاة، وكانوا من البطارقة (قادة الجيوش) والحكام وآخرين من الكتاب والمحامين، وأضمر المتذمرون القضاء عليهم أيضا. وما أن وصلوا إلى بلاط فلقديس حتى حطموا أبوابه ونوافذه وكسروا ما وجدوه من مقاعد وصناديق. وما أن كسروا أحد الصناديق وكان مليئا بالذهب، بهتوا أمام هذا المنظر، أما حارس الصناديق (حارس بيت القضاء) فلما أراد أن يخفف من اندفاعهم، لأنه ظن أنهم سيخطفون الذهب على الفور، فقال لهم"أيها السادة لا تضطربوا إن كنتم تريدون الذهب فها هو الذهب"، أما هم فصاحوا فيه بصوت واحد قائلين "نحن لسنا لصوصا بل مسيحيين، وقد اجتمعنا من أجل المسيح ونريد أن نقتص للمسيحية من الوثنيين، أما أنت فاحرس ذهبك، نحن لن نقربه". ثم دخلوا إلى ساحة القصر وهم يندون بالوثنيين واجتاحوا كل ما صادفهم حتى الأصنام، إذ أنزلوا ما وجدوه منها وحطموه. ثم وجدوا اثنين من الوثنيين رجل وامرأة وكانا محبسوين فاختطفوهما وتوجهوا بهما صوب شاطئ البحر، فوضعوهما فى أحد القوارب، ثم أمروا جنديا من حراس المدينة أن يلقى عليهما النار ويحرقهما. إلا أن الجندى خاف عقاب الحاكم، فأضرم المتظاهرون النيران فى القارب وقد ألقوا الجندى معهما فى القارب أيضا، إلا أنه استطاع القفز من النار وسقط فى البحر فأصيب بحروق لكنه لم يمت. أما الرجل والمرأة فقد احترقا وغرقا فى البحر. وبعد ذلك ركضت الجموع الغفيرة إلى السجون وحطمتها، وكسرت أبوابها وحررت جميع السجناء وهى تهتف "إن الوثنيين أحرارا فلمَ يظل المسيحيون سجناء ؟". ثم أسرعوا إلى قصر القاضى فحطموا الأبواب والصناديق ودور المحفوظات، وأخرجوا وثائقها ومزقوها وحرروا جميع السجناء. ثم هرول المتظاهرون إلى قصر الوالى؛ الذى ما أن سمع هتافاتهم حتى خرج إليهم، أما هم فقد كانوا مضطربين ويهتفون بعبارة "لتنبش عظام الوثنيين وليتعاظم إيمان المسيحيين". فقال لهم الوالى "ما أجمل غيرتكم وها أنا أهتف معكم، فأنتم تعلمون أننى لم أحاكم الوثنيين ولم أكن مسئولا عنهم، كما أنهم لم يحاكموا فى قصرى، فلا تضطربوا من ثم". وهكذا استطاع الوالى بكلماته أن يهدئ من غلوائهم حتى لا يقبضون عليه أو يحرقون قصره كما خططوا. ثم صاح

المتظاهرون فيه بقولهم "تعال معنا إلى الخارج على الفور". أما هو فمن خوفه قال لهم "أنا خارج معكم". ومن ثم اضطر أن يستقل قاربه دون أن يرتدى زيه الرسمى على غير العادة، إذ اهتم بالخلاص من اندفاع هذا الحشد الغفير، وتوجه الوالى إلى الملك مباشرة وأخبره بما حدث وأن ما يزيد عن عشرين ألفا أرادوا الدخول إليه. وعندما وصل المتذمرون إلى حيث كان الملك، صاحوا قائلين "لماذا توقفت محاكمة الوثنيين؟ لماذا أخفت الرشوة الحقيقة؟". وبالرغم من أنهم كانوا يهتفون ضد الوثنيين إلا أنهم عادوا إلى الهتاف ضد الآريوسيين وسبهم. فاضطرب الملك والوالى وكل من كان بالقصر الملكى. وقد حكى الكثير عن ذلك مما تجاهلناه، ثم أرسل الملك إليهم أمرا "أن لا تضطربوا وعودوا إلى المدينة، وحالما أعود إلى المدينة أنفذ ما ترغبون، فأنا لا أستطيع تجاهل هذا الموضوع". وهكذا هدأ الحشد وتبخر اندفاعه وعاد المتذمرون إلى المدينة. وهدأت أحداث الشغب فى المدينة انتظارا لوصول الملك لكى يحسم القضية.

الفصل الثانى والثلاثون

عن وصول الملك إلى القسطنطينية

ومن ثم اجتمعت قوات مسلحة وفق أمر الملك لكى تجهض أية محاولة جديدة للشغب. ثم دخل الملك المدينة، وأمر بإقامة سباق الخيل. وما أن اجتمع شعب المدينة فى الملعب حتى شرعوا فى الهتاف بأصوات متضاربة. فأرسل الملك يأمرهم بالهدوء والسكينة بقوله "أنتم تعلمون أن كل إنسان سيجازى بما فعلت يداه، فاجلسوا بلا صخب ولا ضجيج". وقبل دخول الملك إلى الملعب أمر بخلع الوالى سبسطيان والوالى ديونسيوس من منصبيهما، وعين يوليان واليا على المدينة وأمره بالقبض على المخربون وأن يعذبهم ثم يلاحق أتباعهم. وقد استجوبهم الوالى واكتشف أن أغلبهم يهودا وسامرة ومونتانيين وآخرين غيرهم. أما الوالى الجديد فلأنه كان رجلا حكيما ولا يبغى إثارة حماسة المسيحيين ضده، فقد بدأ يقبض على المخربين ومثيرى الشغب وكان يستجوبهم وهو يعذبهم بقوله "إن المسيحيون ثاروا من أجل تأييد المسيحية، أما أنتم أيها اليهود القتلة والهراطقة الضالون لأية حماسة قمتم بأحداث الشغب وانضممتم إلى المتظاهرين؟". وبعد ذلك اعترفوا له جميعا بقولهم "إننا ما أن رأينا تجمعات كثيرة حتى تسللنا بينها لكى يتثنى لنا ما ننهبه". وأقروا أيضا بقولهم "إننا استعددنا لإحراق كنائس المسيحيين، واعتقدنا أنه سيتم اعتقال وتعذيب المسيحيين لأننا لم نكن معروفين بينهم". علاوة على أشياء أخرى أقروا بها تحت التعذيب. وقد حُكِمَ على البعض منهم

بالموت صلبا، والبعض بقطع الرقبة، ونفى آخرون إلى بلاد بعيدة مختلفة. وأمام هذا لم يجرؤ مسيحى على إلقاء اللوم على الملك أو التقول بشئ سوى أن هؤلاء تمت محاكمتهم بالقسطاس. ثم شرع الوالى فى القبض على المسيحيين وكان يعاملهم بالرحمة، وطاف بهم جنود الوالى فى أرجاء المدينة. وقد حكوا ظهورهم لئلا يراها الناس خالية من آثار التعذيب. إذ أمرهم الوالى أن يدهنوا ظهورهم باللون الأحمر لكى يظن الناس أنها التهبت من الضرب والتعذيب. وقد نفذ الجنود أمر الوالى لاسيما مع الأطفال وكانت أعدادهم كبيرة، فكان منهم من يضحط وهم على ظهور البغال ويطوف الجنود بهم فى أنحاء المدينة. وقد قبض الوالى على أحد المتظاهرين بالملعب وسأله " ما عملك ومن تكون؟ فأجابه الرجل " إننى رجل مسيحى وصاحب مخزن". فقال له "ما دمت صاحب مخزن، لماذا تواجدت بين المتظاهرين، ولماذا لم تبق فى مخزنك؟ لذا فقد أمرنا نحن بجلدك" فلما أخذه الجنود ليجلدونه قال لهم "استحلفكم برأس الملك وحياته إن كنتم تجلدوننى من أجل المسيح، فلا تجلدوننى وتمزقوننى فقط بل اقتلونى بعد ذلك أيضا". فاضطرب الوالى لما سمع كلامه وقال لجنده "إن هذا الرجل يريد أن يستشهد على يداى، فمن أكون، هل أنا تراجان ؟ [٥٤] فكوا وثاقه واتركوه يذهب إلى حال سبيله". وهكذا حرره الوالى دون أن يصيبه مكروه، ثم طلب الوالى من الملك أن يهب المسيحيين عفوا ملكيا وألا يقبض على أحدهم ثانية، لأنهم ثاروا وتجمهروا وهتفوا بسبب حماسهم الدينى". أما الملك فقد قال "مادامت حماقتهم لها ما يبررها فقد أمرنا ألا يقبض عليهم ثانية". وهكذا تحرر المسيحيون بينما خضع اليهود للاعتقال والمحاكمة أينما وجدوا.

الفصل الثالث والثلاثون

عن محاكمة الوثنيين فى العاصمة

بعد كل هذا أراد الملك الوديع طيباريوس أن يظهر أنه لم ولن يهمل شئون العبادة. فأمر الحكام وأعضاء مجلس الشيوخ والبطارقة والقناصل السابقين والأشراف والولاة السابقين أن يجتمعوا سويا فى قصر الوالى وأن تقرأ الاعترافات التى أدلى بها الوثنيون فى الشرق والغرب أمامهم. وقرر الملك عزل من يتخلف منهم عن الاجتماع من منصبه، لذا اجتمعوا سويا وظلوا طوال اليوم من الصباح حتى المساء منهمكين فى العمل، وكانوا مرهقين من الصوم. وبعد قراءة كل الاعترافات حكموا أولا بالموت على أنطاليوس والى الرُها ونائب الحاكم بها أيضا. وقد عذبوه فى البداية حتى مات، فألقوا بجسده إلى الحيوانات المفترسة فافترسته بوحشية، ثم علقوه على الصليب. وقد كان

لأنطاليوس رفيق يدعى ثيودور، وقد عبدا الشياطين حسب طقوس الوثنية سويا. وقد قُبض على ثيودور وخضع لتعذيب شديد ثم اعترف بأشياء كثيرة، فسجنوه فى قصر القاضى لكى يشقى بعذاب جديد، ولكى يسألونه عن بقية الوثنيين. وفى أثناء الليل مات ثيودور، فظن كثيرون أنه انتحر لأن عقوبة الموت كانت تنتظره على أية حال، ولأنه ذبح للشياطين بعد أن صار مسيحيا(٥٥) . وقد حكم القضاة بحرق جثته بعد أن مات. أما بعض القضاة فقد تراجعوا عن هذا الحكم بسبب رأفة الطبيعة الإنسانية، وحكموا بدفنه كما يدفن الحمار إذ يجر جسده على الأرض ثم يلقى فى العراء. هذا بخلاف الرجل والمرأة اللذين أحرقهما المتظاهرون. أما الرجل فكان ابن ثيودور رفيق أنطاليوس، وهكذا مات الرجل وابنه، علاوة على آخرين خضعوا للاعتقال والسجن واستعدوا للتعذيب والمساءلة. كما أرسل القضاة من يتعقبون بقية الوثنيين فى سوريا وآسيا وفى كل الأقاليم لكى يقبضوا عليهم ويأتون بهم إلى العاصمة.

الفصل الرابع والثلاثون

عن محاكمة الوثنيين فى عهد موريقيوس

أما بعد ذلك فقد عرفت أسماء كثير من الوثنيين، وكانوا يعتقلون فى كل مكان وفى كل يوم، وازداد عددهم وامتلأت السجون منهم. وكان أشهرهم بعض رجال الكنائس الذين أُدينوا بسبب تورطهم فى الطقوس الوثنية الشنيعة، وقد عوقبوا بإلقاءهم إلى الوحوش الضارية ثم حرق أجسادهم بالنار، وهكذا نالوا العقاب الذى استحقوه آنئذ. أما فى الآخرة فالديان القوى العادل هو الذى يعلم ما سيعاقبوا به، ولما عرف الكثيرون منهم وأدرك القضاة التعب من كثرتهم، انتقلوا من قصر الوالى الذى أشيع عنه أنه وثنى، وتسلمهم القاضى، وكان القضاة يقيمون قبل ذلك فى قصره ويحاكمون الوثنيين، فاستكملوا عملهم فى السجن العمومى حتى وفاة الملك طيباريوس. ولما خلفه موريقيوس على العرش، أظهر غيرته أيضا على شئون العبادة، وأمر بإدانة وتعقب من يستترون خلف المسيحية، ويمارسون عبادة الأصنام. وهكذا أُدينوا فى كل يوم ونالوا جزاء عملهم فى كل مكان.

الفصل الخامس والثلاثون

عن مصرع اسطوخيوس [٥٦] أسقف القدس

إن ذكرى مصرع اسطوخيوس أسقف القدس في هذا الوقت لهى ذكرى أليمة وحزينة حقاً، لأنه اشتعل حماسة ضد الوثنيين وكثيرا ما عارضهم ووبخهم. فاحتالوا ولفقوا له الاتهامات والافتراءات الكاذبة. وعندئذ حاكمه قضاة وثنيون ممن يتخفون تحت عباءة المسيحية بالعاصمة، وعزلوه عن منصبه ظلما. ومنذئذ لم يترك اسطوخيوس نفسه للضياع، بل اتخذ لنفسه قلاية[٥٧] . مار سرجيس[٥٨] بقصر هورميذداس سكنا، واعتزل العالم لمدة ثمانية عشر عاما. فاعتبره الملوك والحجاب وأعضاء مجلس الشيوخ ونساؤهم أحد الصديقين وداوموا على الذهاب إليه لتحيته، لأنه كان شيخا وقورا في ملابسه البيضاء، وكان ذا عقل نير ومتبحرا في علوم الكتب المقدسة. وفي السنة الثالثة للملك المظفر طيباريوس (٥٨٠م) بعدما صار إمبراطورا، سيطر الشيطان في إحدى الليالي على قلب عبد من عبيده، فنزع الخادم مصباحا فضيا كان يضيئ طريقه، ورفعه عاليا وهوى به على رأس سيده اسطوخيوس فشج رأسه. ولما صرخ اسطوخيوس ألما وقال لعبده "لماذا فعلت ذلك يا أخي؟"، عاد العبد وضربه بسهم في بطنه فشقها وأخرج أمعاءه، فمات اسطوخيوس في الحال. ولما صرخ العبيد وناحوا على القتيل وسمعهم الحرس الذين يحرسون القصر، فهرولوا في اتجاه الأصوات وهجموا على القاتل ليمسكونه، فخطف سكينا وطعن بها أحد الحراس. فاستل حارس آخر سيفه وضرب القاتل على كتفه وطرحه أرضا، ومن ثم تمكن الحراس من القبض عليه. وأعقب ذلك اضطراب وصراخ، وبينما سيطر الحزن عليهم، أسرع جمع غفير من كل أنحاء المدينة لرؤية ذلك المشهد المحزن المؤلم. وبلغ الخبر مسامع الملك، إذ كان خارج المدينة في قصر هبدمون[٥٩] ، فعاد على الفور إلى المدينة وتوجه إلى القلاية، فوجد اسطوخيوس قد فارق الحياة، فأجهش في البكاء وكأنه امرأة تبكي زوجها، وكذلك بكى الناظرون، إذ كان مشهدا مشحونا بالحزن. وأمر الملك الحراس أن يسلُم العبد القاتل إلى الوالي لكي يلقى ميتة بشعة، ثم ترك الملك القلاية في الحال. أما العبد القاتل فألقوه إلى الوحوش الضارية، وبعدما افترسته وقطعته إربا إربا، وقطعت كلتا يديه ورجليه، وألقى جسده ورجلاه ويداه في قارب وأضرمت النيران فيه، فاحترق وغرق في البحر. وهكذا نال العبد جزاء عمله، وحق عليه القول كما كتب "أنه ويلٌ لمرتكب الإثم لأنه سيجازى بما فعلت يداه"[٦٠] .

الفصل السادس والثلاثون

عن الدير الكبير الذى بناه يوحنا مراقب الوثنيين فى تراليس

أما هداية الوثنيين فكانت إبان عهد الملك جستنيان فى سنة ٥٤٢م فى بلاد أربع هى آسيا وقاريا[٦١] . وفريجيا وليدي[٦٢]. وكانت البداية على جبال مدينة تراليس بآسيا. ويعون الله أبعد يوحنا آلافا كثيرة من سكان هذه المدينة عن ضلالة عبادة الأصنام، كما بنى بها أربعا وعشرين كنيسة وأربعة أديرة جديدة. وكان أول ما بناه يوحنا من الأديرة هو دير داريرا الذى يدور موضوعنا حوله. وقد حكى لنا بعض شيوخ الوثنيين بالمدينة أن معبدا شهيرا لهم قد بُنى على الجبال الشاهقة فى قرية داريرا، وأن ألفا وخمسمائة معبد فى بلاد آسيا وقاريا وفريجيا وليديا كانت خاضعة لسلطان هذا المعبد، وكان كهنة المعابد يجتمعون فيه مرة فى كل عام لكى يتعلمون الشريعة التى يجب عليهم والشعوب الوثنية إتباعها فى مكان. ولما هدم يوحنا هذا المعبد من أساسه بعون الله، بنى مكانه دير داريرا على جبال وعرة وخطيرة. وقد توسط موقع الدير جميع الكنائس والأديرة الثلاث الأخرى، إذ كان إحدها أعلى منه أما الأثنان الآخران فكانا أسفل منه. وقد جعل يوحنا هذه الأديرة الثلاث خاضعة لسلطة الدير الكبير. وصرف على بنائه نفقات كبيرة خصصها له الملك جستنيان علاوة على ما بذله فى سبيل بناء الكنائس والأديرة الأخرى. وأصدر جستنيان ثلاثة مراسيم إمبراطورية لكى يصبح دير داريرا مسئولا عن الكنائس والأديرة الأخرى، ونبراسا لها فى كل شئونها. ولهذا فقد ترصد الشيطان هذا الدير منذ بداية بنائه، وأثار أمام بنائه المصاعب والعقبات الشديدة من كل نوع. إذ كانت الشياطين تنزل على دماء الذبائح التى كان الوثنيون يذبحونها فى المعبد وقبل أن يصبح ديرا، وكان الذباب يستقر عليها كما يستقر على القروح النتنة. وهكذا ظهرت الشياطين مقاتلين علانية ضد بناء الدير. وفى بداية البناء رفعت الشياطين أحد البنائين؛ وكان من رجال الدين، فى الهواء عاليا ثم طرحته إلى أسفل الجبل على الصخور، فتدحرج من واحدة إلى أخرى أغلظ منها ثم سقط فى النهاية فى النهر على إحدى الصخور. وبينما وقف البناءون يشاهدون هذا المشهد، كانوا يرددون عبارة "يارب أرحم"[٦٣] ، إذ اعتقدوا أن مخه قد تهشم وسال على الصخور التى ارتطم جسده بها وتمزقت أمعاؤه إربا إربا، لأن الأرتفاع الذى سقط منه لم يقل عن ألف ذراع، ثم هرول البناءون وهم يتململون لكى يجمعوا أشلاءه ويدفنونها، فوجدوه جالسا فى حالة طيبة وينظر إليهم. فلما وجدوه حيا تعجبوا وفرحوا وشكروا الله الذى أنقذه من ميته قاسية بواسطة مكائد الشياطين الشريرة[٦٤] . كما أن المسيح لم يتركه يصب بجروح، سوى بعض الخدوش بأنفه. ولقد تعجب كل من رأى وسمع بهذه المعجزة التى أظهرها لنا سيدنا المسيح.

الفصل السابع والثلاثون

عن العقبات الشيطانية أمام بناء دير داريرا

بعد مرور السنة التى اكتمل فيها بناء دير داريرا، وكانت السنة السادسة (٥٤٨م) امتلأ أسقف تراليس بالحسد على هذا الدير، إذ أقسم قائلا "سأجعله مقرا لكنيستى وأقضى به الصيف كله". وقد عارضه يوحنا الآسيوى، فتوجه الأسقف للقاء الملك جستنيان، الذى ما أن دخل القصر الإمبراطورى حتى أخبر الملك بشأنه، وتوسل إليه لكى يجعله المسيطر على هذا الدير، وألا يقترب يوحنا منه. فلما سمع الملك كلامه قال له "وحق المسيح لن تدخل كنيستك أو مدينتك بدون إذن من يوحنا، أنت يا من توليت إدارة الكنيسة ظلما ولم تستطع تصريف شئونها، هل تريد أن تغتصب ديرى هذا الذى شيد فى عهدى وبأمر منى". ثم أمره الملك بعدم مغادرة العاصمة قبل وصول يوحنا إليها. وقد وصل يوحنا إلى العاصمة بعد فترة، وأخبر الملك بكل ما قاله الأسقف له، وإجابته عليه. فأمره الملك بالعودة إلى تراليس وإدارة كنيستها ومستشفاها، وألا يتصرف الأسقف فى شئ بدون أمره. وقد أثار الشيطان مصاعب وعقبات أخرى أمام هذا الدير وأما الكنائس الأربع والعشرين الجديدة التى بناها يوحنا مؤخرا حول الدير السابق، بين الوثنيين الذين عمدهم وأدخلهم فى المسيحية من سكان مدينة تراليس الجبلية. وقد أنقذ الله الدير والكنائس الأخرى من حسد الشيطان وثبتها لمجد اسمه حتى يومنا.

الفصل الثامن والثلاثون

عن وفاة البطريرك أوطيخا الفجائية (فى سنة ٥٨٢م)

عندما صار أوطيخا بطريركا فى القسطنطينية، تملكه الحقد على الأرثوذكس، وأقسم أقساما غليظة قائلا "لن أترك واحدا منهم فى هذه المدينة أو فى ضواحيها أو فى غيرها من المدن". وما أن هدد وتوعد على هذا النحو حتى أدركته المنية فجأة، وأقبل على قبره، وبطلت كل خططه وتهديداته فى هذا اليوم. أما عن انحرافه إلى أمور كثيرة إذ أنكر قيامة الأجساد وحارب القول "يا من صلب من أجلنا". وقد كان علينا كتابة أشياء كثيرة عنه فى تاريخنا لكننا أهملناها من كثرة تواترها على ألسن الناس.

الفصل التاسع والثلاثون

عن بطريرك العاصمة الجديد يوحنا النذير (٥٨٢-٥٩٥م)

لما توفى وطيخا فى الخامس من شهر أبريل فى سنة ٥٨٢م، أختطف الشماس يوحنا النذير وكيل مالية البطريرك يوحنا السرمى (٥٦٤-٥٧٧م) الذى سبق أوطيخا على كرسى كنيسة العاصمة. وكان يوحنا رجلا زاهدا كثير الصوم والسهر، وكان يعيش فى هدوء فى قلاية بالكنيسة الكبرى (آجيا صوفيا)[٦٥] . وقد اختطف وسئل أن يقبل الرئاسة، فلما رفض، أمر الملك طيباريوس جنده واقتادوه إلى البلاط الملكى وخضع هناك للحراسة. واستطاع الملك وأعضاء مجلس الشيوخ أن يقنعوه بما عرضوه عليه بعد جهد كبير. وأقسم يوحنا قائلا لن أبطل نظامى، ولن أستقبل أحدا من الناس حتى الساعة التاسعة. وبعد محاولات كثيرة تم تعيينه بطريركا (رئيسا للأساقفة) فى العاصمة فى الحادى عشر من ابريل فى سنة ٥٨٢م. وقيل أنه تمسك بنظامه ولم يستقبل أحدا قبل مرور الساعة التاسعة وفقا لعاداته القديمة. وتعجب الناس كثيرا من أمره، إذ قيل أنه يظل طوال منكبا على وجهه يصلى حتى وهنت قواه ويبس جسده وصار كقطعة من الخشب. أما من اعتادوا الانقضاض كاللصوص على الأرثوذكس والهراطقة، وخطف أموالهم بحجة الإيمان فى أيام أوطيخا، فقد بدأوا يطلبون منه السماح لهم بسلب الناس وسجنهم مثلما سمح لهم البطريرك أوطيخا الذى سبقه. أما هو فلما أدرك ضالتهم قال لهم "اذهبوا واهدأوا، إننى لن أدعكم تباغتون الناس وتسلبونهم أموالهم، فيكفر الناس بالله وبكنيسته المقدسة". فأجابوه قائلين "إن أوطيخا كان يأمرنا بذلك". فقال لهم "إننى أريد السلام والسكينة فى عهدى، وإذا كنتم تتعللون بأوطيخا فاذهبوا إليه فى الحال وافعلوا ما يأمركم به". وكان الحرى بنا أن ندون أشياء أخرى كثيرة وعجيبة عن يوحنا النذير، لكننا روينا قصته باختصار بسبب كثرة الروايات عنه.

الفصل الأربعون

عن المنذر بن الحارث أمير الغساسنة

اتفق موريقيوس؛ عندما كان قائدا للجيوش الرومانية فى الشرق، مع المنذر بن الحارث (٥٧٠-٥٨٢م) [٦٦] ملك العرب[٦٧] . على العبور سويا إلى أرض فارس. ومرت أيام حتى بلغا قبالة أرض الآراميين حيث توجد طيسفون (المدائن) مدينة (عاصمة) ملك

القرس. فوجد الاثنان أن الجسر أمامها مقطوع، ذلك الجسر الذى خططا للعبور منه إلى العاصمة الفارسية والاستيلاء عليها. وبعد ذلك تخاصم الاثنان بعد أن ثار العداء بينهما وتخاصما سويا، ولم ينفذا شيئا مما خططا إليه. وشرع الاثنان منذئذ فى شكاية بعضهما البعض عند الملك طيباريوس. وحاول الملك التوفيق بينهما بوسائل كثيرة، ولما فشل مسعاه توجه إليه موريقيوس وشكى المنذر بعنف وبغير وجه حق. واقتنع الملك بشكواه وامتلأ غيظا على المنذر. وفكر كيف يحتال للقبض عليه والإتيان به إلى العاصمة. وكان الوصى مجنا السورى[٦٨] . صديقا للمنذر وسندا له عند الملك، وكان المنذر يثق بأنه يحقق له ما يطلبه من الملك. وقد أراد مجنا أن يتملق الملك فقال له "أنا آتيك به مكبلا بالأغلال إن أمرت بهذا". ففرح الملك وأرسل مجنا ببريد الشرق إلى قرية تسمى حُوَّرين[٦٩] ، تلك التى أسسها الملك وجعلها مدينةً بعد أن أحاطها بسورٍ ضخم وبنى بها كنيسة. وقد توجه مجنا إلى هناك بحجة تقديس الكنيسة، واصطحب معه بطريرك أنطاكية جريجور الأنطاكى (٥٧٠-٥٩١م) حتى يستطيع خداع المنذر فيأتى إليه. وبعد وصول مجنا إلى تلك القرية، خدع المنذر وأرسل له يقول "إننى أتيت من أجل تدشين هذه الكنيسة، وأنا متعب من الطريق وإلا لكنت توجهت إليك للاطمئنان على صحتك فأرجوك أن تأتينى فورا، ولا تصطحب معك جندا كثيرا لأننى أريدك أن تقضى معى عدة أيام لكى نتسامر سويا، فلا تجهز نفقات كبيرة لجيش كبير، بل أقدم إلى مع نفر قليل من جندك".

الفصل الحادى والأربعون

عن قصة القبض على المنذر بن الحارث

فرح المنذر بعد أن تسلم رسالة مجنا، وتوجه إليه بثقة فى الحال، ولم يصطحب معه سوى قلة من جنده. وكان كمن هو ذاهب إلى صديق حميم له، فلم يشعر المنذر بأدنى خوف البتة. أما مجنا فأراد أن يخفى خدعته الماكرة واستقبل المنذر ببشاشة، وأمر فأقيمت له مأدبة الطعام وقال للمنذر "أطلق من جاءوا معك"، فأجابه المنذر قائلا "قد جئتك مع قلة من جنودى كما أمرت، فلا أستطيع العودة دونهم وإن كانوا قلة"، فرد عليه مجنا بقوله "أطلقهم وعندما تعود أرسل فى طلبهم فيأتونك". أما المنذر فلم يحسن له هذا التصرف، إذ كان رجلا ذا خبرة كبيرة، وبدأ يرتاب فى أمر مجنا، وأمر جنده بالابتعاد قليلا وانتظاره. فلما ابتعدوا أمر مجنا القائد المرافق له وجنوده بالاستعداد فى هدوء، ولما جن الليل قال مجنا للمنذر "سيدى البطريق[٧٠] ، لقد شكيت عند الملك

وأمرك بالذهاب إليه والاعتذار وإقناعه بأن ما أشيع عنك ليس صحيحا". فرد عليه المنذر بقوله "بعد كل ما قمت به من جهود من أجل الروم، لا أظن أن الملك يقبل ضدى افتراءات، فأنا عامل الملك وهو لم يطلب منى الذهاب إليه، لكننى لا أستطيع أن أترك معسكرى الآن فيأتى عرب الفرس ويسبون نسائى وأولادى وكل ممتلكاتى". وبعد ذلك ظهر الجنود الرومان المسلحين، وأمر مجنا المنذر قائلا "إن لم تأت معى بإرادتك، أقيدك بالأغلال وأركبك حمارا وأرسلك على هذا النحو المهين إلى الملك". فتيقن المنذر حينئذ من خديعة مجنا. ولما أدرك أنه جرده من جنوده، وحبسه وأسلمه لجنود الرومان ليحرسونه، خارت قواه وكأنه أسد برى سقط فى شرك. أما جنود المنذر فلما علموا بما حدث له حاصروا الحصن واستعدوا لإحراقه، لكنهم ابتعدوا عنه ما أن ظهر لهم جنود الروم وهم مستعدين للقتال. أما المنذر فقد أخرجوه وهم يحاصرونه تحت حراسه مشددة، ووصل المنذر على هذا النحو المهين إلى العاصمة. ولما دخل القصر الإمبراطورى أمر الملك أن تفك قيوده ويكون حرا كما كان من قبل، وخصصت له ولمن معه نفقة لإقامته. وأقام المنذر على هذا النحو رغما عنه مع إحدى زوجاته[٧١] . واثنين من أبنائه وابنته دون أن يقابله أحد.

الفصل الثانى والأربعون

عن أبناء المنذر بن الحارث الأربعة

أما أبناء المنذر الأربعة، وخاصة ابنه الأكبر النعمان[٧٢] . وكان أشد بأسا من أبيه فى ساحة القتال، فقد جمعوا جنودهم وانقضوا على حصن مجنا بعد أن توجه إلى الملك، فنهبوا كل ما وجدوه بالحصن من ذهب وفضة ونحاس وحديد وملابس صوفية وقطنية وغلال وخمر وزيت، كما خطفوا قطعان الماشية كلها من أبقار وثيران وخراف وماعز وكل ما وقع تحت أيديهم، دون أن يقتلوا أحدا أو يحرقوا شيئا. ثم هاجمت جنودهم القرى المحيطة والقرى السورية المجاورة لها، وخرجوا منها بغنائم لا حصر لها، ثم لاذوا بالبرية الداخلية وأقاموا معسكرا كبيرا. وتقاسموا الغنائم وهم متحفزون وعلى استعداد للقتال ويراقبون كل ما حولهم. وخرجوا ثانية بعد ذلك ونهبوا البلاد وخطفوا الماشية ثم عادوا إلى البرية، حتى اضطرب إقليم الشرق كله الممتد إلى البحر الأبيض. وكان سكان المدن يلوذون بمدنهم ولا يتجاسرون على الظهور أمامهم. وأرسل حكام المدن وقادة الجيوش إليهم يسألونهم "لماذا تفعلون كل هذا"، فأجابوهم بقولهم "ولماذا اقتاد الملك أبانا كالأسير بعد كل ما قام به من جهود وحققه من انتصارات

وبطولات مدافعا عنه، ثم قطع الملك المعونات عنا، ونحن لا نملك ما نقتات منه، لذا نحن مضطرون للقيام بالسلب والنهب، وحسبنا أننا لا نقتل الأهلين أو نحرق المدن". ثم توجه أبناء المنذر وجنودهم إلى مدينة بصرى[٧٣] . فحاصروها وقالوا لقادتها "أعطونا سلاح أبينا ومقتنياته الملكية التى بحوزتكم، فإن لم تفعلوا سنهدم ونحرق ونقتل كل ما نجده فى مدينتكم وفى كورها". فلما سمع قائد الجيش كلامهم، وكان رجلا شهيرا خبيرا بفنون القتال، تملكته الحمية وجمع جنده وخرج لقتالهم، بعد أن استهان بهم كأعراب. واصطف جنود العرب فى مواجهته وتغلبوا عليه، وقتلوه وأكثر جنده. فلما رأى أهل المدينة ذلك المشهد اضطربوا وأرسلوا إليهم قائلين "دعكم من القتال ونحن نرد لكم مالكم، فخذوه بسلام واتركونا". وهكذا أخرجوا لهم مقتنيات أبيهم فأخذوها وعادوا أدراجهم صوب معسكرهم فى البرية. وظلوا زمنا طويلا ينهبون ويسلبون المدن.

الفصل الثالث والأربعون

عن سفر مجنا حاكم أنطاكيا إلى أبناء المنذر

تضايق الملك طيباريوس جدا عندما سمع بما كان من أبناء المنذر. فأرسل مجنا إليهم للمرة الثانية، لكى يقيم أخا[٧٤] . المنذر ملكا عليهم خلفا لأخيه المنذر، وإذا استطاع أن يخدع أبناء المنذر أو يتملقهم فيخضعهم أو يحاربهم ثم يقبض عليهم. وأمر الملك قضاة المدن والقادة بالذهاب معه بصحبة جيش جرار، وهكذا خرج مجنا فى استعراض عظيم. وفى البداية أقام أخا المنذر ملكا وقد مات بعد عشرين يوما. واختارت القبائل النعمان رئيسا عليها، فكتب مجنا إليه ليأتيه قائلا "إذا جئتنى أقيمك مكان أبيك". فأتى النعمان بغلام وألبسه رداءه وأرسله إلى مجنا مع نفر من الجنود. فلما رآه مجنا قال له "هل أنت النعمان"، فأجابه الغلام "نعم أنا هو النعمان، وقد أتيتك كما أمرت". وعندئذ أمر مجنا جنوده بقوله "ها هو عدو الملك، كبلوه بالأغلال". فضحك الغلام وقال "لقد انخدعتم مثلما أردتم أن تخادعوا، وحق المسيح لست أنا النعمان". وأراد مجنا أن يقتله، أما الغلام فقال "كان ملكى سيقتلنى إن لم أقدم إليك، وكان الموت مصيرى لأننى جئت إليك، إذا الموت راحة لى". لهذا سجنه مجنا بعد أن عذبه ثم مات مجنا القاتل الشرير.

الفصل الرابع والأربعون

عن حالة السلام القصيرة فى العاصمة

....(٧٥)

الفصل الخامس والأربعون

عن المجاعة فى العاصمة فى سنة ٥٨١ م

فى سنة ثمانمائة وثلاثة وتسعين يونانية (٥٨١م) وهى السنة الرابعة من عهد الملك طيباريوس، والتى مات فيها أيضا، حدث نقص شديد فى الخبز فى كل الأقاليم الغربية، وفى العاصمة على وجه الخصوص. ولما نفذ الخبز من الأسواق ولم يعد له أثر، أمر الملك بمنح الخبازين شعير السجن العمومى ليصنعوا منه خبزا، فنفذ عن آخره فى غضون ثلاثة أيام. ثم أمر الملك بصناعة الخبز من علف خيول السجن العمومى والاسطبلات الملكية، وفى النهاية كانت حبوب المخازن من عدس وزؤان وحمص وأرز ولوبيا تطحن وتخلط مع الشعير لعمل الخبز. وكانت الأيدى تتخطفه بأثمان مرتفعة لما كان يظهر فى الأسواق فى الصباح الباكر. وأرسل الملك إلى أقاليم كثيرة كمصر والإسكندرية(٧٦) . وطيبة(٧٧) . فأتي بالخبز منها. وعندئذ حدثت مجاعة فى تلك الأقاليم، وصار العالم البيزنطي يعاني من الضيق، وأوشك الناس على الفناء من على وجه الأرض.

الفصل السادس والأربعون

عن أحداث المجاعة وموت الأطفال المُحزن

استبد الموت فى البداية بالفتية والفتيات من أجل حكمتين، أولا لكى يصانوا فلا يتلطخون بإثم الخطيئة، وثانيا لكى تختفى الشيخوخة التى تقود الناس إلى القبر بدون توبة. وبعد ذلك استبد الموت بكل الأعمار وعندئذ ترفق الله الرحيم، وازدادت حصيلة صيد الأسماك من البحر، وكان من نوع واحد يسمي التونة. وهكذا زادت الأسماك

وزاد مخزونها وكأنه قمح مخزون. وكان الناس يدلون الأباريق فى الماء ويصطادون السمك، حتى حدثت به وفرة كبيرة. وكانت السمكة الواحدة التى تزن تسعة أرطال تباع بفلس واحد، وأكثر الله فى الأماكن النائية عن البحر نوعا من الخضرة العجيبة التى تسمى الخس والشمام[٧٨] . وما شابه، وكان الناس يقتاتونها. وقد شب حريق فى العاصمة فى نفس الوقت، فعم الزعر بها، ووقع زلزال شديد فى النواحى الشرقية منها، وصاحبه صوت دوى متصاعد من باطن الأرض.

الفصل السابع والأربعون [٧٩]

عن خبر وفاة الملك الظافر طيباريوس

أصيب طيباريوس فى السنة الرابعة (٥٨٢م) بألم فى بطنه واضطراب فى الأمعاء. ولما أدرك دنو أجله، أقام موريقيوس ملكا مكانه. وكان موريقيوس من مدينة آرابيسوس بقبادوقيا، وقد زوجه طيباريوس من ابنته أغوسطا. ثم جمع طيباريوس مجلس الشيوخ وخطب فيهم قائلا"صلوا على يا أخوتي". وتباحث معهم فى أمور كثيرة، ثم وضع التاج على رأس موريقيوس. وتوفى طيباريوس بعد يومين، وساد المدينة حزن شديد على موت هذا الأب الوديع وعلى سيرته الطيبة. وكما قال كثيرون "لن يجود الزمان بملك مثله من بعده أبدا". وهكذا خيم الحزن على المدينة على فقدانه، والتاريخ يخلده لأنه أحسن إلى كل الناس.

الفصل الحادى والخمسون [٨٠]

عن البطريرك يوحنا النذير (٥٨٢-٥٩٥م)

تضايق يوحنا كثيرا من الخلقدونيين[٨١] . الهراطقة، أما هم فلم يهدأوا لأن يوحنا لم يسمح لهم باضطهاد الأرثوذكس، بل أثاروا فتنا بشتى الطرق لدرجة أنهم تجاسروا وبصقوا على وجوه المؤمنين، كما تحمسوا للقيام بدور القضاة. وتحمل المؤمنون إساءتهم من أجل الله. وقد عادوا يمارسون ضغوطا على البطريرك، وبلغت بهم الجرأة أن قالوا للبطريرك "إن لم تضطهد القائلين بالطبيعة الواحدة مثلما فعل أوطيخا ويوحنا السرمى من قبل،نعتبرك واحدا منهم". أما هو فعلى الرغم من ذلك لم يتزل على رغبتهم.

الفصل الثانى والخمسون

عن فضائل البطريرك يوحنا النذير الصوام

كان البطريرك يوحنا متمسكا بالرحمة إلى جانب صومه وزهده. وقد اتهم كثيرا بأنه تابع لعقيدة سويروس الأنطاكى[٨٢] . ونظرا لأنه لم يخضع لرغبة المضطهدين فقد حثوا الملك أن يقطع عنه عطاياه السخية حتى لا يقوم البطريرك بتوزيعها على خدمة الكنيسة. أما هو فقد رد على الملك بقوله "لاتنزعج أما من أخبروك بتلك الوشاية، فلن أتنازل لأحد منهم عن قيراط واحد من الكنيسة".

الفصل الثالث والخمسون

....[٨٣]

الفصل الرابع والخمسون [٨٤]

عن سجن المنذر فى العاصمة ومنفاه

عندما صار موريقيوس ملكا أرسل المنذر بن الحارث إلى المنفى[٨٥] .

الفصل السادس والخمسون

عن خبر وصول النعمان بن المنذر إلى العاصمة

بعدذلك تجاسر النعمان وتوجه إلى الملك موريقيوس. فاستقبله موريقيوس (بالحفاوة) وأقسم له أنه إذا حارب الفرس سيعيد أباه من المنفى. وطلب منه الانضمام إلى الخلقدونية مذهب الدولة الرسمى، فاعتذر النعمان بقوله "أن كل القبائل العربية

تدين بالمذهب الأرثوذكسي، فإذا تقربت إلى الخلقدونيين قتلوني". لهذا السبب زادت نيران البغضاء اشتعالا بينهما. ولما خرج النعمان من القصر، أقسم ألا يعود ثانية إلى أرض الرومان برغبته، ولهذا قبضوا عليه وهو فى طريق عودته وأرسلوه مع المنذر أبيه إلى المنفى، وهكذا انقسمت مملكة (إمارة) العرب إلى خمس عشر زعامة، ودار معظمهم فى فلك الفرس. وهكذا انهارت مملكة العرب المسيحيين بسبب خديعة الرومان، ثم أخذت الهرطقات[٨٦] . تنتشر بينهم.

تاريخ الكنيسة

يوحنا الآسيوى

ترجمة الجزء الخامس من الكتاب الثالث

الفصل الأول

الأساقفة المثلثون[1] وهرطقتهم المضللة فى العاصمة

كان كونون وأوجين وهما أسقفان من قليقية، رئيسى هذه الهرطقة منذ البداية. ولما انكشفت هرطقتهما، وبخهما كثيرون ونصحوهما لكنهما لم يتوبا. وعندئذ حُرما من الكنيسة. أما هما فتآمرا مع أثناسيوس حفيد الملكة ثيودورا ؛ ذلك الذى نشر ودعم هذه الهرطقة بواسطة ما أنفقه من ذهب كثير. وشرع كونون وأوجين فى مضايقة وإثارة يوحنا الآسيوى الأفسسى الذى يقيم فى العاصمة، وكان المسئول عن شئون وكنائس المؤمنين فيها وفى كل مكان. إذ تآمر كونون وأوجين عليه وأغروه بالهدايا والعطايا لكى ينضم إليهما ويقوموا ثلاثتهم سويا بتعيين الأساقفة، لأن القانون الكنسى يوجب اشتراك ثلاثة أساقفة عند تعيين الأسقف الجديد. أما يوحنا فلم يخضع لهما، بل وبخهما كثيرا ووضح لهما أنهما هرطوقيان (كافران)، وأن الآريوسيين والمقذونيين والنساطرة وبقية الهراطقة أقل منهما ضررا على المسيحية. وعندما فشل الاثنان فى السخرية منه وإضلاله، وكان قد قدم إلى المدينة رجل يدعى تاونا[2] . وقد عُين أسقفا بأمر البطريرك ثيودوسيوس، إلا أنه فصله من منصبه فى النهاية لعلة رآها فيه، وهكذا ظل كرجل عاطل. وقد انجذب تاونا إلى كونون وأوجين بعدما خدعاه بعطاياهما وأشركاه معهما فى تعيين أساقفة أرسلوهم إلى كل البلاد لنشر هرطقتهما.

الفصل الثانى

الأساقفة المثلثون الجُدد

رسم (عين) كونون وأوجين؛ رئيسا هرطقة تعدد الآلهة، الأساقفة الجدد بمساعدة رجل مفصول من منصبه الدينى (تاونا)، بلا قواعد أو قوانين كنسية منذ البداية. إذ قاما بتعيين كل من وجدوه سواء كان شابا أو شيخا كهلا أو حكيما أو جاهلا. وقيل أنهما رسما كل تلاميذهما ومساعديهما وكل من صادفوه فى رتبة الأسقف، ثم أرسلوهم إلى كل البلدان. حتى أنهما شيدا كنائس تابعة لهرطقتهما فى روما وكورنثوس وأثينا وأفريقيا، فأضلا خلقا كثيرا خلفهم. وقد اجتهدا لكى يُضلا البطريق (قائد الجيش) نرسيس[3] بروما. إذ توجها إليه بصحبة رجلين من أتباعهما المفضلين، وهما فوقا وثيورسيوس وكانا أخوين شقيقين. وبذلا جهدا كبيرا مع البطريق نرسيس لكنه ولى عنهما مدبرا ولم يقابلهما. فأضلا بعض رجال حاشيته والرؤساء والقادة من أتباعه.

الفصل الثالث

أتباع كونون وأوجين فى العاصمة

أما كونون وأوجين رئيسا الهراطقة، فقد ازدادت قوتهما فى العاصمة، بعد أن تم حرمانهما من الكنيسة، إذ تجرءا وجادلا الناس فاضلوهما. وبالرغم من أنهما كانا مصدر إزعاج لكل الناس، إلا أنهما كانا يقابلان الملك وكأنهما مظلومان مقهوران. فأمر الملك بطريرك القسطنطينية لكى يجمع كلا الفريقين المتخاصمين أمام مجمعه الدينى،[٤] لكى يتم الفصل بينهما. وقد تحدثنا عن ذلك فى الكتب الأخرى، وهذا فعله كونون وأوجين حتى أثارا الملك جستين الاضطهاد القاسى على أتباع الطبيعة الواحدة. وقد أرسلهما الملك جستين إلى المنفى فى فلسطين بواسطة فوتيوس[٥] . وهذا ما كان من أمرهما، أما أتباعهما فقد تجولوا فى بلدان سوريا وقيليقية وإيسوريا وقبادوقيا، فأضلوا الناس هناك وعينوا كهنة وشمامسة من أتباعهم فى كنائس وأديرة المدن والقرى، حتى أنهم أضلوا بلادا بأكملها ونشروا فيها هرطقتهم.

الفصل الرابع

تحرر كونون من منفاه

ساند كثيرون كونون كما قيل من قبل، وكان منزله تحت البلاط الملكى. وكان أتباعه وقد ارتدوا أحذيتهم الخفيفة يذهبون إليه فى الخفاء ويتقربون إليه، ثم يذهبون إلى الملك ولذلك لم ينكشف أمرهم فى البداية. ونظرا لأن الملك طيباريوس كان متواضعا وبارا فقد توسل إليه كثيرون من أجل كونون فحرره. وخرج كونون من الدير المحبوس فيه وتوجه إلى قرية أوليس[٦] ، وأقام هناك فى دير النساء. ومن ثم هرع إليه أتباعه خاصة سكان قيليقية وإيسوريا، ومجدوه وكأنه أحد الرسل القديسين. وقد ضل كثيرون خلفه، وانقسم أتباعه فى النهاية إلى هرطقتين متعارضتين.

الفصل الخامس

انقسام هرطقة المثلثين

تحدثنا باختصار فى الكتب السابقة عن ضلال وانقسام القائلين بتعدد الآلهة، وعن الأسباب التى قادتهم إلى الانشقاق وعن الكتب الفاسدة الضالة التى ألفها يوحنا النحوى السكندرى(٧) ، وخاصة كتابه الأول الذى أضلهم وأغرقهم جميعا فى بحر الظلام. هذا الكتاب الذى اتخذوه نبراسا لهم فالتفوا حوله وقدسوه وكأنه الإنجيل. وقد دونا فى مذكراتنا أكثر أخبارهم أما بقيتها فلم ندونها بسبب كثرتها. أما الكتاب الثانى الذى ألفه يوحنا النحوى وانتشر بينهم بعد ذلك فهو الكتاب الذى ينكر فيه قيامة هذه الأجساد (البعث والنشور)، ويذكر أن أجسادا غيرها ستبعث من القبور فى يوم الدينونة. وقد أضلهم هذا الكتاب كثيرا وأدى إلى انقسامهم إلى بدعتين، فاقت كل منهما الأخرى قذارة. وقد رفض بعض منهم الكتاب السابق وحرمه داخل الكنيسة، ومنهم من قبله أكثر من كتابات الأنبياء والرسل. وهكذا انقسم المثلثون على أنفسهم وانشقوا وأصبحوا فرقتين حرما بعضهما البعض، وألف كل فريق كتاباته فى معارضة الفريق الآخر، وهكذا ظلت البدعتان متعارضتين.

الفصل السادس

كونون وأوجين فى بامفيلية (٨)

كانت بامفيلية منذ البداية مقرا للأرثوذكس، وكانت قراها كثيرة وعظيمة وتمتلئ بالكنائس وبأديرة للرجال وللنساء. وعندما انقسم الأكيفاليون وتفرقوا فى البلاد، توجه كثيرون منهم إلى بامفيلية، وهناك دخلوا فى الأرثوذكسية بسبب حماسة واجتهاد الأرثوذكس هناك. وهكذا تمسك الجميع بحماسة الإيمان القويم، وكثيرا ما تفقد أساقفة الأرثوذكس أحوالهم، وكانوا يصححون لهم شئون الكنيسة الخاصة بالمذابح المقدسة والكنائس والأديار الجديدة. كما عينوا كهنة كثيرين حسبما تطلبت الظروف. ووفق علمنا توجه أوجين الظالم الغارق فى الهرطقة، وغيره من الأساقفة إلى بامفيلية مرتين. وقد ارتحل كونون وأوجين وبعض أتباعهم مرة أخرى إليها لكى يضلون أهلها ويجعلونها تابعة لهرطقتهما. وبينما كانا فى طريق العودة أدركت المنية أوجين فمات هناك، أما كونون فقد عاد إلى العاصمة.

الفصل السابع

يوحنا الآسيوى وكونون فى العاصمة

كتب أثناسيوس حفيد الملكة ثيودورا، وصيته قبل أن تنقسم بدعة المثلثين إلى قسمين وهما أتباع كونون و أتباع أوجين. وأورث أثناسيوس الملك والملكة، وحرر عبيده وترك لهم ولغيرهم هبات كثيرة، كما ترك لكونون وأوجين ذهبا ليس بالقليل. هكذا وزع أثناسيوس ذهبه واحتفظ لنفسه بعشرة أرطال منه، فكان ينفق رطلين من الذهب فى كل عام. وقد ختم أثناسيوس وصيته وحفظها قبل أن يحدث الانقسام بينه وبين كونون. ثم فكر فى تغيير وصيته وحرمان كونون من الانتفاع منها، بعد أن انقسما على بعضهما البعض وحرم كل منهما الآخر، إلا أن أثناسيوس مات فجأة. واتضح بعد فتح الوصية أنه ترك ذهبا لكونون بالرغم من مخالفته له. ولذلك قدم كونون إلى العاصمة، وكان يوحنا الآسيوى أسقف (مطران) أفسس موجودا فيها. فأرسل يوحنا إليه قائلا "إلى متى تتجاهل إيها الحكيم أن الموت مصيرك لا محالة، وأنك ستقف أمام منصة العدالة المروعة ويداك معلقة بحطام كنيسة الإله الحى، ثم تُسأل عن دفاعك عما يقال بصوت عال، فلماذا لا تشعر بهذا وماذا تنتظر؟، وما دمت قد علمت أن ما حدث بيننا صعد إلى الله، ومادام كل واحد منا يحيا حتى الآن، فلنترك البغضاء التى وزعها الشيطان بيننا ولنتحلى بوداعة وتواضع المسيح ونتقرب إلى بعضنا البعض بحب ونضع حدا للشجار والشقاق بيننا، فإذا كانت الخطيئة قد حدثت فى أيامنا فنحن ما نزال أحياء ولنتدبر أمرنا ونهدم حائط العداء [١٠] بيننا لكى لا نترك خرابا فى كنيسة الله". فلما سمع كونون هذا الكلام قال "أنا أريد ذلك أيضا"، لكنه لم يجب يوحنا، وأخذ ميراثه وسافر إلى قليقية. وتمتع هناك بذهبه وكُفره كالسكير.

الفصل الثامن

المثلثون والمونوفيزيون

بعد أن هزئ الناس من دعاة الجواهر[١١] . والطبائع[١٢] . وتعدد الآلهة. وشعر المثلثون بالخجل فى قرارة أنفسهم وتظاهروا أنهم يبغون الانضمام إلى كنيسة الأرثوذكس التى انشقوا عنها، فقالوا إنهم متمسكون بها وكأنهم كانوا منها. وأخفوا خداعهم وقالوا "إننا نريد الانضمام إليها". وما أن طُلب منهم الابتعاد والتوقف عن

القول بتعدد الجواهر والأقانيم الإلهية[١٣] . لكى لا تضار المسيحية من تعدد الآلهة مثلما فعل الوثنيون. إلا أنهم تهربوا على الفور وقالوا "إننا لا نستطيع إغفال تعدد الجواهر والطبائع". وعندئذ واجههم الأرثوذكس بقولهم "إن إيمان الكنيسة يقرر الاعتراف بإله واحد موصوف بثلاثة أقانيم هي الأب والابن والروح القدس، وهى أقانيم واسماء ثلاثة وذات وألوهية وجوهر وطبيعة وربوبية وقوة وإرادة ومُلك وسلطان واحد وقوة فى السماء والأرض، وهو أحد ثلاثة وثلاثة فى واحد بلا انقسام بينهم أو بلبلة. لكنكم تتمسكون بتعدد الجواهر والطبائع ولا تعترفون بتوبتكم علانية، مثل السحرة وتريدون دخول الكنيسة الكاثوليكية[١٤] . كالوثنيين، فتتضمون إليها ظاهريا وأنتم تخدعونها فى الحقيقة، وتخططون لنشر هرطقتكم فيها". ومن ثم انكشفت حقيقتهم وشعروا بالخجل وابتعدوا عن الأرثوذكس، بعد أن حاولوا خداعهم مرارا فى العاصمة وغيرها من المدن.

الفصل التاسع

المثلثون فى الإسكندرية

بعد أن فشل المثلثون في السخرية من الأرثوذكس فى العاصمة، كرروا ما فعلوه فى الإسكندرية وفى سوريا. إذ توجهوا إلى الإسكندرية وكتبوا إقرارا يتضمن توبتهم، وتقربوا من الأسقف دميان الذى أعقب بطرس (٥٦٨-٥٧٠م)[١٥] . فى رئاسة الكنيسة. وعندما طلب منهم إنكار تعدد الطبائع والجواهر وتحريم يوحنا النحوى وكتابيه اللذين أضلاهم، أعلنوا أنهم يحرمون الكتاب الأخير الذى ينكر قيامة الأجساد. أما الكتاب الأول الذى يتناول تعدد الآلهة فلم يقبلوا الابتعاد عنه أو أن يحرمونه. وعندئذ طردهم الأسقف دميان من الكنيسة. وقد فعلوا أكثر من ذلك فى سوريا. وعندما أدركوا أن مكائدهم لا تجديهم نفعا، ظلوا على فساد هرطقتهم وما زالوا حتى اليوم.

الفصل العاشر

عن كتابات المثلثين

اقتبس المثلثون كتابا كبيرا من نص كتابات الآباء القديسين، بعدما ظنوا أنفسهم فلاسفة. واعتقدوا أن تلك الاقتباسات تؤيد بدعتهم، لكن شريعة الله تقول في مثل ذلك "لاتأكلوا لحما قد نهش من الأحياء". واقتبس المثلثون أجزاء من كتابات الآباء الجدلية واعتقدوا أنهم يخلدونهم بذلك، وظنوا أنها تدعو مثلهم إلى تعدد الطبائع والجواهر. ولما اعتقدوا أنهم غير ملومين علّموا الناس وبشروا بتعدد الآلهة مثل الوثنيين.

الفصل الحادى عشر

عن كنائس المثلثين فى القسطنطينية

عندما أراد أتباع كونون[١٦] وأوجين، ممن نادوا بتعدد الآلهة، أن يقووا ويؤسسوا هرطقتهم، أكثروا من تعيين الأساقفة وأرسلوهم إلى كل مكان. وظل كثيرون منهم فى العاصمة، وأسسوا لهم كنائس عظيمة بمساعدة البطريرك يوحنا السرمى منذ البداية، إذ كان يجمع إليهم جمهورا كبيرا بلا خوف. فلما مات يوحنا وأعقبه أوطيخا، قبض على كثيرين منهم ممن انشقوا عن هرطقته، وهم الذين كفروا بقيامة الأجساد، وخطف أدواتهم الكنسية، وهدم مذابحهم، وقبض على أساقفتهم وغيرهم؛ وحبسهم فى الأديرة فظلوا بها زمنا طويلا.

الفصل الثانى عشر

عن توبة بعض المثلثين

تاب أحد الأساقفة المثلثين بعدما تبين له فساد هرطقة المثلثين، وكان ممن عينهم أتباع كونون فى قيليقية. وقد ابتعد عنهم وكتب إلتماسا للأرثوذكس حرم فيه أتباع كونون وهرطقتهم، ومن ثم انضم إلى فريق المؤمنين.

الفصل الثالث عشر

عن عهد الملك الظافر موريقيوس

بعد وفاة الملك جستنيان فى الرابع عشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) فى سنة ثمانمائة وست وسبعين (يونانية /٥٦٥م) حيث حكم لمدة تسعا وثلاثين عاما[١٧] . ثم أعقبه جستين الثانى على العرش ؛ وكان جستين ابن أخت جستنيان، وقد حكم جستين لمدة ثلاثة عشر عاما إلا أربعين يوما. وأثناء تلك الفترة أصابه مرض عضال كابده طويلا، فعين طيباريوس قيصرا فى السابع من شهر كانون الأول (ديسمبر) فى سنة ثمانمائة وست وثمانين (يونانية/ ٥٧٤م)، أما التاج الملكى فقد ألبسه له إبان حياته، بعدما أدرك أنه ميت لا محالة، وأعلن جستين طيباريوس ملكا فى حياته عندما كان يعانى من سكرات الموت. وعاش جستين معه بعدما أصبح طيباريوس إمبراطورا مدة تسعة أيام ثم مات. وهكذا قضى طيباريوس أربعة سنين وهو قيصر الدولة، ثم أربعة أخرى إلا واحد وثلاثون يوما كان خلالها إمبراطور الدولة. ثم أصيب طيباريوس بمرض شديد أهلكه. وقبل وفاته بأيام قلائل قدم إلى العاصمة الكونت موريقيوس رئيس قادة الجيش الرومانى فى الشرق. وقام طيباريوس بتعيين موريقيوس القبادوقى فى رتبة قيصر فى الخامس من شهر آب (أغسطس) فى سنة ثمانمائة وثلاثة وتسعين (يونانية/ ٥٨١م). وقد تحدثنا عن ذلك فى فصول سابقة. وقد أطلق طيباريوس عليه اسمه، وجعل ابنته الصغرى أغوسطا معه على العرش ثم أسماها قسطنطينة وزوجها له على الفور. وعاش طيباريوس مع موريقيوس ثمانية أيام ثم ألبسه التاج فى اليوم السابق لوفاته، ومات طيباريوس فى قصر هبدمون[١٨] . فأعادوا جثمانه إلى العاصمة ودفنوه وفقا لمراسم دفن الملوك.

الفصل الرابع عشر

عن الملك موريقيوس وبداية عهده

بعدما اعتلى موريقيوس العرش الملكى ونودى به إمبراطورا، بدأ فى إدارة شئون المملكة. وبعد مرور فترة الحداد على الملك طيباريوس، قام بإصلاحات عظيمة فى شئون الإدارة، إلا أننا لا نستطيع الحديث عنها إلا بعد جهد كبير لأنها لا تدخل فى نطاق اهتماماتنا. وقد ذكرنا منها ما يتعلق بأحداث الكنيسة التى هى لب موضوعنا. ففى

اليوم الرابع من شهر آب (أغسطس) سنة ثمانمائة وأربع وتسعين (يونانية/ ٥٨٣م) وبعد الانتهاء من وليمة ملكية رائعة، تميزت بكثرة هداياها وعروضها الملكية، حدث أن وضعت الملكة أغوسطا حملها ورزقا بغلام ملكى، أسمياه ثيودوسيوس إشارة إلى ثيودوسيوس الثانى ، [٢٠] لأنه الملك الوحيد الذى ولد داخل القصر الملكى، فتوشح بالارجوان منذ ميلاده، منذ عهد قسطنطين ومن سبقه من الملوك. وهذا لم يحدث طوال عهود مرقيان (٤٥١-٤٥٧م) ولاوون (٤٥٧-٤٧٤م) وزينون (٤٧٤-٤٩١م) وأنسطاس (٤٩١-٥١٨م) وجستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) وجستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) وجستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م) وطيباريوس (٥٧٨-٥٨٢م). وقد فرح موريقيوس وأغوسطا لميلاده كثيرا، لاسيما وأن هناك من خططوا لانتزاع العرش منهما، وكانوا لا يصلحون مطلقا لإدارة شئون المملكة، وهكذا فسدت تدابيرهم فى يوم ميلاد الطفل. وقد مجده شعب العاصمة فى الملعب وصاحوا قائلين "ما أعظم ما وهبك الله الذى حررنا من العبودية للآخرين". وتقدم الأمراء والأميرات وأعضاء مجلس الشيوخ من المنصة الملكية وحرصوا على تقديم الهدايا إلى الغلام، وتنافسوا فى ذلك.

الفصل الخامس عشر

عن اضطهاد الأرثوذكس فى عهد موريقيوس

منذ أن ملك محب الله موريقيوس، لم يكف مثيرو الاضطرابات واللصوص عن الاضطرابات والشكوى من الأرثوذكس إلى الملك. إذ افتروا عليهم بافتراءات كثيرة واتهامات باطلة. ولم يعلم الملك السبب الذى يؤاخذونه عليه ولماذا انقلبوا على بعضهم البعض. فلما ثاروا عليه، غضب موريقيوس واستدعى البطريرك يوحنا النذير وأمره أن يرسل ويقبض عليهم ثم يودعهم السجن لئلا يجتمعون ثانية. وكان البطريرك يوحنا حزينا ومتكدرا بسبب أعمال الوثنيين، التى انكشفت بعون الله وعرفها الناس وأدانهم البعض. وصدرت عليهم أحكاما بالسجن، ليس على من كانوا بالعاصمة فقط بل وفى كل مدينة وإقليم. وقد فصلنا هذا الموضوع فى الفصول السابقة. إذ أُدين معظم أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى بهذه الأعمال لدرجة أن الملك اضطرب، لأن تلك المشكلات حدثت فى بداية عهده وربما يراسله كل حكامه على المدن، فيضطر إلى قتل وإبادة كل حكومته وعندئذ تغاضى موريقيوس عن هذا الموضوع وأهمله بعد أن مات بعض الوثنيين. وأُرسل البعض الآخر إلى المنفى، أما بقيتهم فقد ظلوا فى مناصبهم محتفظين بسلطانهم. ولذا كان البطريرك يوحنا حزينا ومتكدرا ولا يجد ما يواسى

نفسه به. وعندما أمره الملك باضطهاد الأرثوذكس والقبض عليهم، أجابه البطريرك بازدراء قائلا "إن الله لا يرضى عن هذا، هل بعد أن انكشفت وثنية الوثنيين وعرفها الناس، ننصرهم ونحررهم من السجون ونتركهم آمنين، وهل نطارد بدلا منهم من نصروا المسيحية ونحكم عليهم بالموت، هل هذه قوانين العدالة! ثم ماذا قال أتباع الطبيعة الواحدة أو فعلوه لكي نضطهدهم؟ فليكن معلوما لجلالتك أنه بعد أن انتصر الوثنيون وتحرروا من السجن واحتفظوا جميعا بنفوذهم، كيف اضطهد هؤلاء المسيحيين الذين لا نلومهم على مسيحيتهم، بل لأنهم يعتقدون أنهم مؤمنين أكثر منا". وهكذا توقف الاضطهاد.

الفصل السادس عشر

عن اضطهاد الآريوسيين فى عهد موريقيوس

بعد مرور زمن قصير، طلب مثيرو الاضطرابات مرارا وتكرارا الانقضاض على المؤمنين. ولم يستجب لهم، فألقوا بالاتهامات على جماعات الآريوسيين. وجمعوا فرق الاضطهاد وانقضوا على كنيسة الآريوسيين المجتمعة خارج المدينة فى دير الملكة[٢١]. وانقضوا على جماعات الآريوسيين أثناء اجتماعهم لتقديم القربان فقلبوا مذبحهم وألقوا قرابينهم على الأرض، وأخذوا كل أدواتهم وكتبهم وبقية ما وقع تحت أيديهم، ثم جروهم على الأرض وحبسوهم فى سجن الكنيسة. وحقت عليهم وعلى غيرهم من السجناء كلمة سيدنا المسيح القائل "الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير"[٢٢] . حتى أنهم أرادوا الوفاء بالفلس الأخير مقابل حياتهم. وهكذا حرروهم من هناك.

الفصل السابع عشر

عن جريجور أسقف أنطاكية

بعد أن انتشر خبر محاكمة الوثنيين فى العاصمة وأنطاكية وفى كل مكان، تحدث الناس تباعا عن الطوباوى جريجور الأنطاكى، حتى ثار شعب المدينة يريد إحراقه، وردد الثائرون "أحرقوا هذا الرجل، نحن نريد بطريركا مسيحيا للمدينة"، علاوة على

شتائم أخرى كثيرة. وقد توقفت محاكمة الوثنيين فى كل مكان وماتت القضية. وهكذا توقفت قضية الوثنيين بسبب شخصيات عظيمة وشهيرة متورطة فيها. أما جريجور فعندما ثار عليه شعب مدينته وأهانوه، اعتزم زيارة الملك فجهز له قدرا كبيرا من الذهب والفضة والثياب الفاخرة بكل أنواعها، إلى غير ذلك من الهدايا التى تناسب وقار القادة من أعضاء مجلس الشيوخ، وكما قيل أنه أنفق على ذلك ذهبا كثيرا. وعندما وصل إلى العاصمة أسبغ عطاياه على أعضاء مجلس الشيوخ والأمراء والأميرات وكل رجال الكنيسة الذين غضبوا عليه بسبب ما أُشيع عنه، فزادهم من عطاياه. وبالرغم من أن أقرباء البطريرك عندما سمعوا بقدومه أقسموا على عدم الانضمام إليه، إلا أن من رفض الرشوة منهم أقنعه البعض بالذهاب إليه. وكذلك قابله الملك وأعضاء مجلس الشيوخ بالتبجيل وصاروا جميعا معه. وهكذا استقبل جريجور بكل وقارٍ فى حين أن كثيرين اعتقدوا أنه متورط فى قضية الوثنيين، وأنه لن يعود ثانية إلى منصبه. وبعدما حقق جريجور كل ما أراده، قيل أنه أبتغى أن يهدأ من غلواء الأنطاكيين، فطلب من الملك أن يأمر ببناء ملعب لهم وتحقق له هذا المطلب أيضا. ومنحه الملك نفقات كبيرة لبناء الملعب وكنيسة الشيطان التى سيرأسها ويجد فيها راحته. وقيل أيضا أنه اصطحب معه الممثلين لدى عودته إلى أنطاكية، فكان ذلك مثارا للضحك والسخرية من البعض، ومبعثا على الحزن والألم من البعض الآخر. وقال الناس "لقد صدقت عليه كلمة المسيح القائل "لكن إذا فسد الملح فبماذا يملح، لا يصلح بعد لشئ، إلا أن يطرح خارجا ويداس من الناس"[٢٣] . وبعد كل ما سبق من مشكلات تتعلق بكنيسة الشيطان، صار جريجور رئيس الكنيسة بأنطاكية، وارتدى رداء من يبنى ويؤسس، وباشر بناء الكنيسة بهمة وحماس فأصبح مثارا للسخرية والاستهزاء من شعب أنطاكية.

الفصل الثامن عشر

عن عائلة الإمبراطور موريقيوس

أرسل موريقيوس في بداية عهده وأتي بوالديه، وكان والده كهلا يدعى بولس، وأخيه بطرس وأختيه؛ وكانت إحداهما أرملة والأخرى زوجة رجل يدعى فليبيقوس الذى عينه قائدا للحرس الإمبراطورى فى البداية، ثم رئيسا لقادة الجيوش الرومانية فى الشرق. وأوفده لتجهيز الجيوش لقتال الفرس. أما والده فجعله رئيسا لمجلس الشيوخ والبطارقة، ومنحه وأخاه كل ثروة البطريق العظيم مركيلوس أخى الملك جستين الثانى،

تلك الثروة التي لم تكن أقل من أموال الخزانة الملكية، بالإضافة إلى بيوته وضياعه وما يملكه من ذهب وفضة وخزانة ملابس علاوة على أملاكه فى الأقاليم الأخرى. ووهب أباه وأمه منزلا آخر بين كنيسة الحكمة المقدسة (آجيا صوفيا) والقصر الملكى. ووهب أخته وصهره فليبيقوس منزلا عظيم البنيان يقع بالجانب الغربى من المدينة، والذى يسمى زوعما(٢٤) . وكان المنزل مشهورا باسم آلرس، كما وهب أخته الأرملة منزلا جديدا كان فى اتساعه كالمدينة، وكان يمتلكه البطريق بطرس الشهير باسم دبرسومس (برسيماس ؟) (٢٥) . كما وهب بقية أهله بيوتا عظيمة وشهيرة كانت تابعة للمملكة، وأغدق عليهم الثروات، وعظم قدرهم. وعين المقربين فى مراكز رفيعة، كما اهتم بمجال البناء والتشييد. ولأنها أشياء لا تدخل ضمن إطار موضوعنا فلم ندونها.

الفصل التاسع عشر

عن دومتيان (٢٦) مطران ملطية

عندما أرسل الملك طيباريوس موريقيوس إلى الشرق، وكان لا يزال ضابطا فى الجيش. فقد عين موريقيوس دومتيان أسقفا على ملطية بقبادوقيا. وبعدما قضى موريقيوس عامين بالشرق، ثم توجه إلى العاصمة وأصبح إمبراطورا. توجه إليه دومتيان على الفور وصار مستشاره وناصحه المقرب إليه أكثر من رجال بلاط. وصار يفكر له ويشد من أزره فى كل الأوقات الصعبة وخاصة إبان الحروب ضد الفرس ذلك الشعب المجوسى، وإبان حروبه ضد الآفار تلك الشعوب البربرية الهمجية التى جاءت إليه من أقاصى العالم، بالإضافة إلى حروبه ضد السلاف. وقد حاصرت تلك الحروب الملك موريقيوس ومستشاره الذى لم يتجاوز مرحلة الشباب آنذاك. وقد مال دومتيان إلى بدعة خلقدونية وأتباع لاوون. وعندما توالت الأحداث على المملكة، كان دومتيان يعرضها على الملك وينصحه بشأنها ويجعله يعالجها كما يريد هو، ومازال يسلك نفس السياسة حتى الآن.

الفصل العشرون

عن خزائن القصر الملكى

عندما تولى طيباريوس شئون المملكة، أنفق كل خزائن الملك جستين بلا نظام. إذ وجد طيباريوس خزائن الملك جستين تكتظ بالذهب الذى كدسه فى خزائنه بالظلم، فسيطر عليه الحماس وشرع يخرج الذهب وينفقه فى سبيل الخير، وأنفق منه فى سبيل الشر أيضا كعادة الملوك. وكان طيباريوس ينفق بلا حدود، وكان يبذر المال كالمذراه، خاصة عطاياه التى وزعها على الجيش والشعب حتى أصبحت خزائن الملك جستين خاوية. ووفقا لما ذكره طيباريوس بنفسه أنه أنفق سبعة آلاف وخمسمائة رطلا من الذهب، هذا بخلاف الفضة والهدايا الملكية التى وزعها كعادة الملوك فى بداية عهده، حتى اضطر بعد ذلك إلى فتح خزائن الملك أنسطاس والإنفاق منها. وبعد أن صار موريقيوس ملكا، وجد خزائن القصر نظيفة وكأنها كُنست بمكنسة. فلم يجد بها ذهبا أو أموالا، فاضطر إلى تخفيض نفقات الجيش وأدخرها قائلا "إننى لن أبعثر الأموال وأنفقها، بل سأجمعها وأدخرها لكى أنفقها على سلامة الدولة". وهكذا أتبع موريقيوس سياسة تقشف مالى فى نفقات الجيش وفى كل شئون الدولة الأخرى. وصار مثالا للسخرية والاستهزاء واللعن من الناس، فأسموه البخيل المدخر الذى استطاع أن يرفع من شأن أقاربه ويغنيهم وحدهم، علاوة على أشياء أخرى ليس لها ما يبررها ولذا لم ندونها.

الفصل الحادى والعشرون

عن مثيرى الاضطرابات والمضطهدين واللصوص

عندما كان الملك موريقيوس مشغولا بالحروب التى توالت عليه من كل الجبهات. تآمر مثيرو الاضطرابات وأرادوا نهب بيوت أتباع الطبيعة الواحدة وسرقة ممتلكاتهم بحجة الإيمان. وأرادوا أن يحصلوا على الأذن والسلطة التى يتمكنون بها من تحقيق ضالتهم. فلم يكفوا عن مضايقة يوحنا النذير والملك موريقيوس، واستمروا فى إشاعة الافتراءات والاتهامات ضد من شككوا فى مجمع خلقدونية وآخرين كثيرين. وقالوا "إن هؤلاء يجتمعون فى جماعات كبيرة، ويزيدون على الكنيسة الكاثوليكية فى تقديم القرابين وتنصير الناس مع الهراطقة والآريوسيين والسمبطيين والرباعيين والمونتانيين

والمرقيونيين وآخرين من دونهم ممن على شاكلتهم، وهم يخرجون على نهج كنيسة الدولة ويعارضونها، فامتحونا السلطة للقبض عليهم وسجنهم وتعذيبهم وهدم كنائسهم". فوبخهم البطريرك يوحنا لأنه كان رجلا مسالما وديعا ويعلم مكرهم وما يهدفون إليه من نهب وسلب فى حقيقة الأمر، وقال لهم "ما أجمل ثورتكم لو كنتم ثرتم على أؤلئك بالحق، أو كنتم تريدون إصلاحهم! لكنا نعلم اهتمامكم ورغبتكم فى السرقة والنهب، فاذهبوا واهدأوا، نحن لن نسمح لكم بالاضطهاد في أيامنا، وسوف نستمر فى تعليم الهراطقة ووعظهم كما نشاء". أما هؤلاء المضطهدون فنظرا لأنهم ليسوا جميعا من رجال الدين، بل من المدنيين أيضا، إذ كان منهم بعض منحرفى الإيمان ومن الأطباء الوثنيين. ولأنهم ابتغوا الذهب فى واقع الأمر، أظهروا أنهم ثاروا دفاعا عن إيمان المسيحيين. فعندما كشف البطريرك خداعهم، لم يتوانوا عن مضايقة الملك الرحيم. إذ كان منهم أطباء البلاط الملكى، وكان الملك مشغولا وتسيطر على تفكيره حروب البرابرة التى ضيقت عليه الخناق. فقد رفض مطلبهم قائلا لهم "ألا يكفينا حروب البرابرة التى تحاصرنا من كل حدب وصوب، هل تريدون أن تورطونا فى حروب داخلية أخرى". وهكذا هدأت حدة حماسهم وخجلوا مما أقدموا عليه وفسدت مخططاتهم.

الفصل الثانى والعشرون

عن بناء مدينة آرابيسوس[٢٧] بقبادوقيا وخرابها

عندما شرع موريقيوس فى إدارة شئون المملكة، وأمره طيباريوس أن يلقب باسم طيباريوس، أما موريقيوس فلم يطب له أن يغيير أسمه الذى أسمياه به أبواه. بل أمر بسك اسم موريقيوس على العملة الذهبية (النوميزما)[٢٨] وهكذا احتفظ باسمه على الذهب المسكوك. واهتم موريقيوس بادئ ذى بدء ببناء مدينة آرابيسوس وإعادة تشييدها من جديد. فأرسل إلى كافة مدن المملكة واستقدم العمال المهرة فى بناء الأحجار ونحتها، والبناءين، والنجارين، والحجارين، والحدادين، والمهندسين، وأرباب المهن الأخرى. وأرسلهم إلى آرابيسوس وأرسل معهم فرقة من الجنود ترافقهم، لتنظيم أمور البناء. وأمرهم الملك فى البداية ببناء كنيسة آرابيسوس على مساحة كبيرة من الأرض، وزودها بآنية فضية وذهبية وأمر بتزيين مذبحها بالذهب. ثم أمر ببناء مدفن كبير بها، مثل سائر كنائس العاصمة، علاوة على ملجأ كبير للعجائز[٢٩]، وأمر ببناء ميدان كبير وأروقة ممتدة وكبيرة على منوال المدن الأخرى، بالإضافة إلى الكنائس

المستطيلة (نمط البازليكا)[٣٠] . وبلاط ملكى تحيطه أسوار عظيمة. وقد استاء كثيرون وطالبوا الملك بدفع رواتب الجنود التى تقاتل دفاعا عن الدولة. وكان موريقيوس يجيبهم بقوله "أنا لا أملك ذهبا أوزعه عليهم". وقد عادوا إلى مطالبهم السابقة بعد أن استولى البرابرة على مدن كثيرة فى الشرق وفى الغرب، وكان الملك يرد عليهم قائلا "أنا لا أملك ذهبا أعطيه أياهم". وكانت الجنود تطالب الملك بقناطير من الذهب، إلا أننا لم ندون شيئا عن تلك الأخبار لأننا لم نتأكد من حقيقتها، إذ قيل أن الملك أرسل كل الذهب لإعادة بناء مدينة آرابيسوس التى لم تشتهر مطلقا ولم تجد الرومان يوما.

الفصل الثالث والعشرون

عن خراب مدينة آرابيسوس

كان بناء مدينة آرابيسوس يسير على قدم وساق. وفى السنة الثانية من بداية البناء حدث زلزال مدمر ومخيف، وكان الزلزال الثالث الذى دمر مدنا بأكملها فى الشرق. وكان وكأنه غضب اجتاح آرابيسوس كلها. وقيل أن الزلزال دمر مبانى المدينة كلها، سواء الجديد منها أو القديم. فتملك الناس ذهول كبير، وتضايق الملك موريقيوس كثيرا، وحزن لأن دمار المدينة كان أشبه بالرمز الإلهى الخفى، إلا أنه لم يتراجع عن بنائها من جديد. وهكذا ظل الحرفيون فى المدينة لكى يشيدونها من جديد.

تاريخ الكنيسة

يوحنا الآسيوى

ترجمة الجزء السادس من الكتاب الثالث

القصة الأولى

عن بداية الكتاب

لم نر غضاضة أو غرابة فى إلحاق موجز تاريخى بأحداث الكنيسة عن الحروب والمشاحنات وسفك الدماء التى حدثت فى أيامنا. لأن من يأتون بعدنا يجهلونها، إذا ما بقى العالم مستمرا. ونحن نسجلها ونخبر عنها كما عشناها وعايشناها واستقيناها شفاهة، وبذلك نكون قد حافظنا على كلمة مخلصنا وتعاليمه المليئة بالحياة، تلك تعلمنا وتحذرنا وتشهد علينا وعما يكون فى نهاية العالم إذ تقول عن ذلك "إذا رأيتم كل هذا يحدث اعلموا أنه قريب على الأبواب"[١] . وها نحن نرى ذلك قد حدث فى أيامنا ومن ثم فقد صدق أن كل زمن تنتظره نهاية مخيفة تصحبها قوة كبيرة ومجد عظيم.

القصة الثانية

عن قتال البطريق موريقيوس

يبدأ حديثنا من الآن عما حدث فى البلدان الشرقية. وتبدأ قصصنا وما دوناه باختصار بالبطريق موريقيوس قريب الملك جستين الثانى[٢] . الذى كان أحد قادة الجيوش الذين أرسلوا إلى الشرق فى ذلك الوقت. بعد أن تأججت نيران حماس موريقيوس من أجل دولة المسيحيين، جمع جنده وتوجه إلى مدينة نصيبين[٣] . وعسكر عندها. وكانت خاضعة للفرس حتى ذلك الوقت، فضرب موريقيوس حولها حصارا قويا لكى يستولى عليها[٤] . وأقام حولها حاجزا من القضبان المدببة (المتاريس)، فلما كان الميكانيكيون معه فقد أقاموا المجانيق العالية والأبراج الضخمة عليها. وبدأت المدينة تضيق بالحصار، وخاف أهلها والحامية الفارسية التى بداخلها على حياتهم، إذ أدركوا أن الرومان سرعان ما سيحتلون المدينة. وبينما كان الذين بداخل المدينة مذعورين، كان الذين فى خارجها مستعدين للاستيلاء عليها وتخريبها، وما أن استعد الرومان وهموا بدخول المدينة إذا برجل يدعى أقاقيوس أرخلاون (الحاكم)، ذلك الذى أرسله الملك جستين لموريقيوس، قد قدم فجأة لكى يسلب موريقيوس سلطته ويجرده من منصبه ويبعده عن البلدان الشرقية. وكان موريقيوس وجنوده يقاتلون ويستعدون لدخول نصيبين فى اليوم التالى والاستيلاء عليها. وما أن أعرب أقاقيوس عما يحمله من أوامر ملكية، حتى اضطرب الجند ووهنت عزائمهم وتبخر بأسهم. ولما سمع المجيد

موريقيوس بهذه الأوامر، وكان مستعدا للاستيلاء على نصيبين، فقال لأقاقيوس "ها أنت ترى كم نبذل من جهد لكى نستولى على هذه المدينة، فاسترح الآن وأمهلنا يومين فقط، وبعد ذلك نفذ ما أُمرت به، فالسلطة للملك وما يراه". وعندئذ غضب أقاقيوس عليه ووبخه وأمسك به ودفعه هنا وهناك أمام الجنود، ثم جرده من رتبه العسكرية وهو يهزأ به. وكما قيل أنه صفع موريقيوس على وجهه، فتضايق الجنود كلهم، وشُلت حركتهم بعد ما رأوه من ظلم، وحملوا الراية ونكسوها وقلبوها للخلف. وعلى الفور هرب كل الجنود وانسحبوا بعيدا عن المدينة وهو حزانى ومتكدرون مما حدث لقائدهم، ذلك الرجل البار المؤمن، كما أنهم صاروا مبعثا للسخرية والاستهزاء من أعدائهم لأنهم اعتقدوا أنهم سيدخلون المدينة ويستولون عليها، وإذا بهم ينسحبون بدون أن يطاردهم جندى واحد من الأعداء. وتعجب جنود الفرس ما أن رأوا ارتداد الرومان الفجائي، وسقوط راية موريقيوس، وشجع بعضهم بعضا وتسلحوا وقاموا بتعقب فلول الرومان، وانقضوا على جنود المشاة بمؤخرة الجيش فقهروهم وأصابوا منهم كثيرين، وهكذا عادوا إلى مدينتهم وهم يضحكون ويتندرون بما فعلوه بالرومان. ثم كتبوا فى الحال إلى ملكهم خسرو أنو شروان وأخبروه بكل ما حدث قائلين " أدركنا لكى نعبر إلى أرض الرومان لأن آلهة الشمس[٥]. والنار[٦] . صرعتهم، وهكذا انقلبوا على بعضهم البعض بسبب أمر ملكهم، وطردوا موريقيوس بسخرية وهربوا جميعا بعيدا عن مدينتنا.

القصة الثالثة

عن أسباب غضب الملك جستين على موريقيوس

نوضح فى البداية ونفسر بدقة من أجل موضوع وتسلسل القصص أن غضب الملك جستين على المنذر بن الحارث ثم على موريقيوس كان ظلما وبلا عدل. ونحن لا نعلم ما الذى دفعه لذلك. فقد غضب جستين على المنذر من أجل التالى. كان عرب الفرس يخشون الحارث بن جبلة ابيه، وكان ملكا على العرب التابعين للروم، وكان عرب الفرس يهابونه. فلما علموا أنه مات سخروا واحتقروا أبناءه وأمراءه وجيشه، واعتقدوا أنه بموت الحارث قد آل إليهم كل معسكرهم، وعندئذ اجتمعوا وتوجهوا إلى أرض عرب الروم وعسكروا بها، حيث توجد كل ثروتهم بها. فساقوا إبلهم كلها إلى أرضهم، ولما علم المنذر بذلك تضايق كثيرا وتملكته الحمية. فقاد كل أخوته وأبناءه وأمراءه (الغساسنة) وانقضوا عليهم فجأة[٧] . أما عرب الفرس (اللخميين) فاعتقدوا أنهم لن

يجرأوا على قتالهم أو قهرهم وأبادتهم. وما أن رأى ملكهم قابوس سرعة انقضاض المنذر وجنوده؛ الذين دخلوا معه وسيطروا على أرضه وأبادوا جيشه، حتى ركب مع ثلة من جنوده وهربوا بدون سلاح. ودخل المنذر خيمته وأقام بها، واستولى على معسكره ومتاعه وكل ثروته، كما قبض على أقرباءه وأمراءه وأخذهم اسرى وقتل الباقين. ثم توغل مسافة ثلاثة فراسخ (تسعة أميال) داخل أرض قابوس، وأقام معسكره فيها، حيث قطعان الماشية وثروة عرب الفرس. وبعد فترة طويلة من إقامته هناك، جاء جواسيس قابوس ورأوا الخيمة مقامة فى أرضه، فظنوا أن ملكهم بها. فدخلوا بثقة داخل مخيم المنذر، فأمسكهم جند المنذر وقتلوهم وأسروا المشهورين منهم. وهكذا ظل المنذر وجنوده لفترة طويلة فى أرض عرب الفرس، وعادوا من هناك بقافلة كبيرة من الخيول وقطعان الأبل والسلاح وما إلى غير ذلك من الغنائم. وبعد فترة عاد قابوس إلى أرضه وجمع جيشا كبيرا وأرسل للمنذر لكى يستعد لقتاله قائلا "ها نحن قادمون إليك، بالرغم من أنك انقضضت علينا كاللص، واعتقدت أنك هزمتنا، والآن نحن قادمون إليك لقتالك علانية". عندئذ أجابه المنذر بقوله "لماذا تتكبدون عناء الطريق، إننى قادم إليكم، فأنا استعد للقاءك وإنى لما أقوله فاعلٌ". فقابلهم المنذر فى الصحراء وأخذهم على حين غرة ولم يتوقعوا ذلك، إذ انقض عليهم وفرق جمعهم، ففروا أمامه ثانية. وقد أوضحنا فى فصول أخرى قبل ذلك كل ما يتعلق بذلك، أما الآن فنوضح ما الذى أثير ظلما بدون تمحيص ضد المنذر، وبأى خديعة جوزى بعد كل هذه الانتصارات العظيمة فى معركتين. فقد ظن المنذر أن الملك جستين سيلقاه ويمتدحه، فكتب له بكل ما فعل وتفاصيل انتصاره. ثم طلب منه ذهبا لكى يجهز جيشه، إذ ظن أن عرب الفرس سيعاودون الكر عليه. فلما بلغ جستين ما يطلبه من ذهب، غضب عليه ولعنه وتوعده بالعقاب القاسى وأضمر فى نفسه أن يقتله بخدعة خفية.

القصة الرابعة

عما كتب لموريقيوس و للمنذر

عندما امتلأ الملك جستين بالعداء والغضب على المنذر. كتب رسالة إلى البطريق موريقيوس لكى يقتل المنذر فى سرية تامة. وهكذا كتب له "ها أنا ذا قد كتبت للمنذر العربى لكى يأتيك، فاستعد واضرب عنقه حالما يأتيك، ولا تتردد ثم أكتب لنا". ثم كتب جستين للمنذر قائلا"أرسلتُ للبطريق موريقيوس بشأن بعض الأمور الضرورية لكى يتحدث معك، فتوجه إليه فى الحال وتباحثا سويا فى الأمر". وقد شاع أمر الرسالتين

بين الناس. وكان من صنع الله أن أُبدلت الرسالتان، فكتب اسم المنذر على الرسالة الموجهة لموريقيوس وفيها الأمر بقطع رأس المنذر، وكتب اسم موريقيوس على الرسالة الموجهة إلي المنذر وتحمل أمرا بالذهاب إلى موريقيوس والتباحث معه فى بعض الأمور، وقد حدث هذا عن طريق الخطأ. وهكذا أخذ الموظف المختص الرسالتين وسلمهما وفقا لما كُتِبَ على كل واحدة منهما. فتسلم المنذر رسالة موريقيوس وفيها امر بقتله، وتسلم موريقيوس رسالة المنذر وفيها أمر بالتوجه إلي موريقيوس والتباحث معه. ولما تسلم المنذر هذه الرسالة اضطرب اضطرابا شديدا وقال "هل أجازى بقطع رقبتى مقابل مجهوداتى من أجل الرومان"، ولذلك امتلأ المنذر غضبا وجمع جنوده وأمرهم بحراسته قائلا "إذا رأيتم من أرسلهم ملك الرومان إليّ فاقبضوا عليهم إن كانوا قلة وابقوهم خارج المعسكر. وإن كانوا كثيرين فقاتلوهم بشجاعة فى الحال ولا تنخدعوا بما يقولونه لكم، ولا تجعلوهم يقتربون من معسكركم مطلقا". وهكذا ظلت كل قبائل العرب (الغساسنة) محتشدة ليلا ونهارا، تنتظر القتال مع من يأتيهم من الرومان. وعندما علم ملك الفرس وأتباعه من العرب بذلك، أدركوا أنه ليس هناك ما يجعلهم يخشون المنذر، فهو لن يزج بنفسه فى القتال دفاعا عن الروم الذين يريدون قتله. وعندئذ استعد الفرس وأتباعهم العرب اللخميين فى سرية تامة، لكى يتسللون إلى الأراضى الرومانية، فخربوا القرى والمدن وتوغلوا وسبوا سبياً كبيرا حتى بلغوا مشارف أنطاكية، وأضرموا الحرائق في القرى المحصنة كالمدن التى تحيط بأنطاكية وخلافها، وسبوا ونهبوا تلك الأراضيكلها، ثم عادوا إلى أرضهم بقافلة كبيرة من الغنائم. ولما كان المنذر متضأيق وحزينا لهذه الخدعة ولما قام به الأعداء من تخريب فى الأراضى الرومانية، قاد جيشه وأقام فى الصحراء. وتضايق كل من علم بالافتراءات التى قيلت على المنذر، ولاموا قرار الملك بقتله، لأنه صدر بدون تمحيص أو ترو. ولما سمع الملك جستين بما قام به الفرس من تخريب داخل الأقاليم الرومانية، وأدركَ أن المنذر تخلى عن الدفاع عن الحدود الرومانية تماما، أرسل إليه القواد الرومان فى الشرق ليصالحونه ويطيبون خاطره. ويعد أن أرسل إليه كثيرون ليذهبوا إليه، أجاب المنذر كل واحد منهم بقوله "ليكن فى علمكم أنه إن جاءنى أحدٌ من الروم، فإنى مستقبله بالقتال، فإما قتلنى أو قتلته، وإننى لن أثق مطلقا فى أحد من الرومان لأنكم وملككم تريدون قطع رقبتى". وكان هذا ظلم الرومان، وهكذا ظل القواد الرومان يكاتبون المنذر بتوسلات كثيرة لمدة سنتين أو ثلاثة، أما هو فلم يبد تقربا إليهم، بل أخبر كل الناس بهذا الأمر. أما سبب غضب جستين على موريقيوس فكان لأن المنذر لا يزال حيا، علاوة على افتضاح أمر الرسالة، ولأن موريقيوس لم يحسم هذه المسألة. ومن ثم وضح للناس أن المنذر قد اتُهم بدون اعتبار لمخافة الله. وكان المنذر يستعد بكل جنوده ويحاذر من القادة الرومان، وظل على هذا الحال لمدة ثلاثة سنين أو أكثر قليلا. لكنه كرجل مسيحى حزن على أراضى الرومان التى تجاسر الفرس وأتباعهم اللخميين

واخترقوها ثم خربوها، وأشعلوا فيها الحرائق كما سبوا أنطاكية وعادوا بقافلة كبيرة من الغنائم وسبيا لا يعد ولا يحصى إلى أرضهم. والحقيقة أن المنذر جاءته رسائل الملك بواسطة عظماء الدولة والأمراء وفيها يستنكر جستين أمره بقتل المنذر، أما المنذر فقد تشدد ولم يلن أو يقبل رسائله أو يقابل أحدا من مبعوثيه، وكان مستعدا للقتال مع من يجرؤ على الاقتراب من معسكره. وفى النهاية أرسل المنذر إلى البطريق جستنيانوس بن جرمانوس، وكان الرئيس الأعلى لقواد الجيوش الرومانية فى الشرق، وقال له "إننى أعلم حيل الرومان، وقد سمعت عنها منذ زمن طويل. وأنت تعلم خدعة الموت التى جوزيت بها مقابل مجهوداتى، ومن ثم لن أثق ثانية فى أحد من قادة الرومان، أما أنت فلأنك رجلا مسيحيا فاضلا وتخاف الله كما أعلم، فإذا جئت إلى قبر البار مار سرجيس (القديس سرجيس) بالرصافة[8] . وأرسلت إلى ، آتيك هنالك مع جيش مسلح مستعد للقتال فإن قابلتنى بالسلام وأوضحت لى الحقيقة، سيمضى كلانا إلى سبيله بسلام، وإذا اتضح لى أن فى الأمر خدعة أخرى فإننى أرجو الله وأثق أنه لن يدع أحدا يقبض علىّ". وعندما تسلم البطريق جوستنيانوس رسالة المنذر فرح واغتبط كثيرا، وأرسل إلى المنذر قائلا "لا ترتاب فىّ، وها هو رب المسيحيين يفصل بيننا، فاقدم فى اليوم الفلانى إلى قبر القديس سرجيس ولنتقابل هناك، ولا ترهق جيشك. وأنا واثق فى الله أننا سنفترق عن بعضنا البعض بسلام وأمان وحب". وما أن وصل المنذر رد البطريق جستنيانوس حتى بدأ يغير رأيه، وخرج على الفور مصطحبا معه بعض الجنود وذهب ليلقاه فى الرصافة. وعندما تقابلا أمام قبر القديس سرجيس، تداولا فى أمور كثيرة، يفوق وصفها حدود كتابنا. واتفقا سويا وافترقا عن بعضهما البعض بثقة وسلام وفرحة كبيرة. وعندما علم الملك جستين ومجلس الشيوخ بكل ما حدث، فرحوا لأنهم أقنعوا المنذر وصالحوه. ثم توالت مكاتبات السلام والمصالحة بين الجانبين. وبعد ذلك تقوى المنذر وامتلأ غضبا على عرب الفرس لجرأتهم ولأنهم قتلوا سبايا الروم. فجمع المنذر أخوته وأقرباءه وأبناءهم وكل جنودهم فى سرية، واستعدوا فى اليوم التالى للقتال. واتفقوا على ذلك وأوضح المنذر خطته لهم بقوله " لا يفترق أحدنا عن الآخر، فسننقض سويا على حيرة النعمان[9]. فى أرض فارس، وسوف يمكننا الله منهم، لوقاحتهم مع المسيحيين". وأسرعوا فى الخروج من أرضهم ووصلوا إلى حيرة النعمان، فانقضوا على من فيها فجأة وكان أهلها نائمين، فأخذتهم دهشة شديدة، وأعملوا فيهم القتل والإبادة وخربوا كل المناطق وحرقوها، عدا الكنائس حيث أقام المنذر خيمته فى إحداها ومكث هناك خمسة أيام. وبعد أن أسر كل من وجده من العرب، قاد سبايا الحيرة والرومان السجناء، وقطعان الماشية والأبل وعاد بها إلى أرضه محققا نصرا كبيرا. ووزع المنذر ما سباه على الأديرة وكنائس الأرثوذكس وعلى الفقراء والمساكين، فأضاف ذلك إليه مجدا وغنى، لاسيما وأن المملكتان الفارسية والرومانية قد تعجبتا من قوته وشجاعته والانتصارات التى أحرزها.

القصة الخامسة

عن استيلاء ملك الفرس على دارا (١٠) فى سنة ٨٨٤ (يونانية= ٥٧٢م)

ما أن علم ملك الفرس أن موريقيوس هرب بجيشه من مدينة نصيبين، حتى توجه إليها بجيوش جرارة. فلما بلغها ووجد آلات الحرب والمجانيق التى أقامها البطريق موريقيوس، توجه من فوره وأقام على مقربة من مدينة دارا. بعد أن أخذ معه كل الآلات الحربية التى أقامها موريقيوس أمام نصيبين، فأقامها أمام دارا وكان معه أرباب الحرف. فقام النحاتون فى البداية بشق الجبل الواقع شرقى المدينة خارج قناة الماء التى تغذى المدينة بالمياه*لكى يفصلونه عن المدينة. وكما قيل أنهم عندما وجدوا صخور الجبل قوية فألقوا عليها النيران ثم أتبعوها بالغبار، وهكذا كانوا يشقونه. ثم أُقيمت كل المجانيق أمام المدينة، وحاصر كسرى المدينة لمدة ستة أشهر متواصلة. وأقام أمامها آلتى حصار، فاحتال الرومان حتى أحرقوهما والمدينة مازالت تحت الحصار الفارسى. وكان بالمدينة القائدان يوحنا بن تيموستراستوس(١١)؛ وهو رجل شجاع، والقائد سرجيس بن صفنى بالإضافة إلى غيرهما من القادة الرومان. وقيل أن القائد سرجيس أصيب بسهم وقتل. أما ملك الفرس فصعد الجبل الشرقى وأقام هناك خيمته الحربية، وكان يراقب من موقعه كل ما يدور داخل المدينة. كما أمر ببناء برج عال أمام آلة الحصار، وكان البرج الفارسى يفوق فى ارتفاعه كل الأبراج التى يسميها الرومان "هراقليس" (العملاق). وبعدما وجد ملك الفرس أنه لا يستطيع السيطرة على المدينة بالرغم مما قام به، أمر بحصار سور المدينة بحائط دائرى من الآجر لكى يمنع أهل المدينة من الخروج. ولما رأى أن كل حيله قد باءت بالفشل، أصيب بمرض واضطرابٍ وخاف أن يموت، فأرسل إلى قادة المدينة من أجل التفاوض معهم. وكان بالمدينة رجل شهير مترجم للرومانية (اللاتينية) والفارسية ويدعى قومنتا، فأرسله قادة المدينة للتفاوض مع ملك فارس. وقد تباحثا فى كثير من الأمور، وقال له ملك فارس أن يبلغ أهل المدينة بضرورة دفع مبلغ خمسة قناطير من الذهب فدية عنها فيبتعد عنها. أما قومنتا فإنه فلما تيقن أن الفرس لن يحتلوا المدينة كما اعترف بذلك لملك فارس بعد ذلك، فلم يبلغ أهل المدينة برسالة ملك فارس. وبعد مرور أيام، ولم يأت أحد إلى ملك فارس بالإجابة، امتلأ غيظا وعاد إلى حصار المدينة، وأقام أمامها آلة الحصار التى صنعها مؤخرا. فاستخف الرومان به وقالوا أنه سيجنى العار مثلما حدث من قبل، فأهملوا القتال على السور، خاصة وأن البرد كان شديدا قارسا. فنزل حراس السور تاركين مواقعهم، ولاذوا ببيوتهم فى المدينة فأكلوا وشربوا. ووجد الفرس أن السور قد خلى تماما من جند الرومان، فحركوا آلة الحصار صوب السور، وثبتوا السلالم

الخشبية عليه. وتسلقته جنود الفرس وامتلأت بهم جوانب السور، ونزلوا داخل المدينة. وانطلقت صيحة معلنة أن المدينة قد احتُلت، وكان جنود الفرس أكثر عددا وعدة من جنود الرومان، الذين ارتجفوا واضطربوا وهرولوا صوب أبواب المدينة لكي يفرون من الفرس. وعندما رأى الفرس كثرة أعدادهم وهم يفرون، تخوفوا واضطربوا وتركوهم يهربون بلا عقبات. وبعدما هرول الجنود الرومان وصاحوا طالبين مفاتيح الأبواب ولم يجدوها لأن قادتهم خبأوها. عندئذ وجدوا أن جيش الفرس قوى وتضيق به المدينة من كثرته، وأنهم فشلوا فى الفرار، فتشجعوا بعدما أدركوا أن الخيار أمامهم هو الموت أو الحياة. وانقضوا على على جنود الفرس وحصدوهم كحاصدات السنابل، ودار القتال فى وسط المدينة وظلوا يتقاتلون سبعة أيام. وامتلأت المدينة بأجساد القتلى ورائحة الجثث، التى كانوا يجرونها ويلقونها فى النهر وفى خزانات المياه عند الضرورة. وأدرك الفرس أنهم يقاتلون ولا يستطيعون السيطرة على المدينة، فهربوا من المدينة عبر السور وفكروا فى استخدام الخداع مع الرومان. وأرسلوا للرومان قائلين "لماذا نقاتل ونهلك بعضنا البعض، هيا نقيم سلاما بيننا". فوافق الرومان بدون خوف ووضعوا سلاحهم جانبا، لأنهم وثقوا فى كلام الفرس. وبعدما تقارب الفريقان من بعضهما البعض، بدأ الفرس فى نهب المدينة من جديد. ومن ثم اتضح زيفهم وخداعهم، وأنهم نقضوا عهدهم وقبضوا على الرومان، فقتلوا معظمهم وشدوا وثاق بقيتهم وساقوهم إلى ملكهم، وكان منهم أبناء الأمراء والأميرات وقادة المدينة. فأمرهم الملك أن يأتوا إليه بكل من يملك ذهبا، فجاءوا بهم بين يديه. وهكذا جمع ذهبا كثيرا، وقيل أنه جمع ما يزيد عن مائة أومائتين قنطارا من الذهب. لكننا لم نتأكد من عددها، ولا نريد أن نؤكد الأكاذيب، فما لا نثق فيه نتجاهله بهدوء. أما الملك فعندما رأى كل هذا الذهب، دعى عظماء المدينة للمثول بين يديه وقال لهم" إن الله قد اقتص منكم، ودماء الأنفس الهالكة منا ومنكم لهى واحد على مائة من هذا القصاص، فأنا لم أبغ كل هذا الذهب المتكبس أمامى الآن فدية عن مدينتكم لكي أبتعد عنها. وقد أرسلت لكم ما أطلبه بواسطة قومنتا فلم تجيبونْ "، فلما سمعوا كلامه أقسموا أنهم لم يسمعوا هذا الكلام مطلقا، فدعى كسرى جنده للبحث عن قومنتا وإحضاره لكى يوبخه. فلما أتوا به قال له " ألم أرسلك إليهم ؟ فأجابه قومنتا " نعم سيدى الملك"، فسأله الملك "وهل بلغتهم بما أرسلتك به ؟"، فقال قومنتا " لا لم أبلغهم بشئ لأننى تخوفت". فحكم الملك عليه بميتة قاسية، ثم قال له " لأنك قد عملت من أجل صالح الدولتين لن أقتلك". وأمر الملك جنده فسملوا عينيه. وبعد ذلك نهب ملك فارس المدينة نهبا لم نسمع به من قبل، وسبى أهلها فخلت المدينة من سكانها، وترك بها حامية من جنده ثم عاد ثانية إلى أرضه، يقود قافلة كبيرة م الغنائم وذهب وفضة بلا عد أو حصر علاوة على السبايا من رجال الدين وأهل المدينة. وتتراوح الفترة ما بين بناء دارا على يد أنسطاس وبين سبيها على يد الآشورين (الفرس) بحوالى اثنين وسبعين سنة[١٢] .

القصة السادسة

عن سبى الفرس لمدينة أفاميا[١٣] فى نفس السنة (٥٧٣م)

لما كان كسرى ملك فارس لا يزال فى مدينة دارا، ولم يجد من يقاومه فيها. أرسل جيشا إلى مدينة أفاميا بقيادة المرزبان آذرمهان، الذى استولى فى طريقه على الحصون الرومانية، وهدم قرى كثيرة وأحرقها. ثم توجه صوب أفاميا وحاصرها بجنوده. وبعد أن أخذ سكان مدينة دارا موثقا من كسرى، ودخلها ملك فارس فلما رأى بها الملعب الرومانى أعجبه ولم يهدم منها أو يحرق شيئا. وهكذا وثق أهل أفاميا بالمرزبان آذرمهان، واعتقدوا أنه لا يبغى بهم سوءا، فخرج إليه عظماء المدينة وأسقفها وقدموا إليه آيات الاحترام. أما هو فأضمر فى نفسه الخداع وقال لهم "لقد أصبحت هذه المدينة لنا، فافتحوا أبوابها لأدخلها وأشاهدها، ففتحوا له أبواب المدينة لأنهم وثقوا أنه لا يريد بهم شرا. فما أن دخلها حتى سيطر جنوده على أبوابها وأسوارها، وقبضوا على الرجال والنساء ونهبوا المدينة، وأخرجوا الغنائم وأهلها وأسقفها خارج المدينة، وهكذا نهبوها عن آخرها، تلك المدينة التى كانت موفورة الغنى منذ زمن بعيد وكانت أكثر المدن الرومانية عمرانا. وقد أحرقها الفرس عن بكرة أبيها، ثم أخذوا سباياها والغنائم منها ومن المدن الأخرى وتوجهوا إلى الملك كسرى فى دارا. وأحصى أمامه أسرى أفاميا وغيرها من المدن، فبلغوا مائتين واثنين وسبعين ألفا، وتم توزيعهم على القادة الفرس ثم عبروا بهم إلى الأراضى الفارسية. وهكذا بعدما استولى كسرى على دارا ونهبها، ووجد بها غنى لا حدود له ويزيد على المدن الأخرى لأنها كانت كالحصن المنيع الذى يفر الغزاة أمامه، عاد بالغنائم إلى فارس.

القصة السابعة

عن الفتيات الحسان من سبايا الروم

بعدما انتشى كسرى ملك فارس من النصر الذى حققه، وابتهج من عظم الغنيمة والسبى الذى استولى عليه من أرض الروم. أمر باختيار ألفين من الفتيات السبايا، ممن يشهد لهن بالنضوج والجمال. فلما تم اختيارهن وجاءوا بهن أمامه، أمر أن يتزين كالعرائس بأفخر الثياب ويظهرن فى صورة عظيمة، وأن يتحلين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة واللؤلؤ. كما أمر بإرسالهن إلى الأتراك[١٤] . البرابرة القاطنين فى بلاده، وكأنه يحسن إليهم بذلك ويهبهم الهبات لكى يستأجرهم فى حروبه ضد بيزنطة.

وبعدما تزينت الفتيات أرسل معهن قوة بقيادة مرزبانين، وأمر بصرف نفقات عظيمة للفتيات. كما أمر المرزبانين بعدم الإسراع بهن فى الطريق لئلا تضعفن ويتغير جمالهن. أما تلك الفتيات فلم يتضايقن لفراق آبائهن وإخوتهن وأقربائهن فقط، بل تضايقن لأنهن سيتركن المسيحية، بالإضافة إلى أجسادهن التى ستخضع لأيدى الأعداء البرابرة المتوحشين. فبكين بكاءا حارا من الضيق، وتحدثن سويا كأخوات وتمنين الموت لأنفسهن بدلا من الحياة. وكان الرجال المصاحبون للمرزبانين يعرفون آلامهن، إذ كانوا يشاركوهن الموطن هم ومن كانوا معهم ويقومون على خدمة الفتيات، إذ عرف الناس أنهم من نفس موطن الفتيات ويتحدثون لغة واحدة. ولما وصل الجميع مسافة خمسة فراسخ من الشعوب البربرية التى يقصدونها، وعرفت الفتيات أنهن قد بلغن تلك البلاد. وعندئذ مروا بنهر عظيم وكان من الصعب اجتيازه، فعسكر المرزبانان بالفتيات يوما على مقربة من النهر. إذ صدر لهم الأمر بالعمل على راحة الفتيات وعدم الإسراع بهن فى المسير. أما الفتيات ففكرن سويا، واستحوذت فكرة الموت على عقولهن. وتجمعن سويا وقلن "فلنفكر جميعا فى أنه إذا لطخنا أنفسنا بدنس الوثنية وأكلنا مع البرابرة لحوم البهائم القذرة الميتة منها والمخنوقة، سنضيع إيماننا وبعد موتنا سنجزى بحكم مروع. ولأننا أخوات مسيحيات أبناء مسيحيين يجب ألا ننقسم على أنفسنا، ولتكن لنا إرادة واحدة ونفس واحدة ورأى واحد وهدف واحد، قبل أن تتطلخ أجسادنا وتتدنس أرواحنا من البرابرة ويدركنا الموت فى النهاية. وما دامت أجسامنا نقية طاهرة وأرواحنا طاهرة من الدنس، فلنقدمها نقية طاهرة من أجل سيدنا المسيح، ونسلم أنفسنا للموت لكى نتخلص من الأعداء ونحيا حياة أبدية، ولنتقبل عذاب أنفسنا الآن لكى نحتفظ بأنفسنا وأجسامنا طاهرة دفاعا عن المسيحية". وهكذا ارتبطت الفتيات بكلمة واحدة وسر واحد وأقسمن على ذلك جميعا، واتفقن على إلقاء أنفسهن فى النهر فيغرقن ولا يسقطن فى أيدى البرابرة. وبعدما استحسنت الفتيات هذا الحل. وكان الحراس يراقبون الفتيات، اتفقت الفتيات على هذا الحل سرا وبقين بعض الوقت لكى يأمن الحراس، ثم قلن لهم "إننا نريد السباحة فى هذا النهر إذا سمحتم لنا"، ولما أراد الحراس القيام على راحة الفتيات كما أمرهم الملك، سمحوا لهن بالسباحة. فقالت الفتيات للحرس "إننا نخجل أن نسبح وأنتم جالسون على مقربة منا وتشاهدوننا، فابتعدوا قليلا لنسبح بدون خجل". وعندما ابتعد الحرس عنهن، تشجعت الفتيات وصلين باسم المسيح ثم ألقين بأنفسهن بسرعة فى النهر وغرقن جميعا. ولما نظر الحراس تجاه النهر، رأوا أجساد الفتيات طافية على سطح الماء، وتتحرك كالكومة الغارقة. وبعدما هرولوا إلى المكان الذى سبحت الفتيات منه، لم يجدوا واحدة منهن. فناحوا بمرارة وركضوا هنا وهناك لكى ينقذوا واحدة منهن، ولم يتمكنوا من ذلك. أما الحرس فلم يستطيعوا الفرار والنجاة بأنفسهم. فى حين أن الفتيات تمسكن بقوة المسيح دفاعا عن إيمانهن، وأسلمن أرواحهن إلى الله وتخلصن من دنس ووحشية البرابرة روحا وجسدا.

القصة الثامنة

عن السلام فى سوريا واستيلاء الفرس على أرمينية [١٥] وقبادوقيا

بعد الأحداث السابقة، بدأ السلام في سوريا لمدة ثلاث سنوات. وحصل الفرس بموجبه على ثلاثة قناطير من الذهب. أما فى أرمينية فقد ظلت الحرب فيها دائرة. وكان سبب ذلك منذ البداية هو خضوع سكان أرمينية الفرس للرومان. وقد كتبنا عن ذلك مذكرات قصيرة ضمن أحداث الكنيسة السابقة[١٦] ، ونعود الآن إلى تكملة حديثنا. عندما تملك الخيلاء بملك فارس بسبب استيلائه على دارا وأضله غرور قلبه، ووجد أنه لم يدخل فى مواجهة عسكرية فى سوريا، جمع جيشه وغزا أرمينية لكى يستولى على مدينة ثيودسيوبوليس[١٧] المتاخمة لأرمينية الفارسية ومدينة قيسارية[١٨] . بقبادوقيا ومدن أخرى، وهذا ما ظنه هو. وعندما توجه إليه الموظف ثيودور برسالة وكان يجهز الجيش للحرب، فأخذه معه ولما طلب منه أن يطلق سراحه قال له بسخرية "تعال معى إلى أرمينية، وادخل معى مدينة ثيودسيوبوليس لكى تستحم وتستريح هناك، وعندئذ أطلق سراحك". وهكذا أخذه معه إلى أرمينية. والحقيقة أن ملك فارس اعتقد أنه سيدخلها ويستولى عليها بدون عناء. ولما علمت جيوش الرومان بما اعتزمه ملك فارس، خافوا منه واستعدوا لمواجهته. وعندما رأى ملك فارس جيوش الرومان اضطرب، وقيل أن جيوش الرومان كانت تزيد على مائة وعشرين ألفا. وقد حاصرت ملك فارس واستعدت لقتاله، فعرج بعيدا عنها لكى يتوجه إلى مدينة أخرى. فأسرعوا إلى هناك وصدوه عنها أيضا. وتشددوا أمامه وسخروا منه بعدما لمسوا حجم جيشه الحقيقى. وبعدما فشل كسرى فى الاستيلاء على المدينة كما أراد، توجه إلى الجبال[١٩] . الواقعة على الحدود الشمالية وتواجه قبادوقيا، لكى يستولى على مدينة قيسارية. فتأهبت الجيوش الرومانية ووصلت قبل ملك فارس إلى هناك. ورابطوا فى مواجهته وصدوه على جبال قبادوقيا وحاصروه فيها، ولم يتركوه يجتازها. وظلوا مرابطين فى مواجهة بعضهما البعض لعدة أيام. ولم يتجاسر ملك فارس على الدخول معهم في حرب شاملة. ولما وجد أن الجيوش الرومانية أكثر منه عددا وعدة وهو لا يستطيع اختراقهم لكى يتوجه إلى قيسارية، اضطرب وتملكه الذعر الشديد. ولذا حاول استعمال الخديعة لكى يهرب إلى بلاده. وعندئذ أنّبه كهنة المجوس[٢٠] . ومنعوه من ذلك، فعاد خارجا من قبادوقيا فى مواجهة سبسطية[٢١] . وكان جنده خائفين من جيوش الرومان. ثم هاجم ملك فارس سبسطية وأحرقها بالنار خوفا من اللوم الذى سيقع عليه إذا فشل فى تنفيذ ما خطط له، ولم ينهب شيئا أو يخرج منها بسبى لأن أهلها هربوا أمامه. ولما تجاوز سبسطية أزمع العودة إلى بلاده، وتوجه إلى الشرق لكى يهرب إلى بلاده إن استطاع إلى ذلك سبيلا. لكن جيوش الرومان احتقرته واخترقت جيشه، فلما وجد أنه حاصرته من كل جانب اضطر أن يهرب إلى الجبل بسرعة تاركا خلفه معسكره وخيمته؛ وكانت

مسكنه وبها كل أدواته وأمتعته الذهبية والفضية والمرجانية وكل ملابسه الملكية الفاخرة. وهكذا هرب ملك فارس بدون شيئ منها. فأسرع بعض جنود الرومان وصعدوا الجبل واستولوا على معسكره وقتلوا من وجدوه هناك، واستولوا على معداته ومعدات أمرائه وهيكل النار الذى يسجد له وكل الجياد التى تحمله وتسير به، فغنموا من هناك وأخذوا كل مقتنياته الملكية وهربوا. ولم يظهر أؤلئك الجنود ثانية. أما الفرس الذين هربوا من المعسكر فقد توجهوا إلى ملكهم باكين وقالوا له "سيدى انقض علينا الرومان وقتلوا أكثر عبيدك ونهبوا كل ما وجدوه بمعسكرنا". فلما سمع ذلك قال لهم " أتركوهم وأمر جيشه بالاصطفاف فى دوائر ثم تجول بينهم ممتطيا جواده، وتوسل إليهم وهو يشير إلى لحيته الشهباء ويقول " أخوانى وأبنائى أرحموا شيبتى، فهبوا ودافعوا عن مملكة الفرس لئلا تمتهن، وها أنا أحارب معكم كأحد الفرسان". وتجادل معه الأمراء وقالوا له "سواء عشنا أم متنا سيلحق العار بفارس بسببك، فلم يفعل أحد من ملوكنا السابقين أبدا ما فعلته أنت إذ أتيت بنا إلى هذه الجبال لنموت عليها". وعلم الرومان بهذا الحديث من هؤلاء أنفسهم، واستعد الفرس للانسحاب إلى الجانب الآخر والهرب من المدينة. وخرجوا أمام ملطية، ولولا البغضاء والانقسام الذى حدث بين القادة الرومان وعدم الاتفاق بينهم، لكانوا قد أبادوه وجيشه هناك. وكان الأحرى أن يتفقوا سويا فيحاصروه. وفاجأ الفرس البطريق جستنيانوس بن جرمانوس، فخاف منهم وهرب أمامهم، إذ لم يدركه أصدقاؤه فيساعدونه على التصدى للفرس. ولما رأى ملك فارس ما حدث تشجع ودخل ملطية[٢٢] . مع جنوده وأشعل فيها الحرائق.

القصة التاسعة

عن حرق ملطية بواسطة الفرس

عندما دخل ملك فارس إلى مدينة ملطية[٢٣] ، أمر جنوده على الفور بحرق المدينة كلها. وعندما تركها لكى يعبر نهر الفرات عائدا إلى بلده، أرسل إليه القادة الرومان قائلين "لماذا بعدما دخلت المدينة حرقتها ؟ ليس من عادة الملوك الالتفاف والاحتيال، نحن يا من نكون عبيد الملك قد خجلنا بشدة لما فعلته، وكم كان يضايقك لو فعلنا فعلتك هذه، ألست ملكا فقط أم تحسب نفسك ملك الملوك (شاهنشاه)[٢٤] ؟ والملك لا يفعل ما يفعله اللصوص الذين ينقضون لكى يخطفون ويهربون ويشعلون النار فى الأهلين، لكن الملك من يخوض الحرب بقوة وثقة وجلال. والمنتصر عندئذ يتباهى كملك منتصر، ولا يدخل المدن كاللص فيفسد فيها وينهبها ثم يهرب. والآن استعد لنقاتلك قتالا علنيا، لكى

يعلم الناس لمن تكون الغلبة ولمن تكون الهزيمة". وعندما سمع الملك هذا الكلام أمر بالقتال فى اليوم التالى فى السهل الشرقى الذى يبعد عن المدينة. وفى صباح اليوم الموعود، أقبل الفريقان واصطفا فى صفوف تواجه بعضها البعض على مسافة قصيرة. وظل الجيشان فى مواجهة بعضهما البعض وانتظرا من الصباح حتى الساعة السادسة، ولم يتحرك أحد منهم من مكانه. وكان ملك الفرس فى مؤخرة جيشه وانتظر الجيشان من يبدأ منهما بالقتال. وأقسم لنا الرجال الذين قصوا علينا هذه الأخبار، وكانوا مترجمين للفارسية واللاتينية بقولهم "إننا كنا ثلاثة وأسرعنا بالجياد وخرجنا بقرب صفوف الفرس، ثم عدنا إلى صفوف الروم وفعلنا ذلك ثلاث مرات لكى ندفعهم إلى القتال، وكان الفريقان ينظران إلينا. ولم يتحرك منهم أحد من مكانه ليتصدى لنا، إذ كانا متراصين كالسياج، ولم يتفاوضا سويا. وفى النهاية أرسل ملك الفرس إلى جنوده يقول "لن تكون اليوم حربا، فقد مر الوقت". وهكذا ابتعد الفريقان عن بعضهما البعض، وفى أثناء الليل وقبل بزوغ النهار، كان ملك فارس وجيشه قد وصلوا إلى نهر الفرات، وحاول الملك الإسراع بعبور النهر ؛ الذى يبعد مسافة ستة أميال عن ملطية. فأسرع الرومان فى أثره لكى يدفعوه إلى شاطئ النهر فيقاتلونه هناك. وبعد أن نفذوا ذلك، انحصر جنود الفرس ووجدوا جيش الروم خلفهم مباشرة، فألقوا بأسلحتهم وأنفسهم من على الخيول فى النهر، وغرق ما يزيد عن نصف الجيش. أما الملك وبقية الجيش فقد سبحوا بخيولهم وفروا بأعجوبة وتوجهوا إلى أرمينية الرومانية، وأمرهم الملك فى الطريق وهم مسرعين أن يحرقوا كل القرى التى يمرون بها. ثم لاذ الملك بجبال قرحا[٢٥] الشاهقة التى تخلو من الدروب تماما. فاضطر أن يدفع بجيشه أمامه لكى يشق له طريقا، فقطعوا الغابات وحفروا الجبال وشقوا له طريقا فيها. وهكذا كان ملك فارس مضطربا ومنهكا لأنه تخلص من قبضة الرومان بشق الأنفس، وعاد إلى بلده بصعوبة بالغة. وعندئذ أمر بإصدار قانون بألا يخرج ملك للحرب، إلا إذا كان خارجا لقتال ملك آخر.

القصة العاشرة

عما حدث للرومان فى أرمينية الفارسية

أما قادة الجيوش الرومية فقد حققوا انتصارات عظيمة، وظفروا فى حروب كثيرة، وتغلبوا على معظم الذين حاربوهم، واحتلوا أراضى الشعوب الشمالية التى كانت خاضعة للفرس. كما توغلوا عدة أميال داخل الأراضى الفارسية، وخربوها حتى بلغوا مسافة تسعة أميال من طيسفون[٢٦] . (المدائن) عاصمة المملكة الفارسية، واستولوا

منها على أفيال الفرس، وامتلأت بها القسطنطينية، واضطربت فارس أمامهم. وقصص تلك الانتصارات تفوق حدود كتابنا لذا لم نكتب عنها بالتفصيل. وبعد أن عاد ملك فارس إلى بلاده في سنة ٨٨٠ (يونانية= ٥٦٨م)[٢٧] استرخى الرومان وأخذهم الزهو كرجال تصدوا لملك وتغلبوا عليه. وهكذا عادوا إلى أراضيهم واعتقدوا أنهم تخلصوا من الحروب والنزاعات تماما. فأراحوا الجيوش، ووضعوا سلاحهم جانبا، وأبقوا خيلهم في المرعى. وفجأة جاءت عيونهم، أي جواسيسهم، وقالوا لهم "انهضوا تسلحوا لأن جيش فارس قادم إليكم بقيادة المرزبان طمخسرو، فاستعدوا له". ولما سمع الجنود ذلك وبخوهم وقالوا "وهل يجرؤ ثانية على المجئ والظهور أمامنا"، لكنهم لم يستعدوا وبينما هم يتحدثون، انقض عليهم جنود الفرس ولم يرغبوا في قتالهم بل أظهروا لهم أنفسهم فقط. وعندما رأتهم جنود الرومان، وكانوا صفوفا متراصة كالسور المنيع، سيطر الخوف عليهم واضطربوا لأنهم لم يجمعوا خيولهم وأسرفوا في الطعام والشراب، وكانوا مشتتين فاضطرب كل من رأى منهم جنود الفرس، وهّم بالفرار بسرعة وما أن رأى البعض ذلك حتى جد هو الآخر في الهرب، وعندما وجد القادة أن الجنود قد هربوا لاذوا هم أيضا بالفرار، وهكذا هرب كل من استطاع حمل سلاحه، وعندما أتعبه العدو تخلص من سلاحه وهرب بدونه. أما من كان ممتطيا جواده ويحمل سلاحه، فإذا أرهقه حمله تخلص منه، وإذا تعب جواده، ترجل وهرب على قدميه. وقد تبعهم جنود الفرس ببطء ولم يطاردونهم، بل ضحكوا وسخروا منهم لأن الرومان كانوا مائة وعشرين ألفا، أما هم فلم يزيدوا على ثلاثين ألفا. وبالرغم من هذا اضطربوا وهربوا من مواجهتهم، في حين أن قادتهم لم يضطربوا أمام ملك فارس من قبل. وهكذا جلبت الجيوش الرومانية وقادتها الفضيحة والعار لأنفسهم، إذ لم يستل أحد من الفرس سيفه عليهم، ولم يشدوا قوسا ويرمونهم بالسهام. أما جنود الفرس فاستولوا على سلاحهم من الدروع والتروس والخوذات والنبال والسيوف والحراب والأقواس وجعاب السهام. وقد علل الناس ما حدث في النهاية بقولهم "انهزم الرومان لأنهم أغضبوا الله، إذ دخلوا أراضي الشعوب الشمالية وكان أهلها من المسيحيين، فسبوا كهنة الإنجيل والصلبان وعادوا أدراجهم دون أن يعيرونهم اهتماما. وتجاسروا بلا خوف من الله وأخذوا أطفال في سن العام والعامين وأمسكوا كل منهم من رجله ورفعوه عاليا في الهواء قدر استطاعتهم، وألقوا البعض وكانت السيوف والحراب تعانقهم طعنا ثم ألقوهم للكلاب، وأهانوا بعض الرهبان ونهبوا وقتلوا آخرين، وأخرجوا كهولا ومشاهير من سجنهم فعذبوهم وقطعوا اعضاءهم السرية بالسيف وهم يقولون "أعطونا الذهب والفضة"، كما عذبوا إحدى الراهبات حتى ماتت من العذاب". وتلك هي السيئات التي قيل أن الرومان أرتكبوها وأغضبوا الله، فأذلهم الله وأضعفهم أمام أعدائهم فلم يستطيعوا مواجهتهم.

القصة الحادية عشرة

عن الأرمن التابعين للفرس

لقد حرصنا أن نتحدث فى مذكرات موجزة فى الموضوعات السابقة، عما كان من شأن الأرمن الخاضعين للفرس، والذين خضعوا للرومان بعد ذلك. وتحدثنا عن زمن الحروب العديدة والخراب الذى لحق بأرمينية، ومن توجهوا إلى العاصمة البيزنطية فاستقبلهم الملك جستين الثانى، وزاد فى قدرهم ومكانتهم ومنحهم سلطات كبيرة وهدايا عظيمة. وقد اهتممنا فى الفصول السابقة بموضوعات مثلها فى صورة مذكرات موجزة، أما الآن فنحن نوضح ذلك بالتفصيل. فعندما رفض ملكنا الرومانى تسليم هؤلاء الأرمن إلى الفرس من أجل المسيحية، ولجأوا هم إليه واستجاروا به، قيل أن الملك أغنى الأرمن بالهدايا والعطايا الكثيرة.كما أعفاهم من دفع الجزية لمة ثلاث سنوات (بدء من سنة ٥٦٨-٥٧٠م)، عندئذ أرسل إليه ملك فارس يقول "رد إلى عبيدى الذين تمردوا علىّ". ولم يجب جستين مطلبه، فاحتال ملك فارس وأرسل عدة رسائل للأرمن يطمئنهم بأنه لن يضايقهم و يصيبهم بحماقة[٢٨] . وبعد ذلك ابتعد الأرمن عن الرومان، وعادوا للخضوع إلى ملك فارس من جديد. وقد خضع شعب الأرمن كله للفرس عدا بعض الأمراء الذين ظلوا فى كنف الملك جستين فى القسطنطينية، وكان عدد الأرمن الذين خضعوا للفرس عشرين ألفا. وهكذا عاد كسرى يسيطر على أرمينية كما كان من قبل. أما قادتهم فكان واحد منهم يدعى وارطانماميوكنيان[٢٩]،. أما بقيتهم فكانت بصحبة الملك جورجينس الذى حظى باحترام كبير فى العاصمة، وكذا شعبه ممن لجأوا إلى الملك جستين وخضعوا له فى السنة الخامسة من عهده وكانت سنة ٨٨٢ للأسكندر (٥٧٠م) وقد استمرت الحرب بين الروم والفرس عدة سنوات بسبب الأرمن.

القصة الثانية عشرة

عن مفاوضات الروم والفرس على الحدود

توجه ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى برسالة إلى الحدود مع فارس فى سنة ٨٧٧ (يونانية= ٥٧٦م)، وهم البطريق ثيودور بن الموظف بطرس والمستشاران يوحنا وبطرس من أقرباء الملك أنسطاس، كما صحبهم الطبيب الحكيم زكريا. وجاء من الفرس مبودس (مهبودس) [٣٠] وآخرون. وجلس الوفدان بالقرب من دارا؛ التى سيطر

عليها الفرس، لكى يتفاوضا فيما حدث بين المملكتين من منازعات. وهاجم كل فريق الآخر بقوله "لقد تجاوزتم حدود اللياقة فى بعض الموضوعات، وكان الفريق الآخر يرد عليه بالإهانات بقوله" لقد نقضتم السلام بين المملكتين واخترقتم الحدود وخربتم أراضينا"، ثم رد الفريق الآخر بقوله "إن عربانكم عبروا أراضينا وأفسدوا فيها". وهكذا جلسا فى مواجهة بعضهما البعض، وتبادلا الإهانات والسباب والجدال لمدة سنة كاملة، وكان كل فريق يخبر ملكه بسير المفاوضات، وكان القيصر محب الله طيباريوس يجيب على الرسل، لأن جستين كان مريضا. وكان الجانبان يرغبان فى السلام، فأظهر كل منهما قوته للآخر، لئلا يخضع لشروط الجانب الآخر إذا أظهر ضعفه ورغبته فى السلام. وأرسل القيصر لملك فارس قائلا "إننا نميل إلى السلام أكثر من الحرب، فإذا أردت سلاما لن نرفضه، وإن بغيت حربا فلن نضعف أمامك، بل سنستعد لمواجهتك". أما ملك الفرس فقد اعتقد أنه سيحصل على قنطار من الذهب عن كل سنة إذا أبرم سلاما مع الرومان، لأنه حصل من قبل على ثلاثة قناطير من الذهب مقابل السلام لمدة ثلاث سنوات. وعندما علم القيصر بذلك أرسل له قائلا "لقد ضللت إذا اعتقدت أن مملكة الرومان ستعطيك فلسا مقابل السلام، كما أننا لن نشترى السلام بالذهب، لكن إن أردت فليكن السلام بين المملكتين على أساس الاحترام والمساواة، وإن لم تقبل فلتكن الحرب". فاضطرب ملك فارس من كلام القيصر طيباريوس، ووافق على إبرام السلام بلا ثمن. وعندما علم طيباريوس بإجابة ملك فارس، كتب إليه ثانية يقول "لتكن مدركا أن مملكة الرومان لم تك قط ضعيفة، بل هو قوية فتية ولن يستعبدها أحد، ولست أعلم لماذا أعطى الملوك الرومان السابقون الفرس خمسة قناطير من الذهب سنويا. ولتعلم إذا أن مملكة الروم لن تعطيك أنت أو غيرك خمسة فلوس أبدا، ونظرا لأن رسل الفرس قد تباهوا سابقا أمام شعب الأتراك البربرى وقالوا "إن الرومان عبيدا لنا يدفعون الجزية كالعبيد البلهاء، فإن لم تبطل هذا الافتراء فى الحال لن يكون بيننا سلام". ولم يوافق كسرى على ذلك فقط، بل ألغى الجزية المفروضة على الرومان، وأتم بنود إتفاقية السلام ثم أرسلها إلى المفاوضين على الحدود. ولما وجد طيباريوس أن ملك الفرس وافق على إلغاء الجزية، أرسل له قائلا "رد إلىّ مدينة دارا وليكن بيننا سلام فى الحال". وبعد ما تسلم كسرى رسالته تضايق كثيرا، ورد عليه بقوله "إننى استوليت على دارا وفقا لقانون الحرب، أما أنت فقد استوليت على أراضى أتباعنا من الأرمن، فإن رددت إلينا أرمينية أرد إليك دارا". وكان القيصر يرفض ذلك لأن الأرمن مسيحيون خضعوا للمملكة المسيحية (٣١). ولذلك تنازع المفاوضون من كلتى الدولتين، وتسلحوا لكى يتقاتلون وتوقف السلام إلى الأبد. واستعدت المملكتان للحرب. أما رسول الفرس فقد دعى قادة الديش وحثهم بقوله "اذهبوا إلى الحدود واحرسوها فلن نقيم سلاما مع الرومان".

القصة الثالثة عشرة

عن تخريب الفرس للأراضى الرومانية

كان آذرمهان مرزبان الفرس العظيم، هو الذى تفاوض مع رسل الرومان بشأن السلام. فلما قرر الفرس رفض السلام مع الرومان. تضايق من رسل الرومان، وجمع جيشه وتوجه إلى المنطقة المحيطة بدارا فخربها وأحرق مدن تلا[٣٢] وتل بشمايا[٣٣] ورأس العين. كما حرق الكنائس والأديرة، وعندما توجه إلى مدينة تلا قال لسكانها "سلموا لنا المدينة لئلا نبيدكم كما حدث في دارا من قبل، وأين هم رسلكم الذين هددونا، فليأتوا إذا ويخرجوا لمواجهتنا". أما أهل تلا فقالوا له "لا نستطيع أن نستسلم لكم الآن، لأننا تسلمنا رسائل تفيد أن البطريق جستنيانوس خرج متوجها إلينا ومعه ستون ألفا من اللونبارد[٣٤] ، فإن استسلمنا لكم الآن يأتى هو ويمحونا من على الأرض". وهكذا انسحب الفرس بعد أن أحرقوا تمثالا عظيما للسيدة مريم؛ وكان خارج المدينة، بالإضافة إلى غير ذلك من الفظائع. ثم عادوا إلى دارا وسخر المرزبان آذرمهان من الرومان، وتباهى بالتخريب الذى قام به والسبى الذى سباه والغنيمة الكبيرة التى عاد بها.

القصة الرابعة عشرة

عن الكونت موريقيوس والفرس

عندما انشق قادة الجيوش الرومانية وكتبوا إلى القيصر، ينسبون الاتهامات إلى بعضهم البعض. وجد القيصر طيباريوس أن البطريق موريقيوس ليس واحدا منهم، فرقاه إلى رتبة كونت (قائد) الحرس الإمبراطورى، ثم أمره بالتوجه إلى الشرق لكى يتولى رئاسة الجيوش الرومانية. ومنحه سلطة إدارة وقيادة الألوية وضباط الجيش، وألا يتجاسر أحد من القادة الرومان على التصرف بدون أمره. كما أعطاه سلطة تعيين وفصل القادة، وزوده بقناطير كثيرة من الذهب لنفقات الجيوش. وقد أرسل طيباريوس من قبل الحاكم الإمبراطورى جريجور لتدبير نفقات الجيوش. وقد حقق هذا الحاكم نجاحا كبيرا فى أرمينية. أما الظافر موريقيوس فعندما أمره طيباريوس بقيادة الجيوش، توجه أولا إلى موطنه بقبادوقيا، واستأجر كثيرا من الرومان المقاتلين، واصطحب معه من وجده من رسل الملك والجنود، كما استأجر كثيرا من الأورطيين

بشمال سوريا والسوريين. ثم توجه بهم معسكرا فى قرية قتريز[٣٥] ، الواقعة بين أرمينية وسوريا. ثم جمع إليه قادة الجيوش وتحدث معهم وأعطاهم أوامره، ثم أرسلهم إلى مواقعهم. ومكث هناك لمدة شهرين فذاعت شهرته وخاف الفرس منه، إذ رأوا أن جيوش الرومان أكثر منهم عدة وعتادا، فقاموا بخداعهم. إذ توجهوا إلى شطر أرمينية المواجهة لفارس، وأرسلوا إلى قادة الرومان فى ثيودسيوبوليس لكى يقبلوا الحرب بعد ثلاثين يوما. فأرسل القادة إلى الكونت موريقيوس يخبرونه بذلك. فأمر الجنود بالاستعداد للقتال. وقد احتال الفرس ليضللوا الرومان بعد ذلك، إذ جمعوا جيشهم وعادوا إلى الأراضى الفارسية، ثم توجهوا سرا قرب ميافارقاط[٣٦] ، وشرعوا يخربون فى الإقليم الرومانى، وحرقوا كل أراضى صوفنايا[٣٧] . خاصة الكنائس والأديرة، وفعلوا الشئ نفسه فى مدينة آمد، إذ حرقوا كل ضواحيها وسورها وكنائسها والأديرتو العظيمة التى تحيط بها. وحاصروا المدينة ثلاثة أيام ولم يستطيعوا احتلالها، وخافوا أن يدركهم موريقيوس بجنوده فيدخلون فى حرب معه، فحرقوا إقليم ما بين النهرين[٣٨] . كله، ونهبوه ثم عادوا بسرعة إلى بلادهم. وبينما كان الرومان يستعدون للحرب المقبلة، كان الفرس قد أضلوهم وخرجوا كاللصوص فحرقوا وخربوا وسبوا إقليم ما بين النهرين فى سنة ٨٨٠ (يونانية= ٥٧٦م) [٣٩] . وهى نفس السنة التى خرج فيها موريقيوس من العاصمة متوجها إلى الشرق. وهكذا أخذ الفرس السبى والغنائم وهربوا بها إلى بلادهم خوفا من الرومان. وقد قاموا بهذا التخريب فى مدة ثمانية عشر يوما ثم عادوا أدراجهم.

القصة الخامسة عشرة

عن انتقام موريقيوس من الفرس

تضايق الكونت موريقيوس مما فعله الفرس، فجنع جيشه كله وتوجه بسرعة إلى أرزون[٤٠] . بلد الفرس العامر، وهو غاضب لأن الفرس سخروا منه واحتقروه. فدخل المدينة بجنوده وخربوا وسبوا من الفرس سبيا كبيرا[٤١] . وتوغلوا حتى بلغوا نهر دجلة، فسبى موريقيوس وهدم القرى التى مر بها. وكان سكان الإقليم مسيحيين، فخرجوا بكل مالهم وصلبانهم والإنجيل أمام الجنود وقادتهم، وطلبوا منهم موثقا يأمنوا به على حياتهم، وقالوا لهم "ارحمونا، نحن مسيحيون مثلكم ونحن مستعدون للجهاد من أجل الملك المسيحى". وعندما سمع موريقيوس والبقية هذا الكلام، ترفقوا بهم وقالوا لهم "كل من يريد منكم الحياة وخدمة الملك المسيحى، فليقد دابته وماشيته ويأخذ ماله ولن نقتله، وإذا وجدنا أحدا منكم هنا بعد يومين أو ثلاثة سنقتله". وهكذا

هرب أكثرهم من القتال، ولاذ بالفرار وخرج إلى إرض الرومان. فلما علم الملك طيباريوس بذلك أرسلهم إلى جزيرة قبرص، وتوزعوا هناك على قرى الجزيرة. أما الفرس الذين تسللوا إلى أرض الرومان فحرقوا قراها، وكانوا خائفين أن يدركهم موريقيوس بجنوده ولذا فقد أحرقوا كل ما استطاعوا فى خمسة عشر يوما، وعادوا إلى أرضهم قبل أن يدركهم موريقيوس .

القصة السادسة عشرة

عن المنذر بن الحارث وموريقيوس

بعد أن جمع موريقيوس والمنذر بن الحارث؛ ملك العرب الغساسنة، جيشهما ثم عبرا سويا الأراضي الفارسية عن طريق الصحراء في سنة ٥٨٠م، وقد توغلا حتى بلغا أرض الآراميين(٤٢) . التى تبعد مسافة عدة أميال داخل الأراضى الفارسية. وعندما بلغا جسر أراميا الكبير(٤٣) . الذى خططا لعبوره سويا واحتلال عاصمة المملكة الفارسية، وجدا الجسر مقطوعا، إذ قطعه الفرس عندما علموا بقدوم موريقيوس والمنذر. وهكذا تكبد الجيشان مشقة كبيرة، ولاسيما الرومان. وتخاصم موريقيوس والمنذر، ثم عادا أدراجهما بدون أن يحققا الهدف الذى خططا له. ورجعا إلى الأراضى الرومانية بصعوبة كبيرة، وشرعا يكتبان إلى الملك طيباريوس الشكاوى الباطلة ضد بعضهما البعض. إذ ظن موريقيوس أن المنذر أرسل للفرس قبل غزوه لأرض فارس، فقطعوا الجسر لئلا يعبرانه. وكان ذلك افتراءا على المنذر. وقد اجتهد طيباريوس وراسل حكام الأقاليم لكى يوفقوا بينهما. ثم توجه موريقيوس إلى الملك، لكنه لم يتضح إذا كان قد شكى المنذر أم لا؟.

القصة السابعة عشرة

عن آذرمهان (٤٤) مرزبان الفرس الكبير

بعدما وجد الفرس أن موريقيوس والمنذر، قد عادا إلى أرضهما وليس لهما أثر. اخترق مرزبان الفرس العظيم آذرمهان أرض الرومان بجيش جرار، وبلغ به مدينة تلا ورأس العين، فهدم وأحرق الأماكن الباقية من غزوته السابقة، ثم توجه إلى الرُها؛ تلك

الأرض العامرة بالغنى. فأحرق وهدم وخرب أرض الأسرهونيين[٤٥] ، وكان ينتقل بثقة كبيرة داخل الأراضى الرومانية، وقضى هناك أياما كثيرة. وهدم كل المنازل فى طريقه، وسخر من جيش الرومان الذى لم يكن هناك، وبعدما عاد موريقيوس والمنذر أدراجهما بمشقة كبيرة من أرض فارس. علم آذرمهان أنهما يعتزمان التوجه إليه، فأرسل إليهما ساخرا يقول "لأننى علمت أنكما تعتزمان المجئ إلىّ، فلا تتحملان لامشقة وتأتيان. أنتما منهكان من عناء السفر، فاستريحا وأنا آت إليكما ". وبعدما انتهى من التخريب والسبى والسلب الذى خطط له ونفذه، وعلم نهما اعتزما الانقضاض عليه فى طريق عودته، قاد الغنيمة والسبى الذى غنمه وهرب من الرها عائدا إلى بلده دون أن يصطدم به أحدٌ من المائتين ألف جندى؛ الذين أرهبوا الملك كسرى. لكن عندما جد آذرمهان فى العودة، خرجت القوات الرومانية فى أثره ولما عجزت عن اللحاق به، زعم القادة أنه أسرع بالفرار.

القصة الثامنة عشرة

عن المنذر بن الحارث وانتصاره على اللخميين

أما المنذر بن الحارث فعندما اجتمع جيش العرب اتباع الفرس، بالإضافة إلى جيش آخر من فارس لكى يهاجمونه بعدما عاد من فارس إلى أرضه. وعلم المنذر بذلك، فلم يتوان لحظة بل جمع جيشه فى الحال، كرجل مقاتل وانقض عليهم فى طريق الصحراء. فبعد أن أرسل جواسيسه وعلم بمكانهم وعددهم وعتادهم، انقض عليهم بغتة فبهتهم وبلبلهم وأباد منهم كثيرين، كما قبض على بعضهم وقيدهم بالأغلال. ولم يهرب منهم سوى قليلون عادوا إلى أرضهم. أما المنذر فقد توجه مباشرة إلى معسكرهم، وأعمل فيه القتل والحرق والتخريب، ثم عاد منه بغنيمة عظيمة وسبى كبير وهكذا ظفر المنذر بعظمة.

القصة التاسعة عشرة

عن سبايا الرومان فى أنطاكيا الفارسية[٤٦]

بعدما سبى ملك فارس مدينتى دارا وأفاميا وغيرها من المدن الرومية، نقل أسرى تلك المدن إلى أرض فارس. وقد أحصى عددهم أمامه فى نصيبين فبلغوا مائتين

وخمسة وسبعين ألفا. فسجنهم والأسرى الآخرين سويا في أنطاكيا التي بناها بعدما سبى أنطاكيا الرومانية، والتي أسماها بنفس الإسم وأجلس فيها كل أسرى أنطاكيا الرومانية وكورها، كما حبس فيها أسرى دارا وأفاميا ومن سباهم بعد ذلك. وخضع الأسرى في سجنهم لحراسة مشددة، لكنهم لم يتوقفوا عن الاحتيال للهرب. وفكروا أنه قد يساعدهم أن يتفقوا سرا مع أحد الحراس الفرس، ممن يحرسون السور، فيجمعون له خمسمائة زوزى[٤٧] . لكي يترك أثنين منهم ينزلان ليلا من فوق السور من المكان القائم على حراسته بواسطة الحبال، وعند نزولهما يقابلان رجلا طوباويا يدعى بنيامين، وهو من الرهبان العرب، وتلميذه صموئيل، فيساعدوهما على الفرار من هناك ويتوجهان مباشرة إلى الملك الروماني ويخبرانه بأحوال الأسرى السجناء، وأن آلافا منهم محبوسين في أنطاكيا حيث أرسلهم ملك الفرس، وها قد بلغنا ما يزيد على الثلاثين ألفا ويقوم على حراستنا ما لا يزيد على خمسمائة حارس من الفرس. فإذا أرسل أحد القادة الرومان فليبق بمفرده خارج المدينة ونحن نقتل الحرس، ونترك المدينة هربا إلى أرض الروم. واتفق الأسرى جميعا على ذلك أما ذلك الطوباوى الفارسي الذي أخذ الرشوة، فقد نزل هو والأثنان على الحبال من فوق السور، وهربوا ولجأوا إلى أرض الروم. وأخبروا القادة الرومان بذلك في البداية. فأرسل القادة إلى الملك بهذا الشأن ووصل الحارس الفارسي إلى العاصمة فأطلع الموظف المسئول على خطة الهروب، وهو بدوره أخبر الملك طيباريوس فلم يقتنع بصدق هذا الخبر. وهكذا تأخرت خطة إنقاذ الأسرى البائسين وتوقفت.

القصة العشرون

عن عهد كسرى ملك الفرس ووفاته

لا نرى غضاضة إن تحدثنا عن ذلك المجوسي العدو، لكي نعرف زمن وموت كسرى ملك الفرس. وقد شهدت أعماله بأنه كان رجلا ماهرا وحكيما. وقد ظل طوال حياته ممعنا في قراءة الفلسفة[٤٨] ، وقيل إنه أراد جمع كتب الديانات كلها لكي يقرأها ويبحث فيها فيعرف أيها الثمين الصحيح وأيها هو الغث المليئ بالخرافات والأساطير والأباطيل. وبعدما قرأها كلها وبحث فيها قرظ كتب المسيحية. وقال إن هذه الكتب أكثر الكتب التي قرأتها صوابا وحكمة من كتب الديانات الأخرى. ولهذا حافظ عليها وقرأها وآمن بصدقها. ولهذا لم يظهر أنه يكره المسيحيين. وأيضا عندما أثاره المجوس على المسيحيين لم يظهر أنه أمر باضطهادهم[٤٩] . وذات مرة أثار جاثليق النساطرة في بلاطه[٥٠] ، الافتراءات بأن الأساقفة الأرثوذكس هم قلة في فارس، في حين أن كل أساقفة فارس من النساطرة، وأن الأرثوذكس قليلين بينهم. وبعدما أثاروا تلك

الافتراءات الباطلة، أمر كسرى باحضار هؤلاء الأساقفة لكى يتباحثون فى مسائل إيمانهم مع بعضهم البعض، ولكى يعرف الحقيقة ويتأكد بنفسه مما يدور بينهم، فيفصل بينهم فى خلافاتهم. وعندما جاء الأرثوذكس أمر الملك الفريقين أن ينقسما قسمين متواجهين أمامه. وهكذا وقف الفريقان متواجهين فى حضرة الملك، وكان رئيس الأساقفة قديسا وهو الأسقف أحوذما (أخو أمه) [٥١] ، وأمرهما الملك أن يبدأوا مناقشة قضية إيمانهم. ولما بدأ الجاثليق النسطورى ومن معه بالكلام مع الأرثوذكس فتحدث بأفضل ما لديه وانتهى، ثم تحدث الأرثوذكس وفندوا كلام النساطرة ومشاغباتهم، وترك الفريقان الحكم للملك، ولما لم يسهل تدوين ذلك الحوار الطويل أهملناه. وبعد ذلك قبل كسرى كلام الأرثوذكس وأثنى عليه، وقال للجاثليق "إن هؤلاء يعرفون ما يتحدثون عنه، ويستطيعون إثبات صحة كلامهم ويبدو لى صادقا، أما كلامكم فمشوش ومتضارب ولا يستند إلى أساس، كما أنكم لا تستطيعون إثبات صحة كلامكم ولا يبدو لى صحيحا مثل كلام الأرثوذكس، ومن هنا اتضح لى أنكم اتهمتم الأرثوذكس أمامى زورا وبهتانا. وبعد ما رأيت وسمعت آمركم بعدم التعدى عليهم أو الإضرار بهم". وبعدما أمر كسرى بذلك سجد له الأرثوذكس جميعا، وقبلوا حسن صنيعه وقالوا له "مولانا إنهم يطاردوننا وينقضون علينا وينهبوننا ويهدمون كنائسنا وأديرتنا، ولا يتركوننا نقيم الصلوات والابتهالات لله لكى يثبت ملكك ويحفظ حياتك". وعندئذ قال لهم كسرى "اذهبوا إذا وشيدوا كنائسكم وأديرتكم فلن يتحكم فيكم أحد ثانية". وهكذا سجدوا له وباركوه، وعادوا إلى منازلهم تحدوهم فرحة غامرة. وصار الأرثوذكس يتصرفون بحرية وبلا خوف فى الأراضى الفارسية. ثم قام الأرثوذكس بعمل عظيم آخر، إذ أصبح الطوباوى مار يعقوب البرذعى أسقف الأرثوذكس والمسئول أيضا عن تعيين الجثالقة النساطرة منذئذ[٥٢] . وهذا لم يحدث فى فارس من قبل مطلقا، وقد صار يعقوب هو جاثليق المؤمنين منذئذ وحتى اليوم.

القصة الحادية والعشرون

عن توقف السلام بين المملكتين

لا يظن أحد فينا أننا أردنا أن نمتدح كسرى المجوسى عندما تناولنا قصته. لكن كما قيل فى أحجية شمشون "إن من الآكل خرج أكل، ومن المر خرجت حلاوة"[٥٣]. وهكذا ينطبق هذا القول على كسرى ذلك الوثنى الضال. وقد كتبنا قصته لأن عناصرها تتعلق بالأحداث الجارية. فعندما توقف السلام بين المملكتين، أعلن كسرى أنه حزين ومتألم. وقيل أن الفرس والروم تبادلوا وثائق السلام وهو يبتهلون إلى السماء.

وعندما وصل كسرى إلى دارا قال "أيها الإله العظيم أنت تعلم أننى لم أرغب ولا أرغب فى كل هذا الخراب والدمار وسفك الدماء فى كلتى المملكتين". وعندما اقتربت وفاته أعرب عن رغبته فى السلام، إذ ظن أنه سيحصل على قنطار من الذهب عن كل سنة كما حدث من قبل فى إطار إتفاق السلام لثلاث سنوات، وكما أوضحنا آنفا عن رسل الروم والفرس الذين تقابلوا على الحدود للتفاوض بشأن السلام. وعندئذ أعلن القيصر طيباريوس، وكان الفرس يخشونه، "إن مملكة الروم لم تك ضعيفة قط، ولن تستعبدها مملكة الفرس، ولن ندفع قنطارا واحدا من الذهب مقابل السلام، فإذا لم يبرم السلام على أساس الاحترام المتبادل، فلن أبرم معكم سلاما". فأنزعج كسرى من هذه الكلمات بما فيه الكفاية، وجمع معيته من المجوس وقال له "قد علمتم ما قاله قيصر الروم، ذلك الشاب الشجاع. وتعلمون أننى بلغت من العمر أرذله، ولا أقوى على الحروب من جديد. فلنقيم سلاما معهم لئلا يرهقنا بأسهم". وهكذا اتفقوا وأرسل إلى الرومان يقول "لا تظنوا أننى أفضل الذهب أكثر من السلام، لذا فلنبرم الآن سلاما بيننا على أساس من الاحترام المتبادل بين المملكتين ولتتوقف طبول الحرب، وأنا لا اريد شيئا فى مقابل ذلك". وبعد أن أرسل كسرى بهذا الكلام إلى الرومان، وجه إليه الظافر طيباريوس إهانة أخرى وقال له "لا تظن لأنك اعتدت أخذ الذهب من الرومان، أنك ستأخذ فلسا واحدا بعد ذلك، فمملكة الرومان لم تضعف حتى تدفع الجزية لفارس". فرد عليه كسرى بقوله "إن الذهب الذى دفعه ملوك سابقون لنا قد جلبوه بأنفسهم إلينا ولم تجلبه أنت، ولتكن عالما أن السلام أحب إلى نفسى أكثر مما سواه، وقد تغاضيت عن القناطير فلنقيم السلام". ولما وجد القيصر أن كسرى وافق على ذلك أرسل له ثانية يقول "إن لم ترد إلىّ دارا فى الحال لن ندخل فى سلام معك". ومن هنا ثارت حمية الفرس، وتوقف السلام. وابتعد المفاوضون عن الحدود لكى يتسلحون لمواجهة بعضهم البعض. ثم بدأ التخريب فى المملكتين من جديد. ومات الملك كسرى فى سنة ٨٩٠ (يونانية= ٥٧٨م) وخلفه ابنه هرمزد(٥٤) . على العرش. ودام عهد كسرى كما أحصيناه مدة ثمان وأربعين سنة.

القصة الثانية والعشرون

عن هرمزد بن كسرى ملك الفرس الجديد

عندما مات كسرى اعتلى العرش أحد أبنائه ويدعى هرمزد. وكان شابا متكبرا فظا تنقصه الفطنة، كما تشير إلى ذلك انتصاراته وأعماله. فعندما اعتلى العرش تصرف كمتكبر يفتقد المعرفة، ورفض أن يرسل هدية جلوسه على العرش إلى ملك الرومان كالعادة. إذ أرسل القيصر طيباريوس هدية تنصيبه فى رتبة القيصر إلى الملك كسرى،

ولم يوقفها بالرغم من النزاعات والحروب التى كانت بينهما. وقد أرسل كسرى أيضا هدية التنصيب إلى الملك جستنيان الذى اعتلى العرش قبله بثلاث سنوات. أما هرمزد فنظرا إلى جهله قال "لماذا أرسل الهدايا إلى عبيدى". وهكذا لم يرسلها ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل زاد على ذلك. إذ عندما وصل رسل الروم إلى أنطاكية، وكانوا فى طريقهم إلى كسرى يحملون له الهدايا والرسائل الملكية، وعلموا أنه قد مات وخلفه ابنه على العرش، وما أن علم ملكنا الرومانى الوديع طيباريوس، أمر الرسل أن يذهبوا بالهدايا والرسائل إلى الملك الجديد. وبعدما عبروا الحدود إليه، استقبلهم هرمزد بالإهانة وأخضعهم للعذاب فترة طويلة، وسجنهم حتى أشرفوا على الموت. ثم تشاور مع المجوس وحررهم، لكنه لم يتركهم يسلكون طريقا مباشرا للعودة بل أرسل معهم بعض الرجال وأمرهم أن يصعدوا بهم الجبال الشاهقة الوعرة لكى يموتون هليها. فقال الرسل لمن يقتادونهم فى الجبال "ما دمتم تريدون أن تقتلونا، فلماذا لم تقتلونا من البداية بدلا من المجئ بنا إلى هذه الجبال لكى نموت بهذه الطريقة المهينة". أما الله فقد عاونهم ونجوا بحياتهم، وعلم طيباريوس والناس كلهم أنه ملك قاس وجاهل .

القصة الثالثة والعشرون

عن العداء بين الروم والفرس من جديد

كان السبب فى توقف السلام بين الروم والفرس هو خضوع أرمينية الفرسية للرومان[٥٥] . أما السبب الثانى فكان العداء الشديد بينهما، إذ أرسل ملك الرومان رسله إلى الأتراك؛ تلك الشعوب البربرية الموجودة داخل الأقاليم الفارسية. بالإضافة إلى أسباب أخرى كثيرة جعلت الفرس يحزنون لتوقف السلام ويتوعدون الرومان بالعداء. فقد أرسل جستين الثانى رسله إلى شعوب الأتراك[٥٦] . برئاسة أحد القادة زيمرخوس[٥٧] ، وكانت المرة الأولى التى يراسل فيها الرومان تلك الشعوب. وقد استغرقت رحلة الرسول الرومانى إليهم عاما كاملا، ولما علم أحد ملوك تلك الشعوب؛ وكان لهم ثمانية ملوك أقوياء غيره، أن مبعوثا رومانيا وصل إليه، اضطرب وحزن وبكى بمرارة، ووفقا لما قاله الرسول بعد ذلك " استقبل ملك الترك الرسل الرومان وظلوا فترة طويلة واقفين أمامه ولم يستطيعوا التحدث معه. وقال آخرون أنه بكى بمرارة ولم يتجاسر أحد من أمرائه على التحدث معه، ثم سجد الرسل الرومان أمامه وأحنوا رؤوسهم وطلبوا من المترجمين أن يقولوا له "إننا قد جئنا إليك من قبل أخيك ملك الروم،

فلماذا تبكي ؟". ثم عاد ملك الترك إلى البكاء من جديد، خاصة بعدما سمع كلمات الرسل، وظل لساعتين دون أن يحدث الرسل. ثم توقف قليلا عن البكاء وقال لهم "سأقول لكم سبب حزني وبكائي، لقد آمنا بتقليد عبر العصور والأجيال أنه متى رأينا رسل الرومان في هذه البلاد فلتكونوا مدركين أن العالم آخذ في الزوال، وكل الممالك تفني، وفي هذا الوقت يبيد البشر بعضهم بعضا. وعندما رأيتكم تذكرت هذا التقليد ولهذا بكيت وحزنت. وبعدما تحدث رسل الروم معه في أشياء كثيرة، قدموا له هدايا كثيرة من الذهب والفضة واللؤلؤ والملابس الملكية الثمينة، فلما رآها اندهش وقبلها واختار منها العظيم الثمين وقال "إن هذه الهدايا من ملك عظيم لا محالة". وكان هناك رسل من فارس، فسأل الملك رسل الروم قائلا "هل حقيقة ما قاله لي الفرس أن ملك الروم عبد لنا، يدفع الجزية السنوية كالعبد". فلما سمع زيمرخوس هذا الكلام رد على ملك الترك قائلا "هكذا يكذبون، فكثيرون من ملوك الروم غزوا بلاد الفرس وخربوها وسبوها، وعندما غزاهم الملك تراجان واستعبدهم، لازالوا حتى اليوم يخافون ويرهبون التمثال الذي أقامه لنفسه في بلادهم، ولا يجرؤ أحد منهم حتى اليوم على المرور بالتمثال وهو على ظهر جواده. فليأتوا وسوف نواجههم شخصيا ولن يستطيعوا إنكار ذلك". وعندئذ أمر ملك الترك فجئ بهم وقال لهم " ألم تقولوا لي أن ملك الروم عبدكم، فها هم الرسل الرومان يقولون أنكم مازلتم تخشون تمثال الملك الروماني تراجان الذي أقامه في أرضكم، فإن كانوا هؤلاء عبيدكم فكيف إذا تضطربون وترهبون تمثال الملك الروماني، فهل هذا صحيح ؟". فأجابه الفرس بقولهم "نعم صحيح إن لملك الروم تمثالا في أرضنا". فقال لهم " إن لم أكن مثلكم لكنت قطعت رقابكم". ثم طردهم من أمامه بغضب شديد. وبعد أن عادوا إلى ملكهم أخبروه أن رسل الروم كانوا في أراضي الأتراك، وقد واجهونا بموضوع تمثال تراجان فلم نستطع الإنكار، وقد وبخنا ملك الترك وطردنا بغضب". فلما سمع ملك فارس كلامهم اضطرب وتضايق وأمر بهدم تمثال تراجان للسبب السابق. وتصاعدت حدة العداء بين المملكتين ولاسيما بعد أن اعتقد ملك فارس أن الرومان يؤلبون الأتراك عليه، خاصة بعد أن زادت هدايا الرومان إليهم. وهذا ما حدث حسبما قص علينا الرسل الرومان أنفسهم، وقد دونّا من كلامهم القليل. أما رسل الروم فقد عادوا إلى بلادهم بعد عامين قضوهما بين الأتراك، وحكوا كثيرا ما شاهدوه من العجائب عن كثرة هذا الشعوب وعجائب بلادهم ونظمهم وعاداتهم الخاصة.

القصة الرابعة والعشرون

عن شعوب الآفار العجيبة

ظهر هذا الشعب ذو الشعر الطويل المسمى الآفار لأول مرة فى الأراضى الرومانية فى عهد الملك جستنيان. وعندما استقبل الملك رسلهم وأغدق عليهم الذهب والفضة والملابس الثمينة والزنارات وسروج الخيل المزركشة الذهبية وأشياء أخرى، وأرسلها معهم إلى رؤسائهم فأخذوها، ثم وعادوا وأرسلوا إليه رسلا آخرين فأجذل لهم العطاء أيضا. وترددوا عليه لأسباب كثيرة، بل وتوجهوا إليه فى جماعات كبيرة فنالوا جميعا من عطاياه فحملوها ورجعوا إلى بلادهم، وظن جستنيان أنه سيخضع بواسطتهم كل أعدائه (٥٨). حتى ازداد تذمر أعضاء مجلس الشيوخ وسكان القسطنطينية وقالوا "أنه أفلس المملكة وأعطاها للبرلبرة". وبعدما مات جستنيان، ارتقى العرش ابن أخته جستين الثانى، فجاءته جماعة من الآفار لكى يحصلوا على العطايا كالعادة ثم يعودون بها. فلما جاءوا جستين بعد أيام قلائل من اعتلائه للعرش الملكى قالوا له "أعطنا مثلما كان جستنيان يعطينا واتركنا نعود إلى ملكنا". أما جستين فقال لهم، كواحد ممن تذمروا وتضايقوا لكل ما أخذوه من المملكة "لن تأخذوا شيئا آخر من المملكة، فاذهبوا لا فائدة. لن تنالوا منى شيئا وتعودون به إلى ملككم" (٥٩). وعندما تذمروا من هذا الكلام، غضب جستين وقال لهم "أيها الكلاب الميتة! أتهددون المملكة الرومانية، اعلموا أننى ساجز شعوركم وأقطع رقابكم". وأمر جستين الجنود فقبضوا عليهم وحملوهم فى القوارب وأخرجوهم من العاصمة، وحبسوهم فى خلقدونية. وكانوا حوالى ثلاثمائة من الرجال، وقام على حراستهم الجنود ورسل الملك ولمدة ستة شهور. وبعد ذلك حررهم وتوعدهم بقوله "إن رأيت منكم أحدا بعد الآن فى مملكتى فلن تقوم لكم قائمة". وهكذا خافوا منه ولم يظهروا أمامه ثانية. وبعد ذلك أرسلوا إليه لكى يخضعوا لسلطانه ويفعلون ما يأمرهم به. فصاروا طوال أيامه أصدقاء للمملكة وكانوا شعبا قويا لاسيما بعدما غنموا وسيطروا على أغلب الشعوب الشمالية التى غزوها وخربوا بلادها. ثم عبروا نهرا كبيرا يسمى دونفيس (الدانوب) وانقضوا على شعب قوى يسمى الجيبدس(٦٠) فأبادوه وامتلكوا أرضه واستوطنوا هذه الأراضى العامرة وانتشروا فيها. وبعد ذلك أضمروا الخداع وأرسلوا رسلا إلى الملك جستين، وطلبوا منه قائلين "إن ملكنا أراد أن نرسل له مهندسين وبنائين لكى يبنوا له قصرا وحماما، فأرسل لهم جستين ما يطلبون وبنوا قصرا وحماما ملكيا. وبعد انتهاء العمل أراد الحرفيون العودة إلى بلادهم، ومن ثم ظهر خداع الآفار. إذ قبض ملكهم على العمال رومان، واستل سيفه وقال لهم "إن لم تبنوا جسرا بمهارتكم على نهر الدانوب لكى نعبر عليه حيث شئنا، لن يبق منكم أحد على قيد الحياة. وسأقطع رؤوسكم فى الحال". فلما ضغط عليهم قالوا له "لم يستطع أحد من قبل بناء مثل ذلك الجسر ونحن بالتالى لن نستطيع

بناءه فالنهر كالبحر العظيم، وإن أقمنا الجسر سيكون ضد دولة الرومان، فيقتلنا الملك، وسواء عشنا أم متنا لن نقدر على فعل ذلك أبدا". فأطاح ملك الآفار برأس أثنين منهم على الفور، وخاف البقية من الموت، وقالوا لهم " أحضروا لنا كتلا خشبية كبيرة وضخمة". وهكذا اضطر الفنيون الرومان تحت تهديد القتل أن يقيموا جسرا قويا على نهر الدانوب. ومات جستين بعد أن أدار شئون المملكة لمدة ثلاثة عشرة سنة، ولما كان طيباريوس قيصرا لمدة أربعة سنوات إبان عهد جستين، فقد ارتقى العرش بعد موت جستين. وقد تم بناء الجسر في العام الثالث من عهد الإمبراطور طيباريوس، وكان ذلك مبعثا على الضيق. وحاول طيباريوس بشتى الطرق أن يقطع هذا الجسر لكنه فشل. وساومه الآفار بقولهم "إما أن تعطينا مدينة سرميوم[٦١] . الواقعة وراء نهر الدانوب لكي نعيش فيها او نقاتلك ونخرب دولتك". أما طيباريوس فلم يرض مطلقا أن يسلمهم مدينة سرميوم، فتجمعت قبائل الآفار وانتظروا الفرصة المناسبة لكي يثيرون الحرب عليه. وبنى الآفار جسرا آخر لإثارة القلاقل في الأراضي الرومانية، وقيل أن هذا لم يحدث من قبل.

القصة الخامسة والعشرون

عن شعوب الصقالبة السلاف

اجتاح شعب الصقالبة (السلاف) الملعون في السنة الثالثة من عهد الإمبراطور طيباريوس (٥٨٠م) أراضي اليونان وتسالونيك وتراقيا. واحتلوا مدنا وحصونا كثيرة وخربوا هذه الأراضي وأحرقوها وسبوها وسيطروا عليها بقوة واستقروا فيها وكأنها أراضيهم لمدة أربع سنوات [٦٢] . وكان الملك طيباريوس لا يزال مشغولا في الحرب مع الفرس، وأرسل الجيوش كلها إلى الجبهة الشرقية. ولذلك انتشر الصقالبة في هذه البلاد واستقروا فيها وتوسعوا حتى قوى الله شوكتهم، فخربوا القسطنطينية وأشعلوا فيها الحرائق وهدموا سورها الخارجي، واستولوا على قطعان الماشية الملكية، وكانت آلافا كثيرة بالإضافة إلى ما سبوه غير ذلك. وحتى سنة ثمانمائة وخمس وتسعين (يونانية= ٥٨٣م) استمر وجودهم داخل الأراضي الرومانية، واستوطنوها بلا اهتمام أو خوف، كما سبوا وقتلوا سكانها وأحرقوها وغنموا منها الذهب والفضة وقطعان الخيول والسلاح الوفير. وقد حذقوا فنون القتال أكثر من الرومان، هؤلاء البرابرة الذين لم يكونوا يتجاسرون على الخروج من مكامن الأشجار، ولم يعرفوا من أنواع السلاح سوى نوعين أو ثلاثة من الحراب الصغيرة التي تسمى مزاريق.

القصة السادسة والعشرون

عن قتال الروم والفرس فى تلا فى سنة ٥٨٠م

بعد التخريب الشديد الذى قام به الفرس والروم فى كلتى المملكتين. أراد الطرفان الدخول فى مفاوضات من أجل السلام. وقد مثل الرومان فى هذه المفاوضات أساقفة نصيبين ورأس العين وزكريا الحكيم. وبعد فترة تكبر أحد مرزبانات الفرس؛ وكان أعمى، ووثق فى جنوده واستراتيجيته الحربية وتفاخر ببطولته وقال لملكه " لا تلن مع الرومان وتبرم معهم سلاما، إنى ساخترق حدودهم وأقاتلهم وأغزو أراضيهم، وأقضى الشتاء في أنطاكيا". فاقتنع الملك هرمزد بثقة قائده وأهمل مفاوضات السلام، وأخذه الغرور أيضا. أما هذا المرزبان فكان طمخسرو، وقد جمع جنوده وقصد تل موزلت إذ تتمركز بها الألوية الرومانية العظيمة وقادة الجيوش[٦٣] . وحاصر المدينة فور وصوله، فخرجت الألوية الرومية لقتاله خاصة أحدهم ويدعى قسطنطين، وكان رجلا شجاعا ذا بأس شديد، وكان قد قبض فى اليوم السابق على أحد جواسيس الفرس. وبعد أن ضغط عليه لكي يعلم هيئة المرزبان طمخسرو، وفى أى مكان داخل الجيش يجده، ولما علم بذلك. وخرج للقتال ورأى المرزبانفى منتصف أحد أجنحة جيشه، أسرع إليه مخترقا جيش فارس، وتوجه إليه مباشرة فضربه برمحه وأسقطه من فوق جواده، ثم عاد فطعنه بخنجره ثانية. وأحاطت جنود الفرس به فقتلوه هو أيضا، ذلك الرجل المسيحى المؤمن الشجاع. ولما رأى الفرس أن مرزبانهم قد قتل، ذلك الذى وثقوا فيه أكثر من الملك وتفاخر بأنه سيحتل المدينة فور وصوله إليها، ووجدوا أن الرومان قد حاصروهم من كل الجهات. أسرعوا بالارتداد وتعقبهم الرومان والعرب فقتلوا منهم كثيرين. وقيل أن قتلى الفرس تجاوزوا الآلاف، لكننا لم نتأكد من أعدادهم ولم نميز بين الحقائق والأكاذيب ولذا لم ندونها. ومع ذلك أُشيع أن كثيرا من الفرس سقطوا صرعى، كما قتل ثلاثة آخرون من قادتهم. وانتهى بذلك غرورهم. وهرب الباقون وعسكروا على مقربة من نهر واش[٦٤] ، ومكثوا هناك ثلاثة شهور وهم ينتظرون القتال ويستعدون له. ولما فشلوا فى التصدى للرومان عادوا إلى بلادهم، يجرون أذيال الفشل. بعدما فشلوا فى تحقيق ما خططوا له.

القصة السابعة والعشرون

عن موريقيوس قائد الجيوش الرومانية فى الشرق

نتحدث الآن عن موريقيوس الذى ذكرناه من قبل. بعد موت البطريق جستنيانوس بن جرمانوس، الذى كان رئيسا للجيوش الرومانية فى الشرق. انشق قادة الجيوش على بعضهم البعض. ولأن موريقيوس كان كاتبا للملك الرحيم طيباريوس، فقد عظم طيباريوس شأنه وجعله رئيسا للحرس الإمبراطورى، ثم أرسله إلى الشرق لكى يتولى رئاسة ألوية الجيوش وقادته. ومنحه طيباريوس السلطة لاتخاذ القرار الذى يراه فى شئون القتال. وخرج موريقيوس بجيش كبير من الحرس ورسل الملك وبلغ قبادوقيا. وكان موريقيوس من مدينة آرابيسوس بقبادوقيا. وقد اختار شبابا أقوياء استأجرهم للقتال ضمن صفوف الرومان. وقد فعل الشئ نفسه فى هنزيط[٦٥] بأرمينية وسوريا عندما سافر إليها. وتوجه موريقيوس فى البداية إلى مدينة قتريز، فاضطربت فارس بعد سماع خبر وصوله إليها. أما المرزبان الذى يحمى أرمينية الفارسية، فقد اضطرب عند سماعه هذا الخبر، واختلق الأعذار لكى يهرب من مواجهة موريقيوس. فأرسل إلى القادة الرومان المرابطين فى مدينة ثيودسيوبوليس قائلا "إلى متى نظل جالسين ننتظر بعضنا البعض، فليستعد كل منا للقتال بعد ثلاثين يوما. ولنعرف عندئذ من المنتصر ومن المهزوم". وتشاور قادة الرومان وأرسلوا للكونت موريقيوس يخبرونه فأمرهم بالرد على المرزبان كالتالى "إننا الآن جاهزون للقتال". وبعد أن اعتمد القادة على هذه الإجابة، هرب المرزبان بجيشه من أرمينية الفارسية فى جنح الظلام وعبر الحدود، ثم اخترق الأراضى الرومانية فى مواجهة ميافارقاط وبدأ فى التخريب والحرق والسبى والقتل، وسبى سكان صوفنايا وآمد. وعندما وصل إلى آمد حاصرها ثلاثة أيام، ولم يثق الأهالى فى كلامه، واعتقدوا أنه سواء أخذ الذهب أم لم يأخذه سيحرق المدينة لا محالة. لذا تضايق الفرس فحرقوا جميع الكنائس والأديرة الكبيرة منها والصغيرة خارج المدينة، ثم سارعوا بالفرار إلى بلادهم. وهكذا نهبوا وسبوا وعادوا إلى بلادهم فى مدة خمسة عشر يوما خوفا من ملاحقة الرومان لهم. ولما علم الكونت موريقيوس بذلك تضايق، وقاد جيشه فى أثرهم، لكنه لم يلحق بهم. وبعد ذلك انقضت الجيوش الرومانية على أرزون فخربوا فيها وأحرقوا وعاثوا فيها الفساد وسبوا أهلها. ثم عادوا إلى بلادهم. وقد أوضحنا ذلك فى القصص السابقة. وقد نقل سبايا أرزون بناء على أوامر الملك طيباريوس إلى جزيرة قبرص وتوزعوا هناك على مدن الجزيرة وقراها، ومازالوا يعيشون هناك حتى اليوم.

القصة الثامنة والعشرون

عن قتال الفرس والروم فى أرمينية

كان معظم جيش الرومان مرابطا فى مواجهة أرمينية الفارسية بقيادة اللوائين يوحنا [٦٦] وكوريس. وكان جيش الفرس مرابطا على طول المواجهة أيضا. وكما أوضحنا آنفا أن جماعة من جيش الرومان انفصلت عنه، وهى تقارب خمسين ألفا من الجنود الذين قالوا غاضبين "إن لم نأخذ أجورنا كاملة، وتحددوا لكل منا فرقته لكى ننتظم فى مواقعنا، فلن يخرج أحدنا للقتال، ولن نقاتل أحدا". ولما علم الملك طيباريوس بذلك، أرسل إلى هناك دومتسيلوس كبير حجاب قصر هورميذداس الملكى، وأعطاه ذهبا كثيرا لكى يوزعه على الجنود ويسترضيهم ويهدأ من غلواءهم. وعندئذ أرسل مرزبانات الفرس للقادة الرومان يقولون "لماذا نواجه بعضنا البعض هكذا كالنساء، فلنخرج إلى الوادى لنتقاتل سويا". فلما سمع كوريس قائد الجيش بهذا الكلام، وهو كرجل حكيم فى فنون القتال كالقائد نرسيس العظيم، الذى كان قائدا لكوريس فى الماضى، واكتسب كلاهما خبرة كبيرة من خلال الحروب الكبيرة التى خاضاها سويا، فقد أرسل إلى الفرس بقوله "إننا لا نستطيع القتال الآن، فجيشنا ليس ها هنا كله، فإذا هجمتم علينا سنقاتلكم بكل ما يهبنا الله من قوة". ولما تسلم مرزبانات الفرس هذه الإجابة، زادت ثقتهم فى أنفسهم ومن ثم لم يخشوا من الرومان أو يرهبونهم. أما كوريس فجهز جيشه على الفور وبلغ عشرين ألفا، وخرج أثناء الليل، ومع بزوغ النهار كان الفرس نائمين ويلفهم الهدوء، فانقض عليهم كوريس بجيشه كالنار التى تلتهم الغابة، واللهيب الذى يحرق الجبال[٦٧]، وباغتهم ففرق شملهم وأبادهم إلا قلة منهم هربت. وقبض على كثيرين منهم وقيدهم بالأغلال، كما قبض على مرزبان وابنه. وهكذا نهب كوريس معسكرهم عن بكرة أبيه، وعاد بنصر كبير إذ استولى على أسلحتهم وجيادهم أيضا.

القصة التاسعة والعشرون

عن ابن ملك فارس المزيف

بعد وفاة كسرى أنو شروان. ارتقى العرش ابنه هرمزد، وكان لملوك فارس عادة قبيحة وهى أن يقتلوا إخوتهم. فقتل هرمزد بعض أخوته[٦٨]، وفقأ عيون البقية منهم. أما أخوه الذى قيل أن والده رغب فى أن يجعله خلفا له على العرش، والذى رفضه

مـجلس شـيوخـهم (السنا) ولـم يوافق عليـه. فـقد قـيل أن لهـذا الأخ حكاية. إذ قـيل أن كسـرى مـده بما يلـزمـه وأبعـده عن فـارس قـائلا "اذهب يا بنى وأهرب وأنا حى لـئـلا تموت" . فكثـرت الأقـاويل بعـد هروبه، وقيل أنه هرب إلى أمـاكن كثـيرة، كما أشـيع أنه مختبئ عند أبناء عمـه. وقد تنكر دعيٌ من الفرس؛ وهو شاب بالغ، أدعى البراهين لكى يؤكد أنه ابن كسرى الهارب. ثم ذهب إلى قادة الجيوش الرومانية الموجودة فى أرمينية الفارسـية وقال لهم "أريد الخضـوع للمملكة الرومـانية، فإن اسـتقبلنى ملك الرومـان وزودنى بجيش سـأستولى به على الأقاليم الفـارسـية وأخضع الجيوش لسلطانى. ثم أقود أخى هرمزد، الذى سلبنى ملكى، مصفدا فى الأغلال إلى ملك الروم". واسـتفسـر قادة الرومان منه عن أشياء كثيرة، واستشهد ببراهـين كثيرة وبأناس فشـهدوا له أنه هو الذى هرب من أخيـه. وهكذا وثق فيـه القادة الرومـان، وكتبوا للملك طيبـاريوس بشـأنه وأخبروه بكل الأدلة التى قالها لهم، وأنهم وجدوا أناسـا يشـهدون له ويؤكدون أنه هو ابن كسرى، وأشـاروا إلى الملك إلى حـالته البائسـة كذلك. ولما تسلم طيباريوس الظافـر رسـالة قـواده ووثق فى كلامـهم، أرسل إليه رسله بذهب وفـضـة ومـلابس ثمينة وجـياد وبغـال تشـريـفـا له ولمكانتـه. كـمـا أمـر طيـبـاريوس أن يحـضـروا هذا الشــاب إلى القسطنطينيـة، بعد أن يطوف الرسل به فى الأقاليم والمدن الرومـانية بصحبة القضـاة وحكام الأقـاليم. وبعـدمـا طافـوا به فى طول البـلاد وعـرضـهـا بأبهـة عـزيمة وكـأنـه ملك حقيقى، أرسل طيباريوس له الأوسمة العظيمة تشريفا له. وعندما وصل الملك خلقدونية؛ فيما وراء القسطنطينية، أمـر رجاله بالانتظار لكى يتأكد من شـخصية هذا الشـاب بدقة أكثر. ولما كـان حـاجب الملك الفـارسـى قد جـاء للتـفـاوض مع الرومان بشـأن السـلام، واسـتـسلم لطيـبـاريوس هو ورسـل غيـره آخرون. أمـرهـم الملك أن يذهـبـوا إلى الشــاب الدعى لكى يتأكدون من شـخصيته، خشية أن يكون كذابا، لئلا يصبح طيبـاريوس مثارا للسـخرية. فلما ذهبوا إليه لم يتـعرفوا عليه، أمـا الحاجب فقد سـأله عن أشياء كثيرة فلم يستطع الشاب الإجابة عليه بالحقيقة، وكان يجلس على كرسى عال وكأنه ملك متوج. وعندئذ جذبه الحاجب من شعره ورفعه عاليا ثم أرداه أرضا وقـال له "أنت أيها الدعى، يا من تستحق الموت، لماذا تجلس على عرش عظيم وعظمـاء المملكة واقفون أمـامك؟ ثم ضربه على قفـاه". وبذلك انكشف كذبه وخداعه ولم يجد الدعى سبيـلا إلى الاعـتذار والإفصـاح عن حقيقة شخصيته. فـأمر طيباريوس الحراس أن يحبسـوه فى مكان مـا، وهكذا لم ينفـعـه كذبه. وأمـر الملك بالإنفـاق عليه وعلى من مـعه، ولـم يقابله الملك. وقيل عندئذ أن ثلاثة قناطير من الذهب قد انفقت عليه. أما بعد ذلك فقد أصبح مسيحيا.

القصة الثلاثون

عن مدينة سرميوم وحصار الآفار لها

تجمع الآفار البرابرة فى أعداد كبيرة بعدما امتلكوا جسرين على نهر الدانوب بنوهما، واستقروا هناك وأثاروا حروبا وتخريبا داخل الأراضى الرومانية. وأرسلوا إلى الملك طيباريوس يقولون "إذا أردت أن تكسبنا أصدقاء لك أعطنا مدينة سرميوم، لكى نستقر بها بإرادتك، فإن لم تعطنا أياها أخذناها عنوة وأصبحنا أعداء لك". أما الملك فقطع لهم وعودا شتى، لكنه لم يرغب فى التنازل لهم عنها مطلقا، بل أرسل وفدا من قبله سرا إلى شعب اللونبارد وإلى شعوب أخرى لكى يستأجرهم فيهاجمون الآفار من الخلف. ولما ضغط عليه الآفار لأنه لم يجبهم، اهتدى طيباريوس إلى فكرة صائبة، حيث أرسل إليهم القائد العظيم نرسيس لكى يتفاوض معهم، فيؤخرهم قليلا. وقد حمل لهم نرسيس ذهبا كثيرا من الملك ومن خزانة الدولة. وأمره الملك بعدم الإسراع فى الوصول إليهم، فإن جاء اللونبارد استقبلهم الملك وأرسلهم لإبادة الآفار إن استطاعوا. وأرسل طيباريوس للآفار قائلا "لأقد أرسلنا إليكم نارسيس المجيد حاجبنا، لكى يتفاوض معكم ويبرم معكم سلاما"[٦٩] .

القصة الحادية والثلاثون

عن سفر نرسيس إلى الآفار

خرج نرسيس المجيد؛ حامل السيف الملكى، من العاصمة فى أبهة عظيمة. واصطحب معه جيشا كبيرا، وحمل ذهبا وفيرا وملابس من صنوف شتى. وامتلأت سفن كثيرة بما يحمله معه من بضائع وهدايا. وبدأ المسير فى بحر بنطس المخيف[٧٠]. فغرقت إحدى السفن فى اليوم الأول للرحلة، وكانت معظم حمولتها من الذهب والبضائع الأخرى، وكان على متنها أحد نواب نرسيس والبقية كانت من الحرس المكلفين بحراسة ما تحمله السفينة. وعندما بلغ نرسيس مشارف نهر الدانوب وعلم بغرق السفينة، أصيب بمرض شديد بسبب حزنه على السفينة. وظل لفترة يعانى المرض، ثم أدركته المنية فمات متألماً، وتوقفت كل خططه، ولم ينجز شيئا على الإطلاق. وقيل الكثير بعد ذلك عن أهدافه من هذه الرحلة.

القصة الثانية والثلاثون

عن تسليم مدينة سرميوم للبرابرة الآفار

لما فشلت خطة نرسيس، ولم يهاجم اللونبارد الآفار. اضطر الملك طيباريوس أن يرسل إلى الآفار مبعوثا آخر هو كاليستروس قائد الحرس الإمبراطورى. فتوجه كاليستروس إليهم وسلمهم مدينة سرميوم، إذ اقتنع طيباريوس أن ذلك أفضل بكثير من احتلالها عنوة بواسطة الحرب. بعد أن عانت المدينة سنتين من المجاعة لدرجة أن أهلها اضطروا أن يأكلوا قططهم، بعدما نفذت لحوم الماشية والحيوانات الأخرى والنباتات. وما حدث فى سرميوم لم يكن أقل مما حكاه الكتاب المقدس عما حدث يوما فى السامرة(٧١) . وانتشرت الأقاويل عن المساعدات التى قدمها الآفار لضحايا مجاعة سرميوم. وبذلك كفر البرابرة عن خطيئة المسيحيين، وكانوا مثارا للدهشة من الذين لم يعطفوا على رفقائهم ولم يرحموا بنى جلدتهم(٧٢) . فعندما دخل الآفار المدينة، ورأوا فاقة أهلها الشديدة، ساعدوهم إذ أعطوهم خبزا يأكلونه وخمرا يشربونها، حتى شبع كل سكان المدينة طوال عامى المجاعة. أما الذين نجوا من المجاعة فخرجوا من المدينة وارتحلوا عنها. واستولى عليها البرابرة واستوطنوها.

القصة الثالثة والثلاثون

عن احتراق مدينة سرميوم

وقد قيل أنه بعد مرور سنة على استيلاء الآفار البرابرة على سرميوم مدينة المسيحيين. تساقطت النيران على المدينة، فاحترقت وأبيدت فجأة. والله وحده يعلم سبب ذلك. أما البرابرة فقد هربوا منها لأنهم لم يتمكنوا من السيطرة على النيران وإخمادها. وهكذا هربوا بدون أن ينقذوا شيئا من ممتلكاتهم، واحترقت المدينة وتهدمت عن بكرة أبيها. وهناك أخبار كثيرة أخرى بشأن سرميوم أهملنا أكثرها نظرا لطول هذه القصص.

القصة الرابعة والثلاثون

عن ذكرى حروب كثيرة

استطعنا أن نذكر باختصار ونتتبع بدقة خبار الحروب السابقة التى دارت هنا وهناك. إذ تحدثنا عن حرب البطريق المجيد موريقيوس فى نصيبين وما حدث هناك، ثم عبور كسرى بجيوشه إلى أرض الرومان واستلائه على مدينة دارا وأفاميا ومدن أخرى، ثم سفر المنتصر موريقيوس إلى الشرق فى أبهة عظيمة. والرهبة التى سيطرت على الفرس المجوس لهذا السبب، وتفكير الفرس فى خداع موريقيوس، ثم عبورهم سرا إلى أرض الرومان من ناحية ميافارقاط، وما قاموا به فى صوفانايا، ثم توجههم إلى آمد بعد خمسة عشر يوما وفشلهم فى احتلال المدينة. ثم قيامهم بحرق كل ما جاورها من كنائس وأديرة بجنون وتوحش، والسبى الذى قادوه وعادوا به إلى فارس، ثم عندما علم الكونت موريقيوس بذلك تملكه الغضب وطاردهم، لكنه لم يلحق بهم. فتوجه إلى أرزون مباشرة، وحرق فيها وهدم المنازل وسبى أهلها دون أن يقتلهم، وقادهم إلى أرض الرومان ثم أرسلهم جميعا بأمر الملك إلى جزيرة قبرص، بعد أن استولى على بعض حصونها. إذ احتل هناك حصونا وسيطر على واحدا منها يسمى حصن فوم، ووضع به حامية رومانية. وكان هناك حصنا آخر يواجهه يسمى كليمر، وكان الفرس يسيطرون عليه، فأخذ موريقيوس منهم فدية عنه وتركه للفرس. وهكذا كان الفرس والروم يواجهان بعضهما البعض، وقد تهادنوا فى الجزيرة وصاروا يتبادلون السلع والبضائع مع بعضهما البعض بلا خوف.

القصة الخامسة والثلاثون

عن حصن شمكرت

اهتم الكونت موريقيوس ببناء حصن على جبل عال شديد الوعورة يسمى شمكرت. وهكذا عرف الحصن أيضا، وقد وضع موريقيوس بالحصن حامية رومانية وزودهم

بالمؤن، ونظم كل شئون الحصن. وكان حصن شمكرت فى داخل الأراضى الرومانية، إذ أوكل موريقيوس بناء الحصن إلى المهندس الشهير الذى استسلم له من أرض فارس.

القصة السادسة والثلاثون

عن حصن أقابا فى أرض فارس

يقبع جبل وعر[٧٣]. عند نهاية نهر الكلت[٧٤] ، الواقع على الحدود الفارسية المواجهة لمدينة ميافارقاط. وقد فكر المجوس المخربون منذ فترة طويلة أن يبنوا عليه حصنا. وكان بين الفرس والروم اتفاق ينص على عدم بناء أية مبان على مسافة عدة أميال من الحدود بينهما. وكان الرومان يتصدون للفرس ولا يسمحون لهم ببناء تحصينات عسكرية على طول الحدود بينهما، وكثيرا ما بنى الفرس الحصن ثم هدمه الرومان ثانية. وأوضحنا أن الفرس سنحت لهم الفرصة ذات مرة وتمكنوا من بناء الحصن وزودوه بحامية من الجنود. وبعد عدة سنوات انقض اللواء أولوس بقواته الرومانية على الحصن وحاصره لمدة طويلة حتى سيطر الجوع والعطش على الحامية الفارسية، واضطر من بداخله أن يطلبوا من القادة الرومان عهد أمان يحفظ حياتهم فلا يقبضون عليهم أو يسبونهم ويقودنهم إلى أرض الروم، بعدما كادوا أن يهلكوا واشتدت عليهم وطأة الحصار الرومانى. وبعد أن أعطاهم القادة الروم موثقا، فتح جنود الحامية أبواب الحصن وخرجوا منه جميعا. وفور خروجهم، وجدوا الماء والطعام فشربوا وأكلوا. أما اللواء أولوس وجنوده فقد دخلوا الحصن وهدموه عن بكرة أبيه. ولم يتركوا حجرا على آخر لم يهدموه[٧٥] ، وألقوا أحجاره من فوق قمة الجبل. وانضم إليهم قادة آخرون ومعظم الجيش، فاستقروا هناك فى أماكن مختلفة. وتناوبوا الحراسة مع بعضهم البعض.

القصة السابعة والثلاثون

عن مراسلات الفرس والروم

في الوقت الذى احتل فيه حصن أقابا في سنة ٨٩٤ (يونانية= ٥٨٢م)، قدم إلى ملكنا الرومانى موريقيوس رسولٌ من قبل الفرس، وتفاوض معه بشأن السلام بين الدولتين. وعاد الرسول وقد أخفق فى تحقيق مهمته. ثم قرر موريقيوس أن يرسل مبعوثا من قبله إلى ملك فارس هرمزد للتفاوض معه حول السلام.

القصة الثامنة والثلاثون

عن مبعوث ملك الرومان إلى فارس

عندما وصل مبعوث ملك الرومان إلى أرض فارس، استقبله ملك فارس بغضب شديد، وقتل أمامه كثيرين من أسرى الرومان. ثم طرده بإهانة شديدة.

القصة الحادية والأربعون والثانية والأربعون

عن تعاظم مملكة العرب أتباع الروم وانهيارها

انقسمت مملكة العرب إلى خمس عشرة زعامة قبلية. وخضع أغلبها للمملكة الفارسية. ومن ثم ضعفت وانهارت مملكة العرب المسيحيين بسبب خداع الرومان. وبدأت البدع تظهر بين العرب.

القصة الخامسة والأربعون حتى التاسعة والأربعون

عن الشعوب البربرية والرومان

واجه الرومان عقبة ثانية من الشعوب البربرية المقيتة الذين يجدلون شعورهم كالنساء، أؤلئك الذين يسمون الآفار. وقد خرج الآفار من الحدود الشرقية للمملكة الرومانية ومن شعب السلاف الشمالي ومن غيرهم كاللونبارد الذين خضعوا لسلطان الخان ملك الآفار. إذ تسللوا داخل الأراضي الرومانية، واحتلوا مدينتين وحصونا كثيرة. وقالوا لسكان البلاد "ازرعوا الأرض واحصدوها، سوف نأخذ منكم نصف الجزية التي تدفعونها للروم، فإن لم تدفعوها صاغرين، سيفرض الملك رسوما على الخروج من مدينة هدريانوبوليس"[٧٦] . ثم توجهوا صوب القسطنطينية، فلما خشى الملك موريقيوس وجيوشه من البرابرة، أرسل جيشا يرابط بالسور الخارجي للمدينة، الذى يبعد مسافة ستين ميلا عن العاصمة. كما اضطر الملك أن يجند رجال الكنيسة وأرسل رسله لجمع الإتاوات من كل الأقاليم. أما البرابرة فقد ارتكبوا فظائع كثيرة وخطفوا الأطفال من آبائهم، وخربوا البلاد كلها، ونهبوا ممتلكات الناس من جياد وماشية ودواجن في كل الأقاليم، ونهب السلاف الكنائس والقبور العظيمة، وأخرجوا الجثث على العربات، وأقام ملكهم في كنيسة كورنثوس بدلا من أن يقيم لنفسه منزلا، فاستأجر الرومان شعب الأنطاى (الأنطونيين)[٧٧] فنزلوا أرض السلاف واحتلوها ونهبوها، وأخذوا ثروتها وأحرقوها. وكانت أرض السلاف تقع بالجهات الغربية من نهر الدانوب. وعندما علم السلاف بما حدث لأرضهم، تألموا كالأسد الجريح. وتجمع منهم ألوف غفيرة وأثاروا حربا على نطاق كبير ضد الرومان. ولما فشلوا في دخول القسطنطينية واحتلالها، توجهوا إلى مدينة أنخيلوس[٧٨] ، حيث ينبوعها الحار، وقتلوا معظم حامية المدينة، ثم هدموا سور المدينة. ووجدوا الرداء الملكى الذى وهبته أنسطاسيا زوجة طيباريوس لكنيسة أنخيلوس، عندما ذهبت للاستحمام في ينبوع المدينة. فارتداه كاجن ملكهم قائلا "سواء رغب ملك الرومان أم أبى فقد أصبحت ملكا". وقد أرهبه الأتراك الذين هجموا عليه ومن معه، فتوجه إلى سرميوم. ولما خشى أن يسبى الأتراك عائلته وثروته، أعطاهم ثمانية قناطير من الذهب فابتعدوا عن سرميوم. وقبض السلاف على الأسقف يوحنا وكبلوه بالأغلال واقتادوه إلى خلقدونية، ومكث فيها سنة واحدة. وقد شهد الخلقدونيون له بأنه كان يعلم بأمور المستقبل، ووعدوه بإطلاق سراحه من السجن. أما هو فقد قال لهم "لا تهتموا بحريتي، سأتحرر رغما عنكم في اليوم الفلاني" وقد مات في اليوم الذى حدده قبل ذلك في جلال كبير، وطاف به الفريقان الأرثوذكس والخلقدونيون وباركاه سويا وفي آن واحد.

الحواشى والتعليقات

أولا. الفصل الأول:

أحوال الدولة البيزنطية فى القرن السادس الميلادى

١) انظر د. السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٩، انظر هس، العالم البيزنطى (ترجمة، د. رأفت عبد الحميد)، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٤، ص ٨٥

٢) انظر د. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، القاهرة ١٩٨٣ الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ص ٣-٤

٣) انظر نورمان كانتور، التاريخ الوسيط (ترجمة د. قاسم عبد قاسم)، القاهرة ١٩٨٤، الطبعة الثانية، الجزء الأول ص ٥٣، ٨٢، د. مراد كامل، "من دقلديانوس إلى دخول العرب": تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة مكتبة مصر (بدون تاريخ) المجلد الثانى ص ٢٣٣

٤) انظر هس، العالم البيزنطى، ص ٣٣ و٣٨، د. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٤ ص ٤

٥) مضمون هذا المذهب أن للمسيح طبيعة إلهية ومشيئة واحدة وأقنوم (كيان) واحد، وهو الأقنوم الإلهى الذى اتحد بالطبيعة الإنسانية بلا اختلاط أو امتزاج، وتقرر هذا التفسير فى مجمع أفسس الأول فى سنة ٤٣١م وفقا لرؤية وصياغة كنيسة الاسكندرية لماهية السيد المسيح (، انظر: د. أحمد شلبى، مقارنة الأديان، القاهرة ١٩٨٤، الطبعة الثامنة ص ١٩٣، Lexicon für Theologie und Kirche, Freiburg 1960, Bd. 7, p. 565

٦) اللفظة يونانية وتعنى الطبيعتان، وهو المذهب الذى أقره مجمع خلقدونية فى سنة ٤٥١م، والذى انتهى إلى أن للسيد المسيح (طبيعتين متحدتين بدون تغيير أو انفصال، وكان ذلك سببا فى انشقاق كنائس الإسكندرية وسوريا عن كنيستى روما والقسطنطينية، انظر د. أحمد شلبى، المرجع السابق ص ١٩٤، ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، بغداد ١٩٨٥، الطبعة الثانية الجزء الأول، ص ٧٦-٧٧، هس، العالم البيزنطى، ص ٣٨، W. Selb, Orientalisches Kirchenrecht, Wien 1981, Bd. 1, p. 51ff

٧) السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ٥٨

٨) انظر "تاريخ الأزمنة عن زمن الشدة التى حدثت فى الرُها وفى آمد وكل إقليم ما بين النهرين"، (بالسُريانية)نشره وليم رايت W, Wright, Cambridge 1882, p. 31

٩) انظر A. H. M. Jones, Later Roman Empire, Oxford 1964, vol. 1, p. 231

١٠) انظر آرثر كريستنش، إيران فى عهد الساسانيين (ترجمة د. يحيى الخشاب) القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٣٨، السيد الباز، ص ٦٢

١١) انظر تاريخ الحروب لبروكبيوس القيسارى Procopius of Caesarea, History of Wars (Tr. by H. B. Dewing) New York 1914, Book I, p. 81

١٢) انظر السيد الباز، ص ٦٢، د. حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣ ص ٤٥

١٣) بدأ الفرنجة فى التسلل داخل الأراضى الرومانية منذ القرن الخامس الميلادى، أما الجرمان فقد بلغوا نهر الراين فى القرن الأول الميلادى من موطنهم فى جنوب السويد والنرويج والدانمارك، واستقروا فى القرن الخامس على طول حدود الراين والدانوب، انظر نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ص ١٤٤، ١٤٨ و١٧٢

١٤) انظر المرجع السابق، ص ٤٨، هس، العالم البيزنطى، ص ٦٧

١٥) انظر إدوارد بروى وآخرون، تاريخ الحضارات العام (ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد داغر) بيروت ١٩٨٦، المجلد الثالث الطبعة الثانية، ص ٤٧،

١٦) أسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، القاهرة ١٩٧٩ الطبعة السادسة، ص ١٧

١٧) انظر A. Cameron, Heresies and Fictions, Byzantion (1974) vol. 64, Bruxelles, p. 92

١٨) انظر Jones, Later Roman, p. 232, J. B. Bury, History of Later Roman Empire, vol. 1, p. 438

١٩) ولد فيلوكسينوس فى مقاطعة بيت جرمى بفارس فى منتصف القرن الخامس، وكان له الفضل فى وضع أول ترجمة حرفية للأناجيل وتعرف "بالترجمة الفيلكسينية"، توفى سنة ٥٢١م، انظر د. زاكية محمد رشدى، تاريخ الأدب السُريانى، القاهرة ١٩٧٩ ص ١٨٢-١٨٤

٢٠) ولد سويروس فى سوزوبوليس ببيسيدية بآسيا الصغرى حوالى سنة ٤٥٩ وتوفى فى سنة ٥٣٨, امتاز بثقافة دينية كبيرة، وهو من أعلام الأدب السريانى فى القرن السادس، انظر ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ١٠٨ وما بعدها، أسد رستم، كنيسة أنطاكية، ج١ بيروت (بدون تاريخ) ص ٣٥٣

٢١) أضاف الإمبراطور زينون التسبيح المونوفيزى "قدوس الرب، قدوس القوى، قدوس الذى لا يموت والذى صلب من أجلنا"، أسد رستم، المرجع السابق ص ١٣٤

٢٢) انظر المرجع السابق ص ٣٦٠، انظر السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ٦٣

٢٣) انظر حسنين ربيع، دراسات، ص ٥٦، P. Charanis, Church and State in Later Roman Empire, Wisconsin 1930, p. 50

٢٤) انظر أسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، ص ١٦٦، نفس المؤلف، كنيسة أنطاكيا، ج١، ص ٣٦١، A. A. Vasiliev, History of Byzantine Empire, Madison 1952, p. 129

٢٥) انظر د. إبراهيم العدوى، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة ١٩٥١، ص ٧

٢٦) انظر الحيمى الحسن بن أحمد، سيرة الحبشة (تحقيق د. مراد كامل) القاهرة (بدون تاريخ) ص ٥٠

٢٧) انظر ف. هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، (ترجمة أحمد محمود رضا) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ص ٢٣، السيد محمد يوسف، "علاقات العرب التجارية بالهند"، مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة) مجلد ٥ القاهرة ١٩٥٣ ص ٤

٢٨) انظر حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، (ترجمة د. محمد نور الدين وآخرون) القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٥٥

٢٩) انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكية، ج١، ص ٣٦١، H. C. Frend, The Rise of the Monophysite Movement, Cambridge 1979, p. 274

٣٠) انظر جلانفيل دوانى، أنطاكية القديمة، (ترجمة د. إبراهيم نصحى) القاهرة ١٩٦٧، ص ٣١٢ ٣١) انظر محمد فتحى الشاعر، السياسة الشرقية الإمبراطورية فى عهد جستنيان (رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق ١٩٨٤) ص ٥٠-٥١

٣٢) انظر السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ٦٥

٣٣) انظر شارل ديل، تيودورا الممثلة المتوجة، (ترجمة حبيب جاماتى) القاهرة (بدون تاريخ) ص ١٧ وما بعدها، بروكبيوس التاريخ السرى C. Procopius of Caesarea, The Secret History (Tr. By A. Williamson), penguin Books 1966, p. 82ff.

٣٤) انظر Jones, Later Roman Empire, 271

٣٥) انظر السيد محمد يوسف، العرب والملاحة فى المحيط الهندى، ص ١٠٢، ف. هايد، تاريخ التجارة، ص ١٨ وما بعدها

٣٦) انظر تيودور نولدكه، أمراء غسان من آل جفنه، ترجمة قسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٣ ص ١١

٣٧) انظر نينا فيكتورفنا بيجولفسكيا، العرب على حدود إيران وبيزنطة، ترجمة د. صلاح الدين عثمان، الكويت ١٩٨٥ ص ٣٩، G. Graf, Geschichte der Christlich Arabischen Literatur, Roma 1944, Bd. 1, p. 15

٣٨) انظر تيودور نولدكه، أمراء غسان، ص ١٨، د. صالح أحمد العلى، محاضرات فى تاريخ العرب، الموصل ١٩٨١، ط١، ج١، ص ٥٧، Procopius, History of The Wars, Book II, p. 261

٣٩) انظر د. وسام عبد العزيز، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، جامعة المنصورة ١٩٨٢، ص ٩٩

٤٠) الوندال هم إحدى القبائل الجرمانية التى استقرت فى شمال الدانوب، وقد كونت فى شمال أفريقيا مملكة لهم بعد أن استولوا على قرطاجنة فى سنة ٤٣٩م، انظر د. محمد مرسى الشيخ، الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى، الإسكندرية ١٩٧٥، ص ١٢وما بعدها

٤١) القوط الغربيون هم إحدى القبائل الجرمانية الذين استقروا فى شمال البحر الأسود منذ منتصف القرن الثانى الميلادى، ثم استوطنوا أعالى تراقيا فى النصف الثانى من القرن الرابع وكانوا من أتباع المذهب الآريوسي، انظر المرجع السابق

٤٢) انظر أسد رستم، الروم، ص ١٨٠

٤٣) انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ج١ ص ٣٩٦، وسام عبد العزيز، دراسات فى تاريخ وحضارة، ص ٩١

٤٤) انظر المرجع السابق

٤٥) انظر "تاريخ الأزمنة عن الأحداث المدنية والكنسية حتى سنة ١٢٣٤ للمسيح" (بالسُريانية)، نشره J. B. Chabot, CSCO, t. 36, Louvain 1953, p. 192

٤٦) انظر محمد الشاعر، السياسة الشرقية، ص ١٢، محروس عبد القدوس، جوستنيان وسياسة الاسترداد (رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق ١٩٨٦) ص ١٨٦ وما بعدها

٤٧) انظر W. H. C. Frend, The Rise of the Monophysite, p. 261 ff., H. Moss, The Birth of the Middle Ages, Oxford 1935, p. 114

٤٨) انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكية، ج١ ص ٢٧١ وما بعدها

٤٩) تعتبر كتابات تيودور المصيصى المتوفى فى سنة ٤٢٨م، وتيودور السورى المتوفى فى سنة ٣٩٥م الأساس الفكرى لمذهب الطبيعتين المنفصلتين المعروف باسم المذهب النسطورى، وقد تأثر بها نسطور بطريرك كنيسة القسطنطينية (٤٢٨م)، وشايع إيهيبا الرُهاوى آراء نسطور، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ج١ ص ٣٠٧-٣٨٢، ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١ ص ٦٨-٨٤، آدى شير، كلد وآثور، بيروت ١٩١٣، ص ١٣٥-١٣٧

٥٠) نسبة إلى مانى الفارسى، ولد مانى فى سنة ٢١٦م من أمير فرثى من أصل أشكانى، ونشأ فى جنوب بابل، وتأثر بالثنوية الإيرانية فأسس فلسفته القائمة على فكرة الصراع المستمر بين " أُهورمزدا" إله الخير و" أُهريمان" إله الشر، وزعم مانى أنه المخلص أو الفارقليط الذى بشر به المسيح، انظر جيواويد نجرين، مانى والمانوية، (ترجمة د. سهيل زكار) سوريا ١٩٨٥، ط١ ص ٣٩-٦٤

٥١) نسبة إلى آريوس (٢٥٦-٣٣٥م) وهو ليبى المولد، وكان عالما زاهدا يجيد الوعظ والإرشاد، رأى أن الإله وحده هو الآب، أما الأبن عيسى فهو مجرد مخلوق مصنوع أى بشر، وحاول تأكيد وحدانية الله وتخفيض منزلة الأبن فى المسيحية، وقد انتشرت آراءه بسرعة فى الإسكندرية وأسيوط وأنطاكيا وبابل والقسطنطينية، انظر سعيد بن البطريق، كتاب المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت ١٩٠٥، ج١، ص١١٦

٥٢) انظر السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ١٠٢، وسام عبد العزيز، دراسات فى تاريخ وحضارة، ص ٩٩

٥٣) انظر ف. هايد، تاريخ التجارة، ص ٢٥، أسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، ص ١٩٩، Ch. Diehl, Histoire du Moyen Ages, Paris 1944, p. 128

٥٤) انظر د. اسحق عبيد، الدولة بين الدين والبربرية، القاهرة ١٩٧٢، ط١، ص ١٦٣، N. H. Baynes & Moss, Byzantium, Oxford 1962, p. 9

٥٥) انظر وسام عبد العزيز، دراسات، ص ١٠٥،

Vasiliev, History of Byzantine Empire, vol.I,P.170

٥٦) الآفار شعب أسيوى ينتمى إلى جموع الهون والترك، اتجهوا من موطنهم بآسيا الصغرى ووصلوا إلى شواطئ البحر الأسود الشمالية وشمال الدانوب منذ سنة ٥٥٠م، وكانوا محاربين من الطراز الأول، انظر وسام عبد العزيز، دراسات، ص ١٠٠-١٠٢

٥٧) انظر Jones, Later Roman Empire, pp. 304-307

٥٨) انظر R. Grousset, Histoire de l'Armenie, Paris 1947, p. 246

٥٩) انظر Le Beau, Histoire du Bas-Empire, Paris 1930, p. 129

٦٠) انظر المرجع السابق

٦١) انظر Jones, Later Roman Empire, p. 308, Cambridge Medieval History, vol. II, p. 275

٦٢) انظر وسام عبد العزيز، دراسات، ص ١٠٦ وما بعدها

٦٣) انظر نولدكه أمراء غسان، ص ٢٩، أسد رستم، الروم، ص ٢٠٠، Theophylact Simocatta, Historia (ed. by J. Brkker), Bonn 1834, p. 151ff.

٦٤) انظر، السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ١٠٢

٦٥) انظر Theophylact Simocatta, op. cit, p. 152

٦٦) انظر السيد الباز، الدولة، ص ١٠٥،

٦٧) S. Runciman, Byzantium and The Slavs, Byzantium, p. 339

٦٨) انظر Ch. Oman, The Dark Ages, London 1914, p. 151ff.

٦٩) انظر W. H. C. Frend, The Rise, pp. 289-290, 318

٧٠) انظر زكي شنوده، موسوعة تاريخ الأقباط، القاهرة ١٩٦٨، ط١ ص ١٦٧، أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ج١، ص ٣٨٧، W. H. C. Frend, The Rise, p. 318

٧١) انظر المرجع السـابق ص ٢٢٢ Aziz, Atya, A History of Eastern Christianity, London 1968, p. 71, A, Vasiliev, History of Byzantine Empire, vol. I, p. 173, W. H. C. Frend, The Rise, p. 318

٧٢) انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ج١ ص ٣٨٨، p. Allen, Neo-Chalcedonism & The Patriaches of the Late Sixth Century, Byzantion (50) 1980, p. 8

٧٣) انظر إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، (ترجمة نجيب اسكندر) ج٢ القاهرة ١٩٦٩ ص ٥٣٨

ثانيا. الفصل الثاني:
السيرة الذاتية للمؤرخ وآثاره العلمية

١) انظر J. P. N. Land, Joannis Bischof von Ephesos, Leiden 1856, p. 55

٢) انظر اغناطيوس أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السُريانية، هولندا ١٩٨٧ ط٤ ص ٢٦٤، ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، بيروت ١٩٧٠ ص ٢٤٨، اسحق ساكا، السريان إيمان وحضارة، حلب ١٩٨٣ ج٣ ص ٣٦١، E. Honigmann, Eveques et Eveches Monophysite, Louvain 1951, p. 207, J. C. B. Mohr, Die Die Religion in Geschichte und Gegenwart (RGG), Tübingen 1957, Bd. 3, p. 814, I. O. De Urbina, Patrologia Syriaca, Romae 1958, p. 155, E. W. Brooks, Patrologia Orientalis (PO), Paris 1923, vol. 17, p. 3,

٣) انظر J. S.Assemani, Bibliotheca Orientalis Clementinovaticana, Romae 1719, t. II, p. 83

٤) A. Baumstark, Geschichte dre Syrischen Literatur mit Ausschluss der christlich-Pal?stinensischen Texte, Bonn 1922, p. 181, J. P. Margoliouth, Extracts from the Ecclesiastical History of John Bischop of Ephesus, Leiden 1951, p. 5, E. Tisserant, Dictionnaire Theologie Katholic (DTK), Paris 1924, vol. 8, p. 752

٥) انظر "تاريخ الأزمنة لميخائيل الكبير" (بالسُريانية) نشره شابو، J. B. Chabot, Paris 1904, t. 2, fascule 3, p. 377وتاريخ الزمان لابن العبري بالسُريانية، نشره بدج E. W. Budge, London 1897, p. 195

٦) انظر يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي، بيروت ١٨٩٩، مجلد ٤ ج٢ ص ٤٦٨-٤٦٩

٧) هو مؤسس الدير، وكان مبشرا بالمسيحية في شمال سوريا، انظر آرثر فيبوس

٨) A. voeoebus, History of Asceticism in the Syrien Orient, Louvain 1960, p. 232

٩) انظر PO, vol. 18, pp. 207-208, vol. 19, p. 159

١٠) انظر المرجع السابق، مجلد ١٨ ص ٦٠ وما بعدها

١١) انظر نفس المرجع، مجلد ١٧ ص ٥٦

١٢) انظر نفس المرجع ص ٦١-٦٣

١٣) انظر نفس المرجع ص ٦٣-٦٤

١٤) انظر نفس المرجع، مجلد ١٨، ص ٦١٨

١٥) بالسُريانية أي القس أو الشيخ ، انظر المرجع السابق، مجلد ١٩، ص ١٥٩-١٦٣

١٦) دير شهير يقع في شمال آمد، انظر A. Voeoebus, op. cit., p. 233

١٧) انظر vol. 18, p. 612-613 ,

١٨) هو دير صغير ويقع في شرق آمد، انظر A. Voeoebus, op. cit. p. 233

١٩) انظر PO, vol. 18, p. 618-619

٢٠) انظر المرجع السابق

٢١) ولد يوحنا في سنة ٤٨٣م في الرقة، وصار أسقف لتلا في سنة ٥١٩م، وساهم كثيرا في نشر مذهب الطبيعة الواحدة في سوريا، انظر أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص ٥١٠، Frend, The Rise, p. 261

٢٢) انظر PO, vol. 18, p. 521, E. Honigmann, Eveques, p. 207

٢٣) هو شماس آمدى، عانى من الاضطهاد فى سنة ٥٢٠م، وطرده الملك جستين الأول إلى الإسكندرية، انظر PO, vol. 17, pp. 188-189

٢٤) انظر E. Honigmann, op. cit

٢٥) انظر PO, vol. 17, p. 210

٢٦) انظر ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، ص ١١٥، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٨، Frend, The Rise, p. 269

٢٧)انظر ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص ٢٤٩- W. Wright, A Short History of Syriac Litera-ture, p. 102

٢٨) انظر "تاريخ الكنيسة" لابن العبرى (بالسُّريانية) J. Lamy & J. B. Abloos, Chronicon Eccle-siasticum, Louvain 1872, p. 195

٢٩) انظر "تاريخ الأحداث التى وقعت بالعالم" (بالسُّريانية) E. W. Brooks, CSCO, Louvain 1953, p. 135

٣٠) انظر تاريخ الكنيسة ليوحنا الآسيوى (بالسُّريانية) ص ٥١

٣١) انظر PO, vol. 19, p. 224

٣٢) تاريخ الأحداث التى وقعت بالعالم" (بالسُّريانية) ص ١٧٤

٣٣) انظر D. Stiernon, "Jean d' Ephes", Dictionnaire de Spirtualite, Paris 1974, t. 8, p. 484

٣٤) كان هذا القصر مقرا للملك هرمزد أخو شابور الثانى (٣٠٩-٣٧٩م)، انظر نينا بيجولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ٢٤٩، Procopius, Buildings, ed. by H. B. Dewing, p. 45

٣٥) انظر PO, vol. 18, p. 677

٣٦) انظر المرجع السابق، مجلد ١٩، ص ٢٢٤ وما بعدها

٣٧) انظر أسد رستم، الروم، ص ٢١٤، Frend, The Rise, p. 286

٣٨) تقع مدينة تراليس بإقليم ليديا بآسيا الصغرى، انظر Real Encyclopaedie, Stuttgart 1907, bd. 12, p. 2093

٣٩) انظر "تاريخ الكنيسة" ليوحنا الآسيوى (بالسُّريانية) ص ١٦٩-١٧٠

٤٠) انظر J. P. N. Land, Joannis von Ephesos, p. 55

٤١) انظر "تاريخ ميخائيل الكبير" (بالسُّريانية) ج٢ مج ٣ ص ٣٧٧

٤٢) انظر A. Baumstark, Geschichte der Syrischen Literatur, p. 181

٤٣) تقع فريجية بغرب آسيا الصغرى، وقد وردت فى كتب العرب القديمة باسم أفروجيا، د. أحمد زكى بك، قاموس الجغرافية القديمة، القاهرة ١٨٩٩، ط١، ص ١٢

٤٤) ظهر مونتانوس فى منتصف القرن الثانى، وادعى لنفسه النبوة وزعم أنه المخلص، انظر أوسابيوس القيصرى، تاريخ الكنيسة، ص ٢٦١-٢٦٨

٤٥) انظر "تاريخ ميخائيل الكبير" (بالسُّريانية) ج٢ مج ٢ ص ٣٢٣

٤٦) ولد يعقوب البرذعى فى مطلع القرن السادس فى قرية تل موزلت بسوريا، وكان يجوب الأمصار داعيا لمذهب الطبيعة الواحدة مرتديا ثيابا بالية، ومن هنا عرف بالبرذعى، توفى فى سنة ٥٧٨م، انظر ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص ٢٤٦

٤٧) انظر PO, vol. 19, p. 240

٤٨) هو بطريرك الإسكندرية الثالث والثلاثون، تولى رئاستها فى سنة ٥٣٦م، انظر منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٦٦

٤٩) ولد يوحنا فى سنة ٤٩٠م فى الإسكندرية، وتوفى فى سنة ٥٦٥ أو ٥٧٥م، وكان مونوفيزيا متأثرا بفلسفة أرسطو، وقد خلط بينها وبين مذهبه، وقال أن للمسيح ثلاث طبائع لذا عرف مذهبه بالثلاثية، وقد أسماه العرب يوحنا النحوى الاسكولائى، انظر ابن النديم، الفهرست، الجزء الثانى، طبعة ليبزج ١٨٧٢، ص ٢٥٠-٢٥٤، LTK, Bd. 5, p. 1070

٥٠) ولد يوحنا فى سنة ٥٠٣م بقرية سرمين بأنطاكيا، ولذا نسب إليها، وقد ألف موجزا للقوانين البيعية (الكنسية)، انظر يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ص ٤٨٤-٤٨٥ LTK, Bd. 5, p. 1080

٥١) انظر عن مؤلفات يوحنا، ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص ٢٥٢، يوسف حبى، "التواريخ السُريانية"، مجلة المجمع العلمى العراقى، بغداد ١٩٨١-١٩٨٢، مجلد ٦ ص٧٠

٥٢) انظر J. P. N. Land, Anecdota Syriaca, vol. II, Leiden 1862, pp. 1-288

٥٣) انظر Patrologia Orientalis, vol. 17-19, Paris 1923-1926

٥٤) انظر E. Tisserant, DTK, p. 753

٥٥) انظر عن تاريخ الكنيسة وأهميته J. Assemani, Biblioteca Orientalis, t. II., pp. 84-85, R, Duval, La Litterature Syriaque, p. 192

٥٦) انظر W. Cureton, The Third part of the Ecclesiastical History of John Bischop of Ephesus, first Edition, Oxoford 1853

٥٧) انظر R. P. Smith, The Third part of the Ecclesiastical History of John Bischop of Ephesus, first translation, Oxoford 1860

٥٨) انظر J. M. Schonfelder, Die Kirchengeschichte des Joannes von Ephesos, München 1862

٥٩) انظر E. W. Brooks, Iohannis Ephesini Historiae Ecclesiasticae, Pars Tertia, CSCO, Louvain 1935-1936

٦٠) انظر جان شابو، اللغات الآرامية وآدابها، (ترجمة أنطون شكرى لورنس) القدس ١٩٣٠، ص ٤٣

٦١) انظر هارى المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، (ترجمة د. محمد عبد الرحمن برج) القاهرة ١٩٨٤، ص ١٣١ وما بعدها

٦٢) انظر يوسف حبى، تواريخ سريانية من القرون ٧-٩ (المجمع العلنى العراقى) بغداد ١٩٨٢، ص ٥٠

٦٣) انظر "تاريخ ديونسيوس التلمحرى" (بالسُريانية) F. Nau, Revue de l'Orient Chretien, Paris 1899, p. 1

٦٤) انظر يوسف حبى (مترجم) تاريخ إليا برشينايا، بغداد ١٩٧٥، ص ١١

٦٥) انظر "تاريخ ميخائيل الكبير" (بالسُريانية) مج ٢ ج٢ ص ٣٧٧، انظر "تاريخ الزمان لابن العبرى (بالسُريانية) ص ٢٩ عامود ١

ثالثا. الفصل الثالث

الترجمة العربية للكتب الثالث والخامس والسادس

أولا: الكتاب الثالث

١) انظر W. Wright, Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, vol. 3, London 1872, p. 1061ff.

٢) المقصود باتحاد الكنائس هو محاولات الإمبراطور جستين تسوية الخلافات المذهبية بين أتباع المذهب الخلقدونى وبين أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، وقد انتهت تلك المحاولات بالفشل، انظرFrend, The Rise of Monophysite Movement, p. 317ff

٣) اللفظة Palium لاتينية الأصل وتعنى درع الرئاسة المخولة لبطاركة الكنيسة منذ القرن الرابع الميلادى، انظر The New Catholic Encyclopedia, vol. 3, p. 947

٤) كانت صوفيا ذات شخصية قوية بدرجة تكفي للقيام بدور فعال خلال عهد زوجها، وإبان مرض جستين استطاعت اختيار القيصر مباشرة، انظر A. Cameron, The Empress Sophia, p. 5

٥) هنا إشارة إلى ما استفاده المسيحيون إبان عهد قسطنطين الكبير (٣٠٦-٣٣٧م)، وخاصة منشور التسامح الدينى، انظر نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ج٢، ص ٦٢، رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٢، ص١٠٦

٦) هو هرمزد أخو شابور الثانى ملك الفرس (٣٠٩-٣٧٩م) وقد هرب إلى القسطنطينية فى سنة ٣٢٣م، وقدم خدمات عديدة لبيزنطة فى حربها ضد فارس، وأصبح مستشارا للملك قسطنطين الكبير، وقد بنى له قسطنطين هذا القصر فى العاصمة، انظر بيجولفسكيا، العرب على حدود إيران وبيزنطة، ص ٢٤٩، Procopius, us,Buildings, p. 44, J. B. Bury, History of Later Roman Emipre, vpl. I, p. 74ff

٧) تقع دفنة على مسافة خمسة أميال جنوبى أنطاكيا، وهو إحدى المدن الشهيرة قديما، وكان بها معبد للإله أبوللو علاوة على الحمامات الخاصة، انظر جلانفيل دوانى، أنطاكيا القديمة، ص ٢٧، ٥٩

٨) كان فريق الحلة الخضراء والزرقاء من الأحزاب الرياضية فية الملعب الرومانى، وكانا يقومان بعمل الشرطة وإصلاح سور العاصمة. وكان الخضر من أرباب الحرف والصنائع. أما الزرق فكانوا من الطبقة الأرستقراطية اليونانية الرومانية. وقد أيد الخضر المونوفيزية، وأيد الزرق الخلقدونية الحكومية. وكان الفريقان يؤلفان جمعيات ينعكس نشاطها على التحزب الذى انتاب الطبقات الاجتماعية، انظر أسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، ص ١٧٠، السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ٥٩-٦٠، نورمان كانتور، الإمبراطورية، ص ١٦، إدوارد بروى وآخرون، تاريخ الحضارات العام، (ترجمة أسعد داغر وآخرون) بيروت ١٩٨٦، ط٢ مجلد ٣ ، ص ٤٧، A. Cameron, Heresies & Fictions (Byzantion) t. 64, p. 113

٩) مأخوذة عن رسالة بولس لأهل رومية إصحاح ٢ فقرة ٥ "لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تدخر غضبا لنفسك فى يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله".

١٠) يرى كاميرون أن هذا المنزل ربما بناه جستين ما بين ٥٦٥-٥٦٧م وقد أسماه باسم زوجته، A. Cameron, Nots on the Sophia & the Sophianae, Byzantion, t. 37, p. 3ff

١١) هى الأموال التى كان الإمبراطور يوزعها على الجمهور أينما ظهر على الملأ، واشتقت تسميتها من اسم القنصل Hy pati انظر، R. P. Smith, The Third Part of the Ecclesiastical History, p. 185

١٢) هى هبات الإمبراطور لضباط الجيش وأهل العاصمة، انظر J. M. Margolioth, Extracts from the Eccl. His., p. 97

١٣) هى فى الأصل من الفارسية "دريك" أى الذهبى، وهى عملة سكها الملك داريوش (٥٢١-٤٨٦ ق. م) وكانت من الذهب الخالص، وكانت أول عملة يتم سكها فى إيران، وكانت من العملات المتداولة أيضا فى الأقاليم الرومانية انظر، حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص ١٠١

١٤) الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) ينحدر من أب اشتغل بالزراعة فى إيلريا، وقد اشتهر بإصلاحاته الإدارية، وهو الذى وضع أساس الحكومة الرباعية إذ جعل له نائبا برتبة قيصر وكذلك نائبا لإمبراطور الغرب، كما أصلح نظام الدولة النقدى، وذكر عنه المؤرخ أوسابيوس القيصرى أنه أصدر أمرا بهدم الكنائس وحرق الكتب المقدسة وطرد جميع ذوى المناصب الرفيعة فى الدولة من المسيحيين فى سنة ٣٠٣م، ثم أمر بسجن رؤساء الكنائس، انظر رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ط٢، ج٢، ص ٤٢-٤٣، يوسابيوس القيصرى، تاريخ الكنيسة، (ترجمة مرقس داود) القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٩٩

١٥) كنيسة " Hagia Sophiaآجيا صوفيا" أى الحكمة المقدسة، شيدها الإمبراطور جستنيان ما بين سنة ٥٣٢-٥٣٧م، وقد بنيت على شكل القبة، وهو الشكل المعمارى السائد فى الأبنية الدينية فى الجزيرة وفارس أنذاك، انظر ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١، مجلد ٤، ص ٢٦٢-٢٦٥، كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية فى مصر، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٠٩

١٦) السمبطيون هم أتباع بولس السميساطى أسقف أنطاكيا (٢٦٠-٢٦٨م)، أصبح أسقف لأنطاكيا فى عهد ملكة تدمر زنوبيا (الزباء أو زينب)، رأى بولس أن الرب لم يلد ولم يولد، وأن المسيح إنسان مخلوق من الإله حلت فيه المحبة، ولذا سمي ابن الله، وأنكر بولس الروح القدس. ويعتبر بولس لذلك من دعاة التوحيد فى المسيحية، انظر سعيد البطريق، التاريخ المجموع، ص ١١٤، الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات فى النصرانية، ص ١٥١،

١٧) ذكر المؤرخ ثيوفلاكت سيموقتا أن طيباريوس أصدر قانونا فى ١٤ يناير سنة ٥٧٥م يقضى بخفض الضرائب بنسبة الربع عن كل سنة، Theophlact Simocatta, Historia, p. 34

١٨) كان المواطنون بمقتضى هذه الضريبة يحصلون على الخبز فى العاصمة، انظر المرجع السابق

١٩) هو الإمبراطور قسطنطين الأكبر (٣٠٦-٣٣٧م).

٢٠) انظر Theophlact Simocatta, Historia, p. 34

٢١) هذا بالنسبة للعملة الذهبية التى تسمى "سوليدس"، وذكر المؤرخ ثيوفلاكت أن صورة الإمبراطور جستين والإمبراطورة صوفيا فى كامل ملابسهما الملكية كانت تظهر على العملة الفضية، انظر Theophlact Simocatta, Historia, p. 33-34

٢٢) تشير العبارة إلى أن يوحنا عرف تاريخ الكنيسة لأوسابيوس القيصرى وقصة حلم قسطنطين، انظر تورمان كانتور، التاريخ الوسيط ص ٦٢ وما بعدها

٢٣) استمر يوحنا فى زيارة لاعاصمة، وفى سنة ٥٦٢م ساعد الشرطة فى القبض على الأطباء والمحامين الوثنيين، انظر W. Wright, A Short History of Syriac Literature, p. 104, Flich & Martin, Histoire de l'eglise, p. 444

٢٤) المقصود هنا الأكليروس، وهم رجال الدين وهم ثمانية درجات: حافظ الباب، طارد الأرواح الشريرة، المقرئ، الشماس، مساعد الشماس، الكاهن، القس، الأسقف. انظر The New Catholic Encyclopedia, vol. 3, p. 948

٢٥) كان مريانوس من أخلص مستشارى الإمبراطور أنسطاس، بدأ حياته رجل دين وقد احترق منزله فى سنة ٥١٢م، وكان مريوناس هو الحاكم الإمبراطورى لإقليم الشرق فى سنة ٥١٩م، انظر J. Bury, His. of Lat. Rom. Emp., pp. 439-443

٢٦) يسمى الخبز والخمر سر التناول في الكنيسة، وهو أحد أسرار الكنيسة. انظر شارل جيتيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، (ترجمة عبد الحليم محمود) القاهرة ١٩٨٥،ط٢، ص ٢٠٣، أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٤٥، ٦٤

٢٧) الأيقونة تعنى الصورة والمثال، ومعناها صورة القديس التى توجد فى الكنيسة، انظر البطريرك شنودة الثالث، الأيقونات القبطية، مجلة الهلال (١٩٨٨)ص ٦٦ وما بعدها

٢٨) هنا إشارة إلى ما ذكره يوحنا عن يوحنا النحوى في القسن الثانى من تاريخه الكنسى الفصل ٥١ ص١١٧

٢٩) تنتمى هذه الكنيسة إلى إنشاءات القرن الخامس الميلادى، وقد شيدت بوليكيريا زوجة الإمبراطور مارقيان (٤٥١-٤٥٧م) ثلاث كنائس باسم "والدة الإله (مريم) ليس بعيدا عن كنيسة الحكمة المقدسة، انظر A. Cameron, The Artistic Patronage of Justin II, Byzantion, t. 50 (1980) p. 77ff, Bury, op. cit, p. 238

٣٠) أى اتحاد ناسوت ولاهوت المسيح فى الفكر المسيحى الشرقى. (المترجم)

٣١) تنسب الهرطقة الأوطاخية إلى الراهب القسطنطينى أوطيخا (٣٧٨-٤٥٥م)، أفرط فى تأييد مذهب الأسكندرية كرها فى نسطور والنسطورية، وقد تم إدانته فى مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٥١م، ثم بأه مجمع أفسس الثانى فى سنة ٤٤٩م، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٣٢٨-٣٣٣

٣٢) وردت هذه العبارة لأول مرة فى بنود كيرلس السكندرى سنة ٤١٢م التى كتبها ضد نسطور، انظر أسد رستم، المرجع السابق، ص ٣٥١، جلانفيل دوانى، أنطاكيا القديمة، ص ٢٩، منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢١٨

٣٣) الليتورجية هى مجموعة صلوات القداس، انظر د. ماجدة عماد الدين سالم، أضواء على الدخيل من الألفاظ اليونانية فى السُريانية والعربية، القاهرة ١٩٨٦ ص ٤٨

٣٤) هى فرقة دينية اتبعت آراء أريوس، ثم انتسبت لمقدونيوس أسقف العاصمة (٣٤١-٣٤٦م)، أنكرت الإلوهية فى الروح القدس. انظر الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات، ص ١٥٦-١٥٧، رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٤ ص ٦٥-٦٦

٣٥) نسبة إلى مرقيون المتوفى فى سنة ١٦٠م، والذى زعم أن الآلهة ثلاثة: صالح وطالح وعادل، وقد تأثر بلفلسفة العرفان أو الغنوسية والثنوية الفارسية والديانة اليهودية والعقيدة السامرية، انظر ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص ١٢٢، الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات، ص ١٥٣

٣٦) مأخوذ عن إنجيل متى إصحاح ٢٤ فقرة ٢١ "لأنه سيكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون".

٣٧) ترجم روبرت باينى سميث العبارة بمعنى أتباع الطبيعة الواحدة المتميزون، وهى إحدى دلالات الكلمة التى تعنى: المنفصلون، المنشقون والمتميزون، انظر Liddel & Scott, A Greek-English Lexicon, Oxford 1951, vol. I, p. 399

٣٨) اللفظة يونانية بمعنى الحاكم المطلق، وكان القصرالكبير يقع بالقرب من الكنيسة الكبرى وساحة الملعب، انظر A. Cameron, Artistic Patronage, p. 72ff

٣٩) هو القصر الذى أقام فيه جستين عندما كان موظفا بالبلاط الملكى ووليا للعرش إبان عهد جستنيان، انظر A. Cameron, op. cit. p. 72ff, and Nots on the Sophae, p. 14ff

٤٠) زخرت العاصمة بالعديد من التماثيل لجستين وصوفيا وأفراد عائلته، خاصة فى ميناء صوفيا وفى مقدمة البلاط الملكى، انظر A. Cameron, Artistic patronage, p. 70ff

٤١) هى حمامات ضخمة كانت بالشارع الأوسط من القسطنطينية، بناها الإمبراطور سبتيموس سفروس (١٩٣-٢١١م)، وسبب شهرة تلك الحمامات وجود تمثالان احدهما لإله الشمس "مثرا" والثانى لأديب اليونان المبجل هوميروس، انظر ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية (ترجمة عبد العزيز جاويد) القاهرة ١٩٦١ ص ٢٢١

٤٢) الشهداء الأربعون أربعين جنديا رومانيا تحولوا إلى المسيحية واستشهدوا فى سبسطية بأرمينية إبان اضطهاد إمبراطور الشرق ليكينوس (٣٢٠-٣٢٣م) للمسيحيين، والأخبار المذكورة عنهم ما زالت غير ثابتة. وهناك عدة أماكن حملت اسم الشهداء الأربعين منها دير بقرب رأس العين، وكنيسة آمد، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ض ١٨٤ وما بعدها، Procopius, Buildings, p. 199, F. L. Cross, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 1235

٤٣) أول قبيلة عرفتها الإمبراطورية الرومانية من السلاف تسمى الصقالبة، وكان منشؤهم القلاع الواقعة غرب روسيا، وقد احتلوا الإقليم الشرقى الممتد من جبال الألب حتى شبة جزيرة البلقان فى مطلع القرن السادس، كما استوطنوا جنوب الدانوب إبان حروب جستنيان الاستردادية، انظر S. Runciman, Byzantium & the Slave, Byzantium, ed. by H, Baynes & Moss, p. 338ff

٤٤) اتبع الإمبراطور جستنيان سياسة شراء البرارة بالمال، واتفق معهم على منحهم إعانة مالية سنوية فى سنة ٥٥٨م، أما جستين الثانى فرفض ذلك وترتب عليه أن تسيد الآفار أوربا الوسطى واستمروا فى تهديد حدود الإمبراطورية الشرقية، انظر S. Runciman, op. cit, D. Oblonesky, Byzantine Commonwealth, pp. 48-49, 90

٤٥) أطلق اليونان هذه التسمية ومعناها مدينة الشمس، والأسم السامى للمدينة هو بعلبك: أى بعل البقاع (صاحب أو سيد البقاع)، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٢٠١ و٣٦٨، فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (ترجمة جورج حداد) بيروت ١٩٥٨ ص ٢٤٤، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١ ص٤٥٤

٤٦) تمرد السامرة أيضا ف عهد زينون فى سنة ٤٨٤م، إذ احرقوا كنيسة قيصرية. إلا أن زينون أخمد ثورتهم وحرمهم الاشتراك فى الجيش الرومانى، ثم قاموا بثورة فى سنة ٥٢٩م رغبة فى الانفصال عن بيزنطة وكان عدد المتمردين خمسين ألفا وقد عرضوا على كسرى أن يسلموه فلسطين إذا ساعدهم فى ثورتهم. وبعد فشل ثورتهم تحول كثيون منهم إلى المسيحية، انظر سد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ١٨٥ وما بعدها، وانظر الموسوعة اليهودية .Encyclopedia Judaica, Jerusalem 1972, vol. 4, p. 727ff

٤٧) زيوس ZEUS هو كبير آلهة اليونان، ورئيس مجلس الآلهة المعروف بالأولب، وهو إله السماء فى الأساطير الإغريقية، انظر محمد غلاب، الأدب الهلينى، القاهرة ١٩٥٢ ص ٧١، عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، ج١ القاهرة ١٩٨٢ ص ٦٨، أحمد عتمان، الشعر الإغريقى، عالم المعرفة عدد ٧٧ الكويت ١٩٨٤ ص٨٩

٤٨) وردت الجملة فى الترجمة الإنجليزية "وتوجه إلى منزل الأسقف"، انظر R. P. Smith, Third Part, p. 211

٤٩) مأخوذه عن سفر صموئيل الأول إصحاح ٢ فقرة ٣ "لا تكثروا الكلام العالى المستعلى، ولتبرح وقاحة فى أفواهكم الآن لأن الرب عليم وبه توزن الأعمال".

٥٠) خلف جريجور أنسطاسيوس (٥٥٩-٥٧٠م) على كنيسة أنطاكيا، بعد أن اتهمه جستين بتبذير الأموال، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٣٨٥ وما بعدها

٥١) اعتلى أولوجيوس أسقفية الإسكندرية على الملكيين الخلقدونيي (٥٨١-٦٠٨م)، وقد صار رئيس أساقفة الإسكندرية فى عهد الإمبراطور فوقاس (٦٠٢-٦٢٠م)، انظر منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٨٧، J. Maspero, Histoire des Patriarches d'Alexandrie, p. 250

٥٢) زيت الميرون يستعمل عند رسامة الأساقفة، وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة، انظر اسحق ساكا، السريان إيمان وحضارة، ج١ ص٤٧

٥٣) أبوللون هو إله الشمس والضوء والشعر عند الإغريق، انظر محمد غلاب، الأدب الهلينى، ص٧٤

٥٤) تولى تراجان (٩٧-١١٧م) الحكم الروماني، وأعاد إلى روما مجدها القديم، واهتم بالحدود الشرقية للدولة الممتدة من البحر الأسود حتى شبة جزيرة سيناء، وكان متسامحا مع المسيحيين أيضا، انظر يوسابيوس القيصرى، تاريخ الكنيسة، ص ١٦٦، رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ص ٣٣، جيمس بريستد، العصور القديمة، ص ٥٩٤ وما بعدها

٥٥) المعمودية هي أول أسرار المسيحية، وهي الدليل على دخول الفرد فيها، ويرى شارل جينبيير أن سر التعميد متأثر بروح الأسرار الهللينية كثيرا، انظر اسحق ساكا، السريان،ج١، ص ٤٧، شارل جينبيير، المسيحية، ص ١٩٥

٥٦) تولى اسطوخيوس أسقفية القدس من سنة ٥٤٤م واستمر في منصبه حتى سنة ٥٦٣م ، انظر يوسف الدبس، تاريخ سورية الدينى والمدنى، ص ٤٧٤ وما بعدها

٥٧) اللفظة يونانية ومعناها فى اللاتينية مخزن أو حجرة صغيرة، واللفظة السُريانية تعنى منزل الراهب وجمعها قلايات أو قلالى، انظر اغناطيوس برصوم، اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم، ص ٥٠١

٥٨) استشهد مار سرجيس، وكان ضابطا فى الجيش الرومانى إبان اضطهاد جاليروس للمسيحيين في عهد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ج٢، ص ١٧٤

٥٩) كان قصر هيدمون يقع فى الشطر الغربى من العاصمة، وقد بنى الإمبراطور جستنيان مزار ليوحنا المعمدان الى جواره، انظرProcopius, Buildings, p. 55, 73

٦٠) مأخوذ عن سفر أشعيا إصحاح ٣ فقرة ١١ "ويل للشرير شر لأنه مجازاة يدية تعمل به".

٦١) تقع قاريا بجنوب غرب آسيا الصغرى، وقد صارت جزءا من الإمبراطورية الرومانية فى سنة ١٢٤ ق. م، انظر Oxford Classical Dictionary, p. 166

٦٢) تقع ليديا بغرب آسيا الصغرى، بحدها من الجنوب قاريلا ومن الشرق فريجيا، وهى أول بلد سُكت فيه العملة، انظر Ibid, p. 522

٦٣) اللفظة يونانية فى الأصل، وقد دخلت الطقس السريانى فى القرن الخامس الميلادى، انظر اسحق ساكا، السريان إيمان وحضارة، ج٣، ص ٣٠١

٦٤) ذكر هاول سميث أن الوثنيين والمسيحيين استحوذ عليهم الاعتقاد بأن الشياطين تتربص بهم لتؤذيهم، انظر A. D. Smith, A History of Roman Catholic Doctrine and Practice, London 1950, p. 85

٦٥) تولى يوحنا النذير رئاسة كنيسة العاصمة فى ١١ أبريل سنة ٥٨٢م، وكان ملتزما بعادات المسيحيين الأولى إذ كان عليهم الصلاة ثلاث مرات يوميا: الساعة التاسعة صباحا، والثانية عشر ظهرا ثم الثالثة ظهرا، انظر جراسيموس اللاذقى، تاريخ الانشقاق، ج١ ص ٢٩٦، أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٤٦

٦٦) انظر ثيودور نولدكه، أمراء غسان، ص ٢٤-٣١

٦٧) الطائيين بالسُريانية، المقصود منها الأعراب فى ذلك الوقت أو العرب عموما، انظر جواد على، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣ ط٣ ص ١٧٣

٦٨) كان ماجنوس كونت المنح المقدسة فى عهد جستين الثانى، وكان حاكما لأنطاكيا، انظر نينا بيجولفسكيا، العرب على حدود إيران، ص ٢٤٩

٦٩) حرين بالضم ثم لاكسر والتشديد، بلد بالقرب من آمد، وورد فى تاريخ الرُها (بالسُريانية) لسنة ١٢٣٤م أنها قرية على مشارف حمص، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مجلد ٢ ص٢٥٢، Chronicon anonymum, p. 210

٧٠) Patric البطريق، كلمة لاتينية (رومانية) أى قائد الجيش (المترجم)

٧١) انظر نولدكه، أمراء غسان، ص ٣١ حاشية ٧٩

٧٢) ذكر جورجي زيدان أن والد النعمان هو الحارث الملقب بأبى كرب فى المصادر العربية، وذكر ابن قتيبة أن للنعمان بن الحارث أباكرب ثلاثة أبناء أحدهم يدعى النعمان بن النعمان، انظر حمزة الأصفهانى، تاريخ سنى ملوك الأرض، ص ٧٨-٨٠، ابن قتيبة، المعارف، القاهرة ١٩٦٠ ص ٦٤٢ وما بعدها، جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ٢١٧

٧٣) بصرى بالضم إسم موضعين حدهما بالشام من أعمال دمشق، وبصرى أيضا من قرى بغداد، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مجلد ١ ص ٤٤١

٧٤) ورد فى تاريخ الرُها لسنة ١٢٣٤م أن طيباريوس أمر مجنا بالقبض على أبناء المنذر الأربعة وأن يصيرهو (أى مجنا) ملكا على العرب، انظر Chronicon annymum, p. 210ff

٧٥) الفصل مفقود.

٧٦) قسم جستنيان مصر إلى خمس دوقيات: مصر، اوجتامنيكا، أركاديا، طيبة، ليبيا. وكانت مصر هى مصدر القمح للإمبراطورية الرومانية، وكان المقصود بمصر آنذاك الإسكندرية، انظر السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ٨٢، ١٢٧، ١٥٥-١٥٦

٧٧) طيبة عاصمة مصر القديمة، وأسماها الإغريق ديوسبوليس أيضا، وكانت تشمل جنوب مصر من الأقصر حتى جزيرة فيلة، وكانت قسمين: طيبة العليا وطيبة السفلى، انظر الموسوعة المصرية، مجلد ١ ج٢ "تاريخ مصر القديمة وآثارها"، ص ٥٨١

٧٨) اللفظة يونانية ومعناها نوع من الشمام يشبه التفاح، انظر J. Smith, A Compendious Syriac Dictionary, p. 278

٧٩) الفصل مفقود.

٨٠) الفصول ٤٨ و٤٩ و٥٠ مفقودة.

٨١) هوأتباع مجمع خلقدونية ٤٥١م، والذين اقروا بطبيعتين فى المسيح، وكان هذا المجمع سبب انشقاق كنائس الاسكندرية وسوريا عن كنيستى روما والقسطنطينية، انظر هس، العالم البيزنطى، ص ١٠٦ وما بعدها،

٨٢) ذكر المؤرخ ابن العبرى أن سويروس الأنطاكى وضع كتبا فى تصحيح القول بالطبيعة الواحدة، وقد انقسم المونوفيزيون بعد ذلك إلى أتباع سويروس وأتباع يوليان الهلكسارى الذى زعم أن المسيح لم يصلب ولم يمت وإنما كان ذلك خيالا، انظر ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، صححه أنطون صالحانى، بيروت ١٩٨٩ ص ١٤٧، أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٣٦٤-٣٧٢

٨٣) الفصل مفقود.

٨٤) انظر تاريخ الرُها لسنة ١٢٣٤م Chronicon annymum, p. 312ff

٨٥) كان منفى المنذر فى جزيرة قبرص، انظر أسد رستم، كنيسة أنطاكيا، ص ٣٩٦

٨٦) ربما المقصود مذهب النساطرة لأنه كان منتشرا فى فارس.(المترجم)

ثانيا الكتاب الخامس

١) تسمية المثلثين أطلقها أتباع المونوفيزية على أتباع يوحنا فيليبونوس، انظر Frend, Rise of Monophysite Movement, P. 289ff, LTK, bd. 5, p. 1070, Enclopedia of Religion, Vol.12,p.463 p.463

٢) تزوج تاوتا جوفيانا ابنة القائد الشهير بليزاريوس ، انظر

٣) ولد نرسيس بأرمينية في سنة ٤٧٨م، وكان رئيس حجاب جستنيان، واشترك فى القضاء على ثورة نيقا فى سنة ٥٣٢م . انظر أسمت غنيم ، إمبراطورية جستنيات ، ص ١٨

٤) استمر الحوار سنة كاملة بين أتباع الطبيعة الواحدة والمثلثين ، لكن الإمبراطور جستين فشل فى التقريب بين وجهات نظرهم فى سنة ٥٦٦م ، انظر أسد رستم ، كنيسة أنطاكيا، ص ٣٨٧

٥) كان فوتيوس ابن أنطونيا زوجة القائد الشهير بليزاريوس، انظر

٦)أوليس أو أولسى تل صغير ببلاد اليونان ، يواجه شاطئ أوريبوس ، انظر

٧) لف يوحنا كتابه الأول بعنوان """«قدم العالم» وهو يعارض هذه القضية ، ويورد فقرات من التوراة والكتاب تؤيد العقيدة بالعقل . وألف كتابا آخر عن حداثة العالم وكان مرجعه الأساسى هو التوراة ومفسريها المسيحيين ، واعتمد على الفلسفة اليونانية أيضا ، انظر يوسف كرم ، الفلسفة اليونانية ،ط٣ ص٣٠٤

٨) تقع بامفيلية على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، وكانت مستعمرة لخليط من اليونان . وكانت خاضعة للفرس حتي انكسار الإسكندر الأكبر ، انظر

٩) الأكيفاليون أى الذين بل رئيس ، انفصلوا عن أتباع الطبيعة الواحدة وأيدوا مرسوم الاتحاد الذى أصدره الإمبراطور زينون سنة ٤٨٢م ،وتجنبوا الخوض فى بحث طبيعة المسيح . انظر منسى يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٢٨١– ٢٨٢ ، أسد رستم، كنيسة أنطاكيا ، ص ٤٣٣

١٠) مأخوذ عن رسالة بولس لأهل أفسس إصحاح ٢ فقرة ١٤ «لأنه هو سلامنا الذى جعل الأثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط»

١١) الجوهر ، يطلق على كل شئ قائم بذاته ، وقد نقله المتفلسفون من الجمهور استخدموه بمعنى الحجارة الثمينة ، انظر يوسف كرم ، المعجم الفلسفى ، ص ٥٩

١٢) الطبيعة ، لها مدلول عام علي جميع الموجودات بقوانينها ، ومدلولها الخاص بالنسبة لكل واحد من الموجودات ، انظر المرجع السابق ، ص ٩٩– ١٠٠

١٣) الأقنوم ، ويقصد به الجوهر والأصل والشخص ، وأقانيم النصارى ثلاثة وهى الأب والابن والروح القدس ، المرجع السابق ، ص ١٩

١٤) اللفظة يونانية الأصل بمعنى عام أو عالمى ، انظر

١٥) هو الأسقف بطرس بطريرك الاسكندرية الرابع والثلاثون (٥٦٨– ٥٧٠م) ، انظر منسى يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ٢٧٠– ٢٧١

١٦) عرف أتباع كونون باسم الكوثونيون ، وهم يعتقدون أن جسد الإنسان فان بحسب هيئته فقط ، انظر أسد رستم ، كنيسة أنطاكيا ، ص٣٨٦

١٧) مدة حكم جستنيان ثمان وثلاثين عاما ، انظر

١٨) يذكر ج . بيورى ، أن بلاط هبدمون تم فيه تنصيب كل أباطرة بيزنطة ، انظر

١٩) نقل ابن العبرى خبر حمل الملكة من يوحنا الآسيوي حرفيا ، انظر J.B.bury,History 0f Roman Empire ,P.80

٢٠) ولد ثيودسيوس الصغير أو الثانى للإمبراطور أركاديوس (٣٩٥– ٤٠٨m) ، وتولى العرش فى سنة ٤٠٨ حتى ٤٥٠م، وتميز عهده بازدهار الحالة العلمية، إذ أغفى ٣١ عاما من الضرائب وازدهرت الدراسة فى مدرسة القانون بالقسطنطينية وبيروت ، انظر

٢١) يسمى هذا الدير «دير التوبة» وتم تخصيصه للعاهرات التائبات ، انظر ول ديورانت، قصة الحضارة ، ج١ مجلد ٤ ص ٢١٥

٢٢)مأخوذ عن إنجيل متى إصحاح ٥ فقرة ٢٦ «الحق أقول لك لاتخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير»

٢٣) مأخوذ عن إنجيل متى إصحاح ٥ فقرة ١٣ «أنتم ملح الأرض. ولكن إذا فسد الملح فبماذا يملح ، لا يصلح بعد لشئ ، إلا أن يطرح خارجا ويداس من الناس».

٢٤) يبدو أن الكلمة في الأصل زوماsauma ونقلها المترجم السرياني إلى زوعما، حيث نقل الفتح في الأصل إلى عين في السرياني. (المترجم)

٢٥) ربما المقصود برسيماس ، وهو شاب سوري وكان تاجرا للفضة والذهب ، وكان علي جانب كبير من الثراء، وقد صار وزيرا للمالية في عهد جستنيان وبمساعدة زوجته ثيودورا، انظر شارل ديل ، ثيودورا الممثلة المتوجة، ص٩٢ وما بعدها ،

٢٦) هناك رأيين حول درجو قرابة دومتيان لموريقيوس، الأول يرى أنه ابن بطرس شقيق موريقيوس ، ويذهب الثاني إلى أنه ابن لعم والدى موريقيوس، انظر وفاء عبد الحميد ، الإمبراطور موريس، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس ١٩٨٨، ص ٤٤ وما بعدها

٢٧) كانت أرابيسوس حتى القرن الخامس مدينة صغيرة تابعة لقبادوقيا، ثم أصبحت تابعة لأرمينية. انظرJones, cities p. 183

٢٨) انظر Baynes, Byzantium, p.71

٢٩) أقامت الكنيسة المسيحية نظاما لرعاية العجائز واليتامي والأرامل وكبار السن، وكانت تقيم لهم دورا تسمى خانات اللاجئين، انظر ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١ مجلد ٤ص١٥

٣٠) يذكر شارل ديل أن العمارة البيزنطية في بناء الكنائس المستطيلة متأثرة بالنمط المعروف في ما بين النهرين وفارس، وذكر ول ديورانت أن هذا الطراز انتقل من الوثنيين إلى روما. انظر ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١ مجلد ٤ ص ٢٥٥،
Ch. Diehl;' Byzantium Art ' (Byzantium) PP. 170 -171

ثالثا: الكتاب السادس

١) مأخوذة عن إنجيل متى إصحاح ٢٤ فقرة ٣٣-, ٣٤

٢) كان موريقيوس ابن خالة الإمبراطور جستين، انظر Cambridge Medieval History, p. 270
عرفت نصيبين باسم صوبا أى نهاية الحدود (بالسُريانية) وأسماها اليونان أنطاكيا مقدونيا، وتقع اليوم فى تركيا مقابل بلدة القامشلى السورية، انظر حسن عون، العراق وما توالى عليه من حضارات، ط٢ الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٨١ ، بطرس حداد، التاريخ الصغير (بالسُريانية) بغداد ١٩٧٦ ص ٦١

٤) كان السبب فى قتال الفرس والروم فى نصيبين العداء بينهما فى أرمينية، وعدم التزام جستين الثانى باتفاق السلام لسنة ٥٦٢م، انظر Cambridge Medieval His., p. 270, Jones, Lat. Rom. Emp., vol. I, p. 306 المقصود بإله الشمس مثرا، وقد ظهرت عبادته بفارس فى القرن الثانى الميلادى، وانتشرت تلك العبادة فى الغرب الرومانى أيضا. انظر نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ص ٥٢، آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين، ص ١٣٣

٦) ميزت الأوستا، وهى كتاب الفرس المقدس، بين خمسة أنواع من النار، برزى سوه: وهى نار المعابد، فريانه: وهى النار الموجودة فى جسم الإنسان والحيوان، أوروازيستن: وهى النار التى توجد فى النباتات، زيستا: وهى النار الكامنة فى السحاب، وأسبينشه: وهى النار التى تشتعل أمام أهورامزدا فى الجنة. انظر آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين، ص ١٣٢، J. M. Robertson, Pagan Christs, p. 103ff

٧) حدثت هذه المعركة فى سنة ٥٧٠م، ويذكر نولدكه أن هذه المعركة هى يوم "عين أباغ" الشهيرة فى الشعر العربى، انظر نولدكه، أمراء غسان، ص ٢٥، بيجولفسكيا، العرب على حدود إيران وبيزنطة، ٢٤٣

٨) توجد عدة أماكن باسم الرصافة، منها رصافة الشام وتعرف باسم رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٣ ص ٤٧

٩) الحيرة، أو حيرتا بالسُريانية، ومعناها المخيم أو المعسكر. انظر جواد على، تاريخ العرب، ج٣ ص ١٥٥ وما بعدها

١٠) دارا هى بلدة على جانب نهر الزاب بين نصيبين وماردين. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٢ ص٤١٨

١١) هو يوحنا بن تيموستراتيوس قائد مدينة الرقة فى عهد أنسطاس، وكان أحد الأسرى الذين وقعوا فى يد المنذر بن ماء السماء. انظر زاكية محمد رشدى، حولية ايشوع العمودى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٩ القاهرة ١٩٧٢ ص ٢٦٥

١٢) هناك خطأ فى عدد السنوات، لأن بناء دارا كان فى سنة ٥٠٦م وتم سبيها فى نوفمبر سنة ٥٧٣م وبهذا تصبح الفترة بين بنائها وسبيها سبعة وستين عاما. انظر حسن بيرنيا، تاريخ لإيران، ص ٢٦٦

١٣) أفاميا مدينة حصينة من سواحل الشام وقرى حمص انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ١ ص ٢٧٧، وبطرس حداد، التاريخ الصغير، ص ٩٨

١٤) ظهر الأتراك فى القرن السادس، وكانوا شعبا بدويا يقيم بين بلاد المغول وحدود الصين الشمالية. انظر محمد ثابت الفندى وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، كج ٥ ص ٣٤

١٥) أرمينية بلد جبلية تقع جنوب القوقاز والشمال الشرقى من هضبة الأناضول، وكانت عدة أقسام أرمينية الكبرى، وأرمينية الصغرى وأرمينية الرابعة وأرمينية الأولى انظر حسن بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٢٤٠ وما بعدها، محمود شيت خطاب، أرمينية قبل الفتح الإسلامى، مجلة المجمع العلمى العراقى بغداد ١٩٨٣، مج ٣٤ ج١ ص ٤٢

١٦) الفصول ١٨-٢٤ مفقودة.

١٧) هى مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين نصيبين وحران، بناها الإمبراطور ثيودسيوس الكبير وأسماها باسمه. انظر ياقت الحموى، معجم البلدان، مج ٣ ص ١٣-١٥

١٨) مدينة عظيمة فى بلاد الروم، وكانت عاصمة قبادوقيا، انظر المرجع السابق، مج ٤ ص ٤٢١

١٩) المقصود جبال القفقاس فهى تمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقي، محمود شيت خطاب، أرمينية قبل الفتح الإسلامى، ص ٤٤

٢٠) هم رجال الدين الزرادشتى، وكانوا يعرفون بالمغان، والموابذة. وعرف خدام النار باسم الهرابذة، انظر آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين، ص ١٠٧-١١٠

٢١) هى مدينة قرب سميساط فى أعالى الفرات، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٣ ص ١٨٤

٢٢) دارت معركة بين الفرس والروم فى ملطية لمدة يومين، انتصر فيها القائد جستنيانوس بن جرمانوس على الفرس، وعاونه فى القتال وارطان ماميكونيان الأرمنى. انظر Rene Grousset, Histoire de l'Armenie, p. 246

٢٣) ملطية من بناء الأسكندر الأكبر، وهى من بلاد الروم وتتاخم الشام، يحدها من الشرق نهر الفرات، ومن الشمال أرمينية الصغرى، ومن الغرب كاتونيا، ومن الجنوب كوماجين. انظر W. Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor, p. 313

٢٤) حمل عظماء الفرس الساسانيين لقب ملك، وهذا سوغ الملك إيران أن يلقب بملك الملوك "شاهنشاه"، انظر د. يحيى الخشاب (مترجم) كتاب تنسر، القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٩

٢٥) جبال بأرمينية الصغرى بين العراق وتركيا. انظر R. P. Smith, Third Part, p. 398

٢٦) عرفت بالسُريانية باسم ماحوزا أى المدينة الصغيرة المتنامية، انظر أيضا ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٤ ص ٥٥، ٧٤-٧٥، آرثر كريستنسن، إيران، ص ٣٦٧، بطرس حداد، التاريخ الصغير، ص ٥٦

٢٧) التاريخ خطأ، والصواب سنة ٥٧٦م حيث انتصر طمخسرو على جستنيانوس فى أرمينية. انظر R. P. Smith, Third Part, p. 399, R, Grousset, Histoire de l'Armenie, p. 246ff

٢٨) سمى حاكم أرمينية الفارسى "سورين" (٥٦٤-٥٧٢م)، وقد أراد معبدا للنار فى مدينة دوفين بأرمينية الفارسية، لكن الأرمن ثاروا عليه. انظر R, Grousset, Histoire de l'Armenie, p. 242ff

٢٩) هو وارطان (واردان) ماميوكنيان الذى تزعم ثورة الأرمن ضد سورين الحاكم الفارسى. انظر المرجع السابق

٣٠) كان مبودس من عائلة سورين، وهى من العائلات الفارسية العريقة، وقد لعب مبودس دوراكبيرا فى تنصيب خسرو نو شروان خلفا لوالده قباذ. انظر آرثر كريستنسن، إيران، ص ٢٤١

٣١) شكل إقليم أرمينية أهمية استراتيجية بالنسبة للفرس والروم، وكان أشبه بالدولة الحاجزة بينهما. انظر وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، ص ١٠٠

٣٢) مدينة قديمة عرفت باسم تل موزلت، وعرفت بالسُريانية باسم تل هوزن، وتقع بين رأس العين وسروج. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٢ ص ٤٥

٣٣) حصن يقع شمال غرب ماردين، ويعرف بالعربية باسم تل بسمة، المرجع السابق، مج ٢ ص ١٥

٣٤) اللومبارد هم إحدى القبائل الجرمانية، وقد اندفعوا عبر الدانوب فى سنة ٥٦٨م وغزوا إيطاليا، وكانوا أكثر القبائل الجرمانية همجية ووحشية. انظر نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ج٢ ص ١٩١، السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص ١٠٦-١٠٧

٣٥) كانت قتريز حصنا بأرمينية بناه جستنيان مقرا له فى أرمينية، ويبعد مسافة أربعة أيام عن ثيودسيوبوليس. انظر W, Smith, A Dictionary of Greek and Roman Geography, p. 629

٣٦) تسمى بالعربية ميافارقين، وباليونانية مدينة الشهداء. وهى من أشهر مدن ديار بكر، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٥ ص ٢٣٥-٢٣٦

٣٧) لإقليم يقع فى جنوب غرب أرمينية، يحده من الشرق نهر الفرات، ومن الجنوب أرض الجزيرة، ومن الغرب قبادوقيا. صار منذ سنة ٦٣ ق. م تحت السيادة الرومانية، انظر Websters Geographical Dictionary, p. 1061

٣٨) ما بين النهرين، أو مسوبوتاميا باليونانية وبالسُريانية "بيث نهرين" (بين نهرين). (المترجم)

٣٩) التاريخ خطأ لأن موريقيوس صار قائدا لجيوش الفرس فى الشرق فى سنة ٥٧٨م. انظر Jones, Lat. Rom. Emp. vol. I, p. 308

٤٠) مدينة مشهورة قرب خلاط بأرمينية، وكانت من أعمر نواحى أرمينية. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مجلد ١ ص ١٥٠

٤١) غزا موريقيوس أرزون فى سنة ٥٧٨م واحتل قلعتها الحصينة "أقيميون". انظر Jones, op. cit.

٤٢) هى الجزء الشمالى من بابل ويطلق عليه سواد الكوفة حيث توجد سلوقيا. انظر د. زاكية رشدى، (مترجم) الترجمة العربية لمخطوط ايشوع العمودى، ص ٢٧٣

٤٣) ذكر الاصطخرى أن جانبى المدائن المكتنفة لدجلة، كانت على عهد الفرس موصولا بينهما بجسر على نهردجلة مبنى بالآجر". انظر الاصطخرى؛ أبى اسحق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخى، المسالك والممالك، تحقيق نحند جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١ ص ٨٧

٤٤) ورد اسم أذرمهسان فى التاريخ السريانى لسنة ٥٧٧م "مزلدرهن" وفى تاريخ الرُها لسنة ١٢٣٤م "أردهمون". انظر I. Guidi, Chronica Minora, I. p. 144

٤٥) الرُها، كما تعرف بالسُريانية باسم "أورهاى"، وبالعربية أورفة، وباليونانية "آذيسا". انظر جواد على، المفصل فى تاريخ العرب، ج٢ ط٢ ص ٦١٩ وما بعدها، يوسف حبى، تواريخ سريانية من القرون ٧-٩ الميلادى، ص ٩ و٧٣، Procopius, Wars, I. p. 153

٤٦) سميت بالفارسية أز أنديو كسرى أى مدينة كسرى، وقد نقل كسرى المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والأحجار وبنى مدينة نحو المدائن وأسماها رومكان (رومية). انظر المسعودى، مروج الذهب، ج١ ص ٢٠٠، حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص ٢٦٢

٤٧) الزوزى عملة سريانية، كانت تساوى درهما يونانيا، وكانت العملة الفضية المتداولة فى عهد الساسانيين، وكان للسريان عملة أخرى هى "الاستار" وكانت تساوى أربعة دراهم يونانية، وكانت عملة فارس الذهبية هى الدينار، أما العملات النحاسية فكانت تسمى " شيز"، وأهم عملات كسرى أنو شروان هى "دريك" وكان عليه وجه كسرى ولحيته والتاج الملكى. انظر السيد يعقوب بكر، دراسة مقارنة فى المعجم العربى، مجلة كلية الآداب، مج ١٣ عدد مايو القاهرة ١٩٦١ ص ١٥٨، دكتر على مرزبان راد، خسرو أنو شروان، در أدب فارس دانشكاه ملى إيران، ١٩٧٦ ص ٨١، حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص ٣٠٦

٤٨) كان كسرى زرادشتيا امتاز بحرية التفكير، وكان يبحث فى الآراء المختلفة فى الشئون الدينية و الطبيعية. انظر آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين، ص ٤١٠

٤٩) تضمنت اتفاقية السلام سنة ٥٦٢م بين الفرس والروم ضمان حرية العبادة للمسيحيين فى فارس، انظر حسن بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٢٣

٥٠) الجاثليق هو رئيس الأساقفة النساطرة فى الأقاليم الشرقية، وتعنى الكلمة بالسُريانية "العام". والجاثليق حزقيال (٥٧٠-٥٨١م) كان تلميذا لمار آبا الكبير المتوفى سنة ٥٢٥م أو ٥٣٣م. انظر آدى شير، كلد وآثور، مج ٢ ص ١٩٧، نفس المؤلف، مدرسة نصيبين الشهيرة، بيروت ١٩٠٥ ص ١٧

٥١) كان أحو أمه، أسقفا لمنطقة عربايا بين نصيبين ودجلة، ثم صار مطران (رئيس أساقفة) تكريت، وقد قام بتنصير كثير من الفرس ومنهم أحد أفراد الأسرة الملكية. انظر ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١ ص ١٤٣، W. Wright, A Short History of Syriac Literature, p. 97-99

٥٢) نشط المونوفيزيون فى فارس نتيجة مجهودات يعقوب البرذعي، وقد انتشروا فى طور عابدين وفارس. انظر ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة، ص ١٤٣ وما بعدها

٥٣) مأخوذ عن سفر القضاة إصحاح ١٤ فقرة ١٤,

٥٤) اعتلى هرمزد الرابع العرش بعد أن أجمعت عليه آراء القادة الفرس، وكانت أمه ابنة خاقان الترك. انظر الثعالبى، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طبعة زوتنبرج، باريس ١٩٠٠ ص ٦٣٦ وما بعدها، آرثر كريستنسن، إيران، ص ٤٢٥

٥٥) انظر وسام عبد العزيز، دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، ص ١٠٧

٥٦) كانت بعثو زيمرخوس فى سنة ٥٦٨م، وقد عبر نهر الفلجا فى اتجاه خاقان الترك الغربيين، وكانت مفاوضاته حول عقد حلف مششترك مع الفرس. انظر دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٥ ص ٤٥

٥٧) انتسبت شعوب الأتراك إلى الأتراك الغز، وكانوا عدة قبائل منها اللؤلوسي، والطاردوش، والتوركش والقارلوق والاويغور والقيرغيز. انظر المرجع السابق ص ٣٤، و. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الصغرى، (ترجمة د. أحمد السعيد سليمان) ص ٢٨ وما بعدها،

٥٨) انظر S. Runciman, Byzantium, p. 339

٥٩) انظر المرجع السابق ص ٣٣٨

٦٠) هى إحدى قبائل الهون (الهياطلة) التى استقرت فى شمال سرميوم فى سهل الدانوب الأوسط. انظر Ch. Oman, Dark Ages, p. 146

٦١) كانت سرميوم مدينة هامة فى جنوب شرق بانونيا، وهى مسقط رأس الأتروسكيين أصحاب اللغة اللاتينية. انظر Dictionary of Greek & Roman Geography, vol. II, p. 1014, N. H. Baynes, Byzantium, p. 9

٦٢) انظر Cambridge Medieval History, vol. II, p. 276. Ch. Diehl, Histoire du Moyen Ages, t. 3, p. 132ff

٦٣) انظر عبد القادر أحمد اليوسف، الغمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٦٦ ص ٦٢

٦٤) انظر بطرس حداد، التاريخ الصغير، ص ١٠

٦٥) هنزيط كانت من الثغور الرومانية. انظر ياقوت، معجم البلدان، مج ٥ ص ١٨

٦٦) انظر Theophlact Simocaatta, Historia, vol. I. p. 49ff

٦٧) مأخوذ عن المزمور ٨٣ فقرة ١٣-١٤ "يا إلهى اجعلهم مثل الجل مثل القش أمام الرياح كنار تحرق الوعر كلهيب يشعل الجبال".

٦٨) هرمزد الرابع اشهر أبناء كسرى وولى عهده، وكانت أمه مسيحية وتدعى أنوشزاد، وقد قام بثورة ضد أبيه ومات بعدها. انظر على مرزبان راد، ص ٦

٦٩) انظر D. Oblensky, The Byzantine Commenwealth, p. 90

٧٠) ذكر ياقوت عنه أنه يقع في وسط المعمورة بأرض الصقالبة والروس، ويعرف عند اليونانيين ببحر طرابزندة. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٢ ص ٣٤٢، Websters Geographical Dic-tion ary, p. 136

٧١) مأخوذ عن سفر الملوك إصحاح ١٨ فقرة ٢.

٧٢) مأخوذ عن إنجيل متى إصحاح ١٨ فقرة ٣٣.

٧٣) المقصود جبل ماردين، بين نصيبين وماردين. انظر الاصطخرى، المسالك، ص ٧٣

٧٤) تقع مدينة كلت شمال بحيرة فان (وان) شمال شرقى ميافارقين. (المترجم)

٧٥) مأخوذ عن إنجيل متى إصحاح ٢٤ فقرة ٢٥ "أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض".

٧٦) هى بلدة بأليريا أسسها الإمبراطور هدريانوس (١١٧-١٣٨م)، وأعاد جستنيان بناءها وأسماها جستنيانوبوليس (مدينة جستنيان). انظر Dictionary of Greek Roman Geography, p.1024

٧٧) قبيلة صديقة للسلاف. انظر S. Runciman, Byzantium, p. 338

٧٨) بلدة تقع على الساحل الغربى للبحر الأسود شمال أبولونيا، إحدى مدن تراقيا. انظر Dictionary of Greek Roman Geography, p. 132

الفهرس التفصيلى للترجمة

فهرس الجزء الثالث

الكتاب الثالث عن أحداث الكنيسة وأحداث أخرى

القسطنطينية. الفصل الثانى والثلاثون: عن وصول الملك إلى القسطنطينية. الفصل الثالث والثلاثون: عن محاكمة الوثنيين فى العاصمة. الفصل الرابع والثلاثون: عن محاكمة الوثنيين فى عهد موريقيوس. الفصل الخامس والثلاثون: عن مصرع اسطوخيوس أسقف القدس. الفصل السادس والثلاثون: عن الدير الكبير الذى بناه يوحنا مراقب الوثنيين فى تراليس. الفصل السابع والثلاثون: عن العقبات الشيطانية أمام بناء دير داريرا. الفصل الثامن والثلاثون: عن وفاة البطريرك أوطيخا الفجائية. الفصل التاسع والثلاثون: عن بطريرك العاصمة الجديد يوحنا النذير. الفصل الأربعون: عن المنذر بن الحارث أمير الغساسنة. الفصل الحادى والأربعون: عن قصة القبض على المنذر بن الحارث. الفصل الثانى والأربعون: عن أبناء المنذر بن الحارث الأربعة . الفصل الثالث والأربعون: عن سفر مجنا حاكم أنطاكيا إلى أبناء المنذر. الفصل الرابع والأربعون: عن حالة السلام القصيرة فى العاصمة (الفصل مفقود). الفصل الخامس والأربعون: عن المجاعة فى العاصمة فى سنة ٥٨١م. الفصل السادس والأربعون: عن أحداث المجاعة وموت الأطفال المُحزن . الفصل السابع والأربعون: عن خبر وفاة الملك الظافر طيباريوس. الفصول الثامن والأربعون حتى الخمسون: (مفقودة). الفصل الحادى والخمسون: عن البطريرك يوحنا النذير (٥٨٢-٥٩٥م). الفصل الثانى والخمسون: عن فضائل البطريرك يوحنا النذير الصوام. الفصل الثالث والخمسون (مفقود). الفصل الرابع والخمسون: عن سجن المنذر فى العاصمة ومنفاه (معظم الفصل مفقود). الفصل السادس والخمسون: عن خبر وصول النعمان بن المنذر إلى العاصمة.

فهرس الجزء الخامس

من الكتاب الثالث عن أحداث الكنيسة وأحداث أخرى

الفصل الأول: عن الأساقفة المثلثون وهرطقتهم المضللة فى العاصمة. الفصل الثانى: عن الأساقفة المثلثين الجُدد. الفصل الثالث: عن أتباع كونون وأوجين. الفصل الرابع: عن تحرر كونون من منفاه. الفصل الخامس: عن انقسام هرطقة المثلثين. الفصل السادس: كونون وأوجين فى بامفيلية. الفصل السابع: عن يوحنا الآسيوى وكونون فى العاصمة. الفصل الثامن: عن المثلثين والمونوفيزيين. الفصل التاسع: عن المثلثين فى الاسكندرية. الفصل العاشر: عن كتابات المثلثين. الفصل الحادى عشر: عن كنائس

المثلثين فى القسطنطينية. الفصل الثانى عشر: عن توبة بعض المثلثين. الفصل الثالث عشر: عن عهد الملك الظافر موريقيوس. الفصل الرابع عشر: عن الملك موريقيوس وبداية عهده. الفصل الخامس عشر: عن اضطهاد الأرثوذكس فى عهد موريقيوس. الفصل السادس عشر: عن اضطهاد الآريوسيين فى عهد موريقيوس. الفصل السابع عشر: عن جريجور أسقف أنطاكية. الفصل الثامن عشر: عن عائلة الإمبراطور موريقيوس. الفصل التاسع عشر: عن دومتيان مطران ملطية. الفصل العشرون: عن خزائن القصر الملكى. الفصل الحادى والعشرون: عن مثيرى الاضطرابات والمضطهدين واللصوص. الفصل الثانى والعشرون: عن بناء مدينة آرابيسوس بقبادوقيا وخرابها. الفصل الثالث والعشرون: عن خراب مدينة آرابيسوس.

فهرس الجزء السادس

من الكتاب الثالث عن أحداث الكنيسة وأحداث أخرى

القصة الأولى: عن بداية الكتاب. القصة الثانية: عن قتال البطريق موريقيوس. القصة الثالثة: عن أسباب غضب الملك جستين على موريقيوس. القصة الرابعة: عما كتب لموريقيوس و للمنذر. القصة الخامسة: عن استيلاء ملك الفرس على دارا. القصة السادسة: عن سبى الفرس لمدينة أفاميا. القصة السابعة: عن الفتيات الحسان من سبايا الروم. القصة الثامنة: عن السلام فى سوريا واستيلاء الفرس على أرمينية وقبادوقيا. القصة التاسعة: عن حرق الفرس ملطية. القصة العاشرة: عما حدث للرومان فى أرمينية الفارسية. القصة الحادية عشرة: عن الأرمن التابعين للفرس. القصة الثانية عشرة: عن مفاوضات الروم والفرس على الحدود. القصة الثالثة عشرة: عن تخريب الفرس للأراضى الرومانية. القصة الرابعة عشرة: عن الكونت موريقيوس والفرس. القصة الخامسة عشرة: عن انتقام موريقيوس من الفرس. القصة السادسة عشرة: عن المنذر بن الحارث وموريقيوس. القصة السابعة عشرة: عن آذرمهان مرزبان الفرس الكبير. القصة الثامنة عشرة: عن المنذر بن الحارث وانتصاره على اللخميين. القصة التاسعة عشرة: عن سبايا الرومان فى أنطاكيا الفارسية. القصة العشرون: عن عهد كسرى ملك الفرس ووفاته. القصة الحادية والعشرون: عن توقف السلام بين المملكتين الفارسية والبيزنطية. القصة الثانية والعشرون: عن هرمزد بن كسرى ملك الفرس الجديد. القصة الثالثة والعشرون: عن العداء بين الروم والفرس من جديد. القصة الرابعة والعشرون: عن شعوب الآفار العجيبة. القصة الخامسة والعشرون: عن

شعوب الصقالبة السلاف. القصة السادسة والعشرون: عن قتال الروم والفرس فى تلا. القصة السابعة والعشرون: عن موريقيوس قائد الجيوش الرومانية فى الشرق. القصة الثامنة والعشرون: عن قتال الفرس والروم فى أرمينية. القصة التاسعة والعشرون: عن حكاية ابن ملك فارس المزيف. القصة الثلاثون: عن مدينة سرميوم وحصار الآفار لها. القصة الحادية والثلاثون: عن سفر نرسيس إلى الآفار. القصة الثانية والثلاثون: عن تسليم مدينة سرميوم للبرابرة الآفار. القصة الثالثة والثلاثون: عن احتراق مدينة سرميوم. القصة الرابعة والثلاثون: عن ذكرى حروب كثيرة. القصة الخامسة والثلاثون: عن حصن شمكرت. القصة السادسة والثلاثون: عن حصن أقابا فى أرض فارس. القصة السابعة والثلاثون: عن مراسلات الفرس والروم. القصة الثامنة والثلاثون: عن مبعوث ملك الرومان إلى فارس. القصة الحادية والأربعون والثانية والأربعون: عن تعاظم مملكة العرب أتباع الروم وانهيارها. القصة الخامسة والأربعون حتى التاسعة والأربعون: عن الشعوب البربرية والرومان.

المحتـوى

المشروع القومى للترجمة

-١	اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
-٢	الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
-٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
-٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
-٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
-٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
-٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
-٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
-٩	التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
-١٠	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
-١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
-١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
-١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
-١٤	التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
-١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
-١٦	أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
-١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
-١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
-١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
-٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
-٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
-٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
-٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
-٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
-٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
-٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
-٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
-٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
-٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
-٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
-٣٢	الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
-٣٣	التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
-٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
-٣٥	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣- مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف	ميجل دى ترباتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل

١٠٦	الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييراميتى	ت : د. أشرف على دعدور
١٠٧	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤	الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧	إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩	الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣	الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٤٠	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية

١٤٢	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان
١٤٥	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالرؤوف البمبى
١٤٧	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١	هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الإجتماع	جوردن مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤	شامبليون (حياة من نور)	چان لاكونير	ت : نبيل سعد

(تحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة
الولاية
مختارات من الشعر اليونانى الحديث
العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل
چان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
العنف والنبوءة
العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)
وضع حد
التليفزيون فى الحياة اليومية
أنطوان تشيخوف
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)

حكايات ثعلب
الإسلام فى السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلى
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علماً جديداً
مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى
النقد الأدبى الأمريكى

رقم الإيداع ١١١٠٧ / ٢٠٠٠
I. S. B. N.
977 - 305 - 234 - 6
مطابع المجلس الأعلى للآثار





IOHANNIS EPHESINI HISTORIAE ECCLESIASTICAE PARS TERTIA

إن تاريخ الكنيسة الذى نقدم ترجمة الكتاب الثالث منه هو من أهم أعمال يوحنا الآسيوى وهو أقدم تاريخ للكنيسة السريانية الغربية المعروفة بالكنيسة المنوفيزية . ويتميز يوحنا الآسيوى فى أسلوبه الخاص بالكتابة التاريخية بالربط بين كتابة السير وكتابة التاريخ الكنسى فى أسلوب أدبى رفيع .

يتكون تاريخ الكنيسة من ثلاث كتب . يتناول الكتاب الأول عصر يوليوس قيصر (ت. ٤٤ ق.م) حتى مجمع أفسس الثانى فى سنة ٤٤٩ ميلادية . ويتناول الكتاب الثانى الفترة ما بين مجمع أفسس الثانى حتى السنة ٥٧١ ميلادية . ويتناول الكتاب الثالث أحداث السنوات ٥٧٥ حتى ٥٨٥ ميلادية .

ويعتبر كتاب تاريخ الكنيسة من أهم السجلات التاريخية فى العصور الوسطى فهو يقدم رؤية معاصرة لأحداث القرن السادس الميلادى وخاصة حروب الروم البيزنطيين والفرس . بالإضافة إلى أحداث التار العربى قبل الإسلام وخاصة ما يعرف بايام العرب بالإضافة الى عل إمارات الغساسنة و المناذرة العربية بالروم والفرس

لوحة الغلاف للفنانة : ثناء عز